

الإمام علي

في المصنفات التاريخية الشامية

خلال القرن العاشر الهجري



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

٢٨٧٠ لسنة ٢٠١٧

. IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

مصدر الفهرسة:

.BP37 .H3 2017

رقم تصنيف LC:

المؤلف الشخصي: حسن، نجاة هادي.

العنوان: الإمام علي عليه السلام في المصنفات التاريخية الشامية خلال القرن العاشر الهجري/
بيانات المسؤولية: تأليف نجاة هادي حسن، تقديم السيد نبيل قدوري الحسني.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة.

١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

الوصف المادي: ٢٨٨ صفحة.

سلسلة النشر: سلسلة الرسائل الجامعية (٢٣): مؤسسة علوم نهج البلاغة.

تبصرة عامة: أصل الكتاب رسالة ماجستير

تبصرة ببليوغرافية: الكتاب يتضمن هوامش - لائحة المصادر الصفحات (٢٥٩ - ٢٨٢).

تبصرة ملاحق: يتضمن ملحق: الصفحات (٢٥٦-٢٥٨)

مصطلح موضوعي شخصي: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ للهجرة - أحاديث.

مصطلح موضوعي شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - فضائل.

مصطلح موضوعي شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - حروب.

مصطلح موضوعي جغرافي: بلاد الشام - الأحوال السياسية - العصر المملوكي، ١٢٦٠ - ١٥١٦.

مصطلح موضوعي جغرافي: بلاد الشام - الأحوال الاجتماعية - العصر المملوكي، ١٢٦٠ - ١٥١٦.

مصطلح موضوعي جغرافي: بلاد الشام - الأحوال الاقتصادية - العصر المملوكي، ١٢٦٠ - ١٥١٦.

مصطلح موضوعي جغرافي: بلاد الشام - الأحوال الثقافية - العصر المملوكي، ١٢٦٠ - ١٥١٦.

مؤلف إضافي: الحسني، نبيل قدوري، ١٩٦٥-، مقدم.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الإمام علي

عليه السلام
الكشوفى

في المصنفات التاريخية الشامية

خلال القرن العاشر الهجري

تأليف
م.م. نجاة هادي حسن

اصدار
موسسة الدراسات والبحوث
والعقيدة الحسينية المقدسية



جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة

- مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الاييميل: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر
عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن
وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

يا إمامي
يا سراجاً في دروب السائرينا.. وملاذاً آمناً للتائهينا
وأمنية شائقٍ يتمنى.. وعقيدَ عزٍّ لا يسامى
وأثيل مجدٍ لا يجارى.. وتلاذٍ نعمٍ لا تضاهى
ونصيف شرفٍ لا يُساوى.. متى نردُّ مناهلك الروية فنزوى؟

يا إمامي
فرضيناك إماماً قائداً فتحاً مينا
تنشر العدل وتجتث أصول الظالمينا
إلى عوني وأملي وسندي
إلى من يعجز اللسان عن وصفه ومدحه
إلى من تجف كلمات الثناء أمامه.. إلى نبض القلب ونور العين
إلى النجم الثاقب.. إلى الفجر والضحي
إلى ميزان الحق ولسان الصدق.. إلى نور الأتقياء والأصفياء
إلى الوتر الموتر.. إلى واقيد والطريد
إلى يعسوب الدين والماء المعين

إلى الذي قال فيه رسول الله (ﷺ): (لو لم يبق من الدنيا إلا
يوم لطال ذلك اليوم حتى يظهر رجل منا أو من آل محمد
يملا الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً)^(١).

اهدي هذا الجهد المتواضع إلى الإمام المهدي المنتظر
القائم الحجة بن الحجة، الغائب الحاضر صاحب العصر
والزمان عجل الله فرجه الشريف.

الباحثة

١- ينظر: الخطيب البغدادي، موضع أو هام
الجمع، ج ٢/ ص ٧٢؛ الأبري، مناقب الإمام
الشافعي، ج ١/ ص ٩٦.



بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهدى، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، كذا يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

١- الأنعام: ٣٨.

٢- يس: ١٢.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاج من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في التاريخ إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفقت صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن لها بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي، فقد بيّنت هذه الدراسة دور أمير المؤمنين (عليه السلام) ومسيرته حتى استشهاده في المصنفات التاريخية الشامية في القرن العاشر الهجري فنقلت تلك الأحداث التي واكبت حياته (عليه السلام) وما جرى فيها، وكيف تعامل أمير المؤمنين (عليه السلام) مع كل مرحلة كانت تمرّ عليه، خصوصاً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما تلاها من أحداث مهمة من حياة الأمة الإسلامية.

فجزى الله الباحثة خير الجزاء فقد بذلت جهدها وعلى الله أجرها.

السيد نبيل قدوري الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

الحمد لله ذي القدرة والتمكين الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سُلالة من ماء مهين ثم صورهُ فأحسن صورهُ، ونفخ فيه من روحه، وفضَّله على كثير من المخلوقين بقيادة الحياة بما أودع فيه من العلم والإنسانية بمنه وإرادته، ومن بين من اختص الله من البشر محمد وآله، فجعلهم نبراس الهداية، ومنبع العلم بعلمه وحكمته، والحمد لله الذي جعلنا من أتباع محمد وآله بجوده وتفضله، وجعلنا ممن أتبع أحسن القول بفضله ومنه، وخصنا بالعرف على تراثهم ونشره، وصلى الله على المخصوص من الحكمة بأفصحها لساناً، وأوضحها دلالة وبياناً، وأظهرها حجة وسلطاناً محمد نبي الرحمة، والمؤيد بالهداية والعصمة، وعلى آله الذين اصطفاهم لوراثته كتابه، وحباهم من ثوابه وجعلهم للأمة هداة وأعلاماً، وبأحكام دينه قوامين وحكاماً، وسلم عليه وعليهم تسليماً وإني في هذا الجهد المتواضع لا أدعي كماله إذ الكمال لله سبحانه؛ فأرجو من الله تعالى أن ينال حظاً من القبول وأن يجعله الله في ميزان حسناتي إنه نعم المولى ونعم النصير.

أمَّا بعد فإن من عادة الأمم أن تفخر برجالها، وأمتنا الإسلامية تزخر بالرجال الأفاضل، ومن هؤلاء الرجال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو علم من أعلام الإسلام، ورمز من الرموز الشامخة؛ فهو شخصية عظيمة تركت في التاريخ الإسلامي إضاءات نيرة أسهمت في خلق وعي كبير؛ فبجهوده ارتفع شأن

الدين الإسلامي أيما رفعة، وزها المسلمون به أي زهو وتقدير، وهو (عليه السلام) أول من آمن بالرسالة المحمدية، وأول مجاهد في سبيل الله، دافع عن الإسلام منذ صباه حتى ختم عمره في محراب العبادة، وإننا لم نجد له نظيراً في تاريخ الأمم؛ فقد اجتمعت فيه كل صفات العالم الرباني، فضلاً عن شجاعته التي لا تماثلها شجاعة؛ فقد كان باب مدينة العلم النبوي الذي لا ينفد نوره، وكان عالماً بعلوم إلهية حباه الله بها فضلاً منه ومنّاً، وبما علمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورباه عليها، واستطاع الإمام (عليه السلام) بجهوده أن يرسم للعرب والمسلمين طريقاً اختطّوه لمسيرة الحياة في الزهد، والشجاعة، والعدل، والعلوم، وقد برزت في فكره (عليه السلام) إشراقات عظيمة هدت البشرية إلى الأخذ بها، والاعتماد عليها، وقد تحمل الإمام وهو العالم اللبيب مصاعب جمّة أثرت في عمله، وجاءت بغير ما أراد (عليه السلام) أن يكون، فعاداه أناس، وقاتله أناس، وبغضه كثيرون، وبين هذا وذاك إذ برز للإمام (عليه السلام) ما ملأ الخافقين فضائل ومعارف، فقد اتصف (عليه السلام) بصفات الكمال التي لم تجتمع بأحد سواه لا في الشرق، ولا في الغرب، فهو الشخصية الفريدة التي لا يوجد لها مثيل أو شبيه، وعلى الرغم من كل ذلك تبقى شخصيته مهما كُتب عنها من بحوث ودراسات تحتاج للمزيد من البحث والتقصي.

ودراسة حياة الإمام علي (عليه السلام) تمثل أهمية خاصة في المصادر الشامية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ومن دواعي اختياري لهذا الموضوع هو معرفة رأي المؤرخين المسلمين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في بلاد الشام بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومن مختلف المذاهب الإسلامية (الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي)، فضلاً عن أنّ هذه الدراسة تزدهم بها التفاصيل والوقائع ازدحاماً لا يؤذّن بانتهاء، تمثلت في شخصيته الفذة (عليه

السلام) مكارم الأخلاق، ومثل الفضيلة والإنسانية الكاملة التي لم تقف دون بيانها براعة الكاتب، أو المؤرخ، وقد شهد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ظهور عدد من المؤرخين الشاميين، وبمختلف مصنفاتهم التاريخية، وفي ضوء ما تقدم أردنا الخوض في موضوع الإمام علي (عليه السلام)، وإبراز الصحيح من حياته في صفحات هذه الدراسة، وعدم التسليم لبعض الروايات التي أوردها مؤرخو الشام في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وقد واجهت الباحثة مصاعب كبيرة في الحصول على المصادر التي تطلبها البحث، وذلك لعدم توفرها في المكتبات العامة والخاصة، وبعد جهد ومشقة حصلت الباحثة على اليسير الذي أخرج البحث بصيغته المتواضعة، وقد انحصرت الأخبار التي أوردها المؤرخون الشاميون عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). الفصل الأول الذي ابتدأ بذكر حياته ونشأته، وحتى الفصل الرابع الذي ورد فيه استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م). وقد احتوت المصادر الشامية على الكثير من الأقوال والأحاديث التي امتازت بتكرارها، ولذلك قمنا باختصار بعض منها بشكل لا يؤثر على المادة العلمية المدروسة.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، اختص الفصل الأول بحياة الإمام (عليه السلام) ودوره في المصنفات الشامية، وجاء في مبحثين: المبحث الأول (الإمام علي (عليه السلام) حياته ونشأته في العهد المكي)، والمبحث الثاني (دور الإمام (عليه السلام) في العهد المدني حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أما الفصل الثاني فقد جاء في مبحثين أيضاً: المبحث الأول عن (السرائيا والبعوث)، والمبحث الثاني عن (الغزوات والحروب)، أما الفصل الثالث فقد خصصناه لـ (دور الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخلفاء الراشدين (١١هـ - ٣٥هـ / ٦٣٢ - ٦٥٥م))، وجاء في ثلاثة مباحث: الأول (دور الإمام علي (عليه السلام) في

عهد الخليفة أبي بكر (١١١هـ-١٣هـ / ٦٣٢م-٦٣٤م))، والمبحث الثاني (دور الإمام (عليه السلام) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ / ٦٣٤م-٦٤٣م))، والثالث (دور الإمام (عليه السلام) في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣هـ-٣٥هـ / ٦٢٣م-٦٥٥م))، أما الفصل الرابع فقد خصص لـ (خلافة الإمام علي (عليه السلام) وأبرز الأحداث فيها، وقد جاء في ثلاثة مباحث: المبحث الأول في (بيعته للخلافة)، والمبحث الثاني (جهاد الإمام (عليه السلام) ضد الخارجين على خلافته (٣٥هـ-٤٠هـ / ٦٥٥م-٦٦٠م))، والمبحث الثالث جاء عن (استشهاده ودفنه وموضع قبره)..

وقد اعتمد البحث على العديد من المصادر والمراجع، وهي كثيرة وسوف نذكر الأساسية منها بالنسبة لموضوع البحث، ويمكن تقسيمها على :

أولاً : كتب السيرة النبوية

تُعدُّ كتب السيرة النبوية من المصادر ذات الأهمية الكبيرة، التي اعتمدها في توثيق عدد كبير من الروايات والأحاديث النبوية عن الإمام (عليه السلام)، التي أوردتها المصادر الشامية، ومن هذه الكتب كتاب (سبل الهدى والرشاد) لمحمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)، وقد ذكر فيه سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم وإعلام نبوته، وشمائله، وسيرته، وأفعاله، وأحواله، وتقلباته إلى أن نقله الله إلى أعلى جناته، والمؤلف لم يذكر فيه شيئاً من الأحاديث الموضوعية فيه، وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات مهمة عن حياة الإمام (عليه السلام) في اسمه، ونسبه، وكنيته، وولادته، وصفاته، وفضائله، وعلمه، وزواجه، وحرابه، وغزواته التي شارك فيها إلى جانب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبطولاته، وعن شعره، وحياته مع سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، زيادة

على ذكر السرايا والبعوث من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها إلى اليمن.

وقد اعتمد المؤلف في كتابه على الأحاديث الكثيرة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق الإمام (عليه السلام) مجسداً فيها صفاته وشمائله الحميدة.

ومن كتب السيرة النبوية كتاب (مرشد المحتار إلى خصائص المختار) لابن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)، فهو يتحدث عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشمائله، وفضل الصلاة عليه، وعن الحقيقة المحمدية، وأسرارها النورانية، وقد أمد الكتاب البحث بمعلومات مفيدة، ومنها حديث الصلح الذي تم بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقريش في الحديبية الذي كتبه الإمام (عليه السلام)، وأورد الكتاب أيضاً معلومات عن ميراث فذك، وغيرها من الحوادث التاريخية التي ذكرناها مفصلة في موقعها من البحث.

وكذلك كتب السيرة المفردة ومنها: كتاب (محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب) لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، فقد احتوى هذا الكتاب على سيرة عمر بن الخطاب وفضائله، وقد توسع في إيراد الأحاديث والأخبار في هذا الكتاب. وقد أمد الكتاب البحث بمعلومات قيمة عن الأحكام الشرعية التي أصدرها عمر في خلافته، ولكن الإمام (عليه السلام) أصدر حكماً آخر فيها مستنداً إلى القرآن والسنة، وبموافقة الخليفة عمر بن الخطاب ومنها الحكم في رجم المرأة الزانية، والحكم في طلاق الأمة، وفي لبن ناقة من مال الله وغيرها.

ثانياً : التاريخ العام :

من أهم الكتب التي اعتمدها في هذا المجال كتاب (التاريخ المعبر في أنباء من غير) للعلمي (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م)، ذكر فيه الحوادث العجيبة والوقائع الغريبة والعبر، وأخبار من فات ومن حضر، وفيه أخبار عن الأنبياء، وأحوال الأمم والملوك، وذكر المؤلف فيه تراجم الأعيان من الأئمة الأربعة، والتابعين والعلماء، وأفاد الكتاب البحث بمعلومات عن إسلام الإمام (عليه السلام)، وبقائه في فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة الهجرة ليؤدي الودائع إلى أربابها، ومؤاخاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام (عليه السلام)، وزواج الإمام (عليه السلام) من فاطمة (عليه السلام)، وغزوة بدر الكبرى، فضلاً عن ذكره دور الإمام (عليه السلام) في غزوة الخندق، والصلح بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقريش، وأيضاً مشاركة الإمام (عليه السلام) في غزوة خيبر، وكذلك ذكر خلافة الخلفاء الثلاثة، ودور الإمام (عليه السلام) في حكمهم للدولة، وحروب الإمام ضد الخارجين في الجمل وصفين.

ومن كتب التاريخ السياسي كتاب (النصائح المهمة للملوك والأئمة) للشيخ علوان (ت ٩٣٦هـ / ١٥٢٦م). ويعد هذا الكتاب من كتب التاريخ السياسي، إذ وجه فيه المؤلف خطابه للسلطان بأن عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك في فصول عن الصلاة، والزكاة، وهكذا يبدأ المؤلف بتوجيه السلطان ليعتد رسله وعماله للبحث على عمل هذا المعروف، وقد قدم الكتاب معلومات مهمة للبحث، وهي أقوال الإمام (عليه السلام) عن العالم والشريعة، والسلطان، وذكر الكتاب روايات عن تواضع الإمام (عليه السلام)، وشفقته على الرعية، وعدله في العطاء، وغيرها من الحوادث.

ومن كتب الأدب التاريخي كتاب (أعلام السائلين) لابن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)، جمع فيه المؤلف الرسائل النبوية الشريفة وهي وثائق تاريخية عرفنا منها كاتبيها، وحاملها، والمرسلة إليهم بأسمائهم، وزمنهم وأمكتهم. وقد قدم هذا الكتاب معلومات مفيدة للبحث عن الإمام (عليه السلام) منها بعثه (عليه السلام) إلى اليمن من قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أورد كتاب النبي إلى عمير ذي مران، وإلى كل من أسلم من همدان، وغيرها من المراسلات.

ثالثاً: كتب الحديث :

أفادت هذه الكتب موضوع البحث لاسيما كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، فهو من أشهر كتب الحديث وأوسعها، يحتوي على ما يزيد على ٢٦ ألف حديث نبوي وفيه الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا توجد في الصحيحين. لقد وضع الإمام أحمد هذا الكتاب ليكون مرجعاً للمسلمين وجعله مرتباً على أسماء الصحابة الذين يروون الأحاديث كما هي طريقة المسانيد فجاء كتاباً حافلاً كبير الحجم. وقد رتب كتابه على المسانيد فجعل مرويات كل صحابي في موضع واحد. كما أفاد الكتاب البحث بالأحاديث الكثيرة التي ذكرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإمام علي (عليه السلام) مبيناً فيها فضائله وصفاته التي تمثل مبادئ الإسلام وتعاليمه.

والكتاب الآخر هو (مسند البزاز) لمؤلفه أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ابن خلاد العتكي المعروف اشتهاراً بالبزاز، المتوفى سنة (٢٩٢هـ / ٩٠٥م)، وهذا الكتاب هو أحد المسانيد الكبيرة في متون السنة وقد رتب المؤلف وفق إسنادات الصحابة ولم يرتب أسماء الصحابة ترتيباً معجمياً بل بدأ بذكر الخلفاء الأربعة ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة ثم ترجم للعباس فالحسن والحسين، ورتب المصنف

الأحاديث تحت كل صحابي على أسماء الرواة الذين رووا عنه كما ذكر الأحاديث مسندة إلا إذا ورد الحديث في أثناء الكلام على الأحاديث أو لبيان إنه ترك هذا الحديث لعله كذا فربما علق السند أو بعضه فيبدأ بذكر السند ثم المتن إلا إذا جاء الحديث في أثناء الكلام عليه فيؤخر السند. ونبّه على الخلاف في الألفاظ بين الرواة ونبّه على الموافقات والمخالفات والشواهد والمتابعات ونبّه على انفرادات الراوي وما يستتبع ذلك من وجود علة أو نحو ذلك. وكشف عن العلة الخفية والجلية وميّز فيه صحيح الحديث وسقيمه ومعوجه ومستقيمه، كما تكلم عن رواية الحديث من حيث الجرح والتعديل. كما أفاد الكتاب البحث في خطبة الرسول في حجة الوداع: ((إني تارك فيكم الثقيلين... وأذكركم بأهل بيتي))، وحديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سأله من تؤمر بعدك قال: ((إن تؤمروا علياً تجدوه هادياً مهدياً))، وحديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) عن الخليفين أبي بكر وعمر بأنهما سيدا كهول أهل الجنة، وحديثه عن الإمام علي: ((ألا تستخلف علينا)) وحديثه عن الخلافة بعده ثلاثون سنة، وعن معركة الجمل وخروج عائشة لقتال الإمام علي (عليه السلام).

أما كتاب (السنن الكبرى) للنسائي (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م) فقد اشتمل على عدد من النصوص المسندة رتبها المؤلف تحت عدّة كتب كل كتاب تحته أبواب، فضلاً عن ذكر المؤلف للنص الواحد عدداً من الطرق في مكان واحد، ويشير إلى العلل الواقعة في بعض الأسانيد ولاسيما المخالفات والموافقات في الطرق والألفاظ. وقد زاد المؤلف بعض الأبواب وبعض النصوص في السنن الصغرى ليست موجودة في الكبرى، وقد ضمّن المؤلف هذا الكتاب كتباً لا تكون عادةً في كتب السنن ككتاب الفضائل، وكتاب التفسير وغيرها. وهذه محلها في الجوامع وكتب الصحاح وما أشبهها لذا لم يتعرض لها في المجتبى. لقد أفاد الكتاب البحث بالأحاديث النبوية

الشريفة التي رواها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن زواج الإمام علي (عليه السلام) وفي إيمانه وإسلامه وبيعة الغدير ودور الإمام في غزوة خيبر.

وكذلك كتاب (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، وهو كتاب جامع لغريب الحديث النبوي وغريب الآثار، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب بتفسير المعاني وغريب الألفاظ التي وردت في أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحاديثه. أما كتاب (النهاية في اتصال الرواية) لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، فقد عمل المؤلف في هذا الكتاب على إيراد الأحاديث والآثار بأسانيد المتصلة في جلّ كتبه، فأمدّ البحث بمعلومات عن الأحاديث التي قالها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتتصل رواية هذه الأحاديث بالسيدة فاطمة (عليه السلام) أو عبدالله بن جعفر أو عمار بن ياسر، وغيرهم من الصحابة.

رابعاً: كتب الطبقات والتراجم:

من هذه الكتب التي أفادت البحث وأغنته بمعلومات قيمة كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، ويُعدُّ هذا الكتاب مرجعاً في السيرة النبوية والتراجم والتواريخ، فقد تناول المؤلف فيه السيرة النبوية المطهرة عارضاً لما كان يفتي في المدينة المنورة، ولجمع القرآن، وقد قدم تراجم للصحابة، ومن بعدهم التابعين، وبعض الفقهاء والعلماء، وقد أفاد الكتاب البحث بمعلومات عن اسم المترجم له ونسبه، وإسلامه، ومآثره، وما ورد في فضله ترجمة مطولة، ولذلك قمنا باختصار هذه التراجم.

ومن الكتب الأخرى كتاب (الثقات) لمؤلفه ابن حبان المتوفى سنة

(٣٥٤هـ / ٩٦٥م). ويعد الكتاب من المراجع العلمية المهمة في علم الجرح والتعديل ومعرفة أحوال الرجال، ويرجع إليه أئمة هذا الشأن للكشف عن أحوال الرجال ومعرفة الثقات من المجروحين، وهذا الكتاب يعد موسوعة ضخمة في أسماء رواة الحديث، وابن حبان يجرح الراوي ويفسر هذا الجرح غالباً ولهذا فائدة مهمة عند تعارض الجرح والتعديل في الراوي ويسوق المؤلف ما يُستنكر من حديث الراوي المترجم وهذه الفائدة من أهم فوائد هذا الكتاب. ومن فائدة ذلك أيضاً معرفة ما يُستنكر من حديث الراوي ليتمكن الباحث من النظر في حاله. كما يتميز ابن حبان في كتابه هذا بعباراته القوية. وقد قدّم الكتاب معلومات مهمة للبحث عن تراجم الرجال والشخصيات التي ورد ذكرها في البحث ترجمة وافية.

وأما كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) فهو حسن معتبر في التراجم وموسوعة في تاريخ النساك والزهاد ويشتمل على زهاء (٨٠٠) ترجمة ويتضمن أسماء جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفة والنساك في عصره مع بعض أحاديثهم وكلامهم. وقد ابتدأ بترجمة أبي بكر وباقي الخلفاء ثم تنمى الصحابة العشرة ثم زهاد الصحابة وأهل الصفة ثم التابعين وتابعيهم ثم من يليهم إلى عصره. كما أطل المؤلف في ذكر الأسانيد وتكرار كثير من الحكايات ويعتبر أجمع كتاب وصل في تراجم النساك والزهاد من الصحابة والتابعين حتى أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ويعد كتاب حلية الأولياء موسوعة علمية ضخمة وذلك بما حواه من مادة علمية غزيرة متعددة الجوانب، كما اشتمل الكتاب على رواية عدد كبير من الأحاديث من طرق تفرد بها أصحابها من الغرائب التي قلما توجد مسندة إلا في كتاب حلية الأولياء. وقد احتوى الكتاب على ذكر طائفة من رواة الحديث، وجاءت في تراجمهم بعض العناصر المهمة في تراجم الرواة كذكره لنسب الراوي وما وصف به من العبادة والصالح.

وقد أفاد كتاب حلية الأولياء البحث بأحاديث كثيرة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإمام علي (عليه السلام) في زهده وحبه للمساكين وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي، وإن الإمام (عليه السلام) هو الأول في الإيمان والأو في بعهد الله.

ومن الكتب الأخرى كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، وهو من الكتب التي ألفت في تراجم الصحابة، فترجم فيه مؤلفه لعدد كبير من الصحابة، وقد جمع فيه من صحَّت صحبته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيذكر اسم الصحابي، ونسبته، وشيئاً من سيرته، وما وقع له ووفاته، وعمره، وكذلك يذكر الصحابي، ومن روى عنه وشيئاً ممن روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد استفاد البحث من كتاب الاستيعاب في ترجمة الشخصيات والرجال الذين كانوا صحابة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والإمام (عليه السلام)، وحتى غير الصحابة بدءاً بالولادة وحتى الوفاة.

أما كتاب (تقريب التهذيب) لابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، فهو كتاب الأحاديث النبوية الشريفة، وقد اقتصر ابن حجر في كتابه هذا على اسم المترجم له مختصراً، ودرجة توثيقه، ووظيفته، وتميز الكتاب بأنه لخص الكلام على الراوي بعبارات قصيرة جامعة محررة، وقد أورد الكتاب معلومات غاية في الأهمية للبحث، فقد ترجم للشخصيات والرجال الذين وردت أسماؤهم في البحث بشكل مختصر مفيد. أما كتاب (العقد التمام فيمن زوجة النبي عليه السلام) لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، فإنَّه يبحث في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في النكاح في تزويجه بعض الصحابة، والنساء اللواتي زوجهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحقَّ له أن يفخرن بهذا الزواج، وذلك لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي زوجهن، وقد أفاد هذا الكتاب البحث بمعلومات قيمة عن

زواج الإمام علي (عليه السلام) من فاطمة الزهراء وذكر مهرها وجهازها، وأثاث بيت الإمام وفاطمة (عليهما السلام).

ومن كتب التراجم التي اعتمدها البحث هو كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لمجير الدين العليمي (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م)، والكتاب خلاصة لتواريخ القدس الشريف وبلدة الخليل، وقد أضاف المؤلف في كتابه نبذة من الحوادث والوفيات، وما يتعلق به من ذكر الملوك، والكبراء، والقضاة، والعلماء حتى عام ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤م، زيادة على ذكره بعض الحوادث التاريخية التي تخص الإمام علياً (عليه السلام).

لقد أفاد الكتاب البحث بمعلومات عن زواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة (عليها السلام) وعندما أعطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في معركة أحد بعد مقتل مصعب، وفي الكتاب معلومات عن بيعته الإمام (عليه السلام) للخلافة ووفاته وعمره.

ومن كتب التراجم التي أفادت البحث وقدمت معلومات مهمة له، كتاب (الأئمة الاثنا عشر عند الإمامية) لابن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)، والكتاب عبارة عن شذرات متتقة في تراجم الأئمة الاثنا عشر الذين تسلسلت فيهم الإمامة، أفاد الكتاب البحث بمعلومات مهمة عن اسم الإمام (عليه السلام) ونسبه، وكنيته، وعلمه، وإسلامه، وهجرته، إلى المدينة، والمعارك التي شهدتها مع الرسول (عليه السلام) إلا تبوك، وعن قضائه وزهده، وأشار الكتاب بمعلومات عن إعطاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية له يوم خيبر وهو أرمد، وذكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) آية المباهلة، وخطبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع، وبيعة الإمام (عليه السلام) بالغدير، كما أورد معلومات عن مقتل الإمام (عليه السلام)، ووصيته، وأولاده، وبناته، وذكر أحاديث للرسول (صلى الله

عليه وآله وسلم) عن ذهاب الإمام (عليه السلام) إلى اليمن.

خامساً : كتب الأنساب

كتاب (انساب الأشراف) للبلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩١م) يعدُّ هذا الكتاب من المصادر المهمة في دراسة الأسرة العلوية ؛ فالبلاذري اهتم بتاريخ بني هاشم بصورة عامة، وتاريخ العلويين بصورة خاصة، وقدم معلومات وافية، وإن كان بعضها مختصراً إلا أنَّها ذات قيمة تاريخية، وقد أفاد البحث في ترجمة العديد من الشخصيات الواردة في البحث، وذلك بذكر نسب المترجم له وكذلك ذكر الأخبار والتقصي بها. أما كتاب (الشجرة النبوية في نسب خير البرية) لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) فالقارئ يستطيع أن يصل إلى الشخصيات الواردة في الكتاب دون إطالة، وقد أفاد الكتاب البحث بأن قدم له معلومات ذات أهمية عن بقاء الإمام (عليه السلام) في فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة الهجرة، وذلك لإرجاع الودائع التي كانت عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأورد الكتاب معلومات عن تغسيل الإمام (عليه السلام) الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة عليه عند وفاته. كما أورد الكتاب معلومات عن اسم الإمام (عليه السلام) وكنيته وولادته وغير ذلك، وفيه أيضاً معلومات عن زواج الإمام (عليه السلام) من السيدة الزهراء (عليه السلام) ومعلومات عن وظائف الإمام (عليه السلام) في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

سادساً : كتب اللغة :

ومن كتب اللغة التي اعتمد عليها البحث كتاب (العين) للفراهيدي (ت ١٧٤هـ / ٧٩٠م) وهو أول معجم منسق للغة العربية، يعتمد في ترتيبه على مخارج الحروف من أعماق نقطة من الخلق مروراً بحركات اللسان، وحتى أطراف الشفتين، وبذلك يكون أول حروفه العين وآخرها هو الميم، وقد قام الفراهيدي بوضع الضوابط والأسس التي يتم من خلال تطبيقها والاحتكام إليها تهذيب اللغة، ومعرفة أصالة مفرداتها، والوقوف بوجه من يدخل على العرب ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنية، وقد أفاد كتاب العين البحث إفادة كبيرة، وذلك بإعطاء معاني الكلمات الغامضة والغريبة التي وردت في نصوص البحث، أما (معجم ديوان الأدب) للفارابي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، فقد جاء متصفاً بالإيجاز لأن مؤلفه تجنب التوسع والإطالة بالابتعاد عن المسائل الفقهية والكلامية. وقد أفاد هذا المعجم البحث فائدة كبيرة إذ قدم معانٍ للمفردات الغريبة التي جاءت في نصوص البحث.

ومثله كتاب (تهذيب اللغة) للأزهري (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، وقد اتبع الأزهري في كتابه نظام المخارج، وبدأ بحرف العين، واعتنى بالشواهد القرآنية والحديثية، والقراءات المختلفة، وأشار إلى المهمل، وسبب إهماله، واهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها، واعتنى بذكر المواضع والبلدان، وتوسع في ذكر الألفاظ، وقد أفاد البحث في تفسير معاني الكلمات والمفردات الغريبة التي وردت في نصوص البحث.

أما معجم (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، فقد أفادنا في توضيح العديد من المصطلحات اللغوية التي احتاجت إلى المعاجم اللغوية، لتكشف لنا عن بيان معانيها، ومنها هذا الكتاب، فكان له الدور الكبير في إمطة اللثام عن

العديد من المصطلحات اللغوية لرجل الفصاحة والبلاغة الإمام علي (عليه السلام)،
ويعد هذا الكتاب موسوعة أدبية ولغوية لغزارة مادته العلمية، واستقصائه، واستيعابه
لجلّ مفردات اللغة العربية.

أما كتاب (تاج العروس) للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، فهو على تأخره
يُعدُّ من أوسع معاجم اللغة، وأغزرها مادةً، وأكثرها عنايةً وجمعاً واستقصاءً
لأعلام الأشخاص والبلدان، والمواضع، والنبات، والأعجمي، والمولد، والمغرب،
والدخيل، حتى غدا موسوعة تضم مفردات العربية، وقد أفاد البحث فائدة في إيراد
معاني للكلمات، والمصطلحات الغريبة التي جاءت في نصوص البحث.

سابعاً : كتب الجغرافية التاريخية

كتاب (المسالك والممالك) لابن خردذابة (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، يبدأ الكتاب
بمعلومات جغرافية، ورياضية، ولاسيما وصف هيئة الأرض على أساس رأي
بطليموس، ويتحدث عن اتجاه القبلة في مختلف المدن، والكتاب يعرض معلومات
مهمة للغاية عن الطرق، والمسافات، وميزان الخراج، والألقاب، ومنهجه أخرى
يقدم مسائل غريبة وعجيبة بعيدة عن التصديق والإذعان، وقد أفاد الكتاب البحث
بمعلومات مهمة عن الطرق والمسافات، وفي وصف البلدان، والتقسيمات الإدارية
فيها .

وكتاب (معجم ما استعجم) للبكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، وهو كتاب
جغرافي، ولغوي، وقد وردت فيه أخبار، وتواريخ، وأشعار من المنازل والديار،
والقرى، والأمصار، ويذكر ما بها من معالم، ومشاهد، وجبال، وآثار، ومياه، وآبار،
والدارات، والحرار، منسوبة محددة مبوبة على حروف المعجم، وألّف البكري هذا

المعجم بسبب كثرة أسماء الأماكن التي ترد في الأحاديث، والأشعار، والسير، والتواريخ، وهذا المعجم ليس من المعاجم العامة للبلدان، إنما هو معجم لغوي دقيق من الناحية اللغوية، والنحوية، والصرفية، وقد وردت فيه أسماء البلدان وأماكن لم ترد في معجم البلدان لياقوت الحموي.

وأفاد هذا المعجم البحث بمعلومات مهمة جداً عن المدن، والأماكن، والمعالم، والقري، والأمصاير التي وردت في البحث.

وكذلك كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وقد أسهمت كتب الجغرافية في تحديد الكثير من المواقع الجغرافية الواردة في هذا البحث وقدمت معلومات مهمة عن بعض المدن، والأحداث التي حدثت فيها، كما أنها أوردت وصفاً للبلدان، والمدن، والدول بأسلوب عربي بليغ ومنها هذا الكتاب.

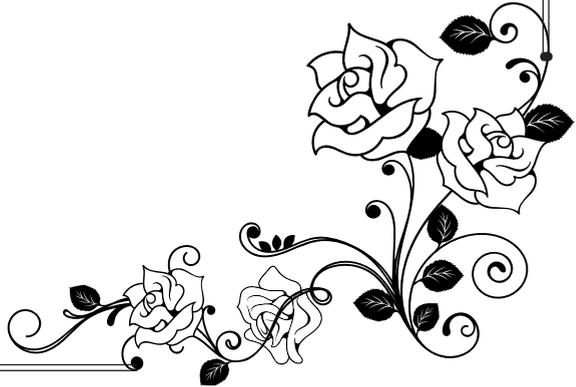
ثامناً : المراجع

اعتمد البحث على مراجع عدة، منها: كتاب (الأعلام) للزركلي (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، والمستشرقين، واستوعب المؤلف -أو كاد- المشاهير من المترجم لهم على مر التاريخ، ولم يختص بطائفة دون أخرى، أو شخصية دون أخرى، أو عصر دون عصر، وإنما جعل أساس الترجمة شهرة المترجم له، وقد لخص وصف من يُترجم له بأنه من كان صاحب علم أو خلافة، أو مُلك، أو إمارة، أو من كان من أصحاب المناصب العليا والتقدم، في دولة، أو مذهب، أو فكر، المهم أن يكون الشخص المُترجم ممن يتردد ذكرهم ويُسأل عنهم، وقد أفاد كتاب الأعلام البحث في ترجمة المشاهير من المؤرخين والمؤلفين الذين وردت أسماءهم في البحث.

و(معجم اللغة العربية المعاصرة) للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، وهذا المعجم قام بإثبات كافة المعلومات التي يتظرها مستعمل المعجم، والتي تتعد عنها المعاجم الأخرى، أما تيسيراً للوقت، أو العجز عن تناولها، فضلاً عن إطاء المعجم اهتماماً بالغاً بالمصطلحات التي تنوعت، و صاحب المعجم تجنب عيوب الأعمال السابقة، فهو لم يعتمد اعتماداً كلياً على معاجم السابقين وإنما ضمَّ مادة غنية بالكلمات الشائعة، والمستعملة باستخدام تقنية حاسوبية متقدمة تم بمقتضاها إجراء مسح لغوي مكثف لمادة مكتوبة، ومجموعة تمثل اللغة العربية المعاصرة أصدق تمثيل، وقد أفاد معجم اللغة المعاصرة البحث، بتفسير المعاني، والمفردات الغامضة غير المفهومة، وإعطائها معاني لتوضيح غامضها.

تمهيد

بلاد الشام في القرن العاشر الهجري



التمهيد

١- الأحوال العامة لبلاد الشام في القرن العاشر الهجري :

الحالة السياسية

قامت الدولة المملوكية في مصر على أنقاض الدولة الأيوبية وبالتالي أصبحت بلاد الشام تحت سيطرتهم أيضاً^(١).

ويبدو أن هذه المرحلة الزمنية كانت هامة في تاريخ الأمة الإسلامية في مصر وبلاد الشام وهي الفترة الممتدة من نهاية المماليك الى بداية العثمانيين وما ترتب على هذا الانتقال من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وإدارية في مصر وبلاد الشام^(٢). فالأحداث السياسية في تلك الفترة مليئة بالفتن والاضطرابات والثورات المتكررة على السلاطين، فلذلك نجد أن عدد السلاطين الذين بويعوا في هذه الفترة قد وصل الى ثلاثة وعشرين سلطاناً، كما إن تلك المناطق - مصر وبلاد الشام - قد أصبحت

١- صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، بحث منشور على الموقع الإلكتروني www.alkottob.com، ص ٩.

٢- ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١/ ص ٥.

مسرحاً للصراع بين قوى متعددة^(١).

وهذا الصراع حمل عدداً كبيراً من أبناء الجراكسة على دخول سوق النخاسة ونقلوا الى مصر. وقد اختلف هؤلاء في مقدرتهم على الحكم وقدراتهم من حيث الشخصية والعلم والجهل والدهاء والسذاجة والظلم أو العدل، فضلاً عن اضطراب الأسواق بشغب المماليك الذين يسمون (الجلبان)^(٢) وقد عمّ فسادهم في هذا العصر وصاروا أذى للناس في كل مكان وغطت مساوئهم اواخر القرن التاسع/الخامس عشر الميلادي واوائل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقد اشتهر عصرهم هذا بأحداث سياسية كثيرة شغلت السلاطين والنواب عن القيام بما يجب عليهم إزاء دينهم وأمتهم^(٣).

وقد تعرضت دولة المماليك في مصر وبلاد الشام لكثير من الثورات الداخلية والفتن^(٤).

كما اشتهر عصر المماليك بالمؤامرات وكثرة الدسائس التي تحاك في الظلام ضد اعدائهم أو ضد بعضهم، الآباء ضد الأبناء والأبناء ضد الآباء والزوجات ضد الأزواج والأولاد ضد الأمهات والأمهات ضد فلذات الأكباد^(٥).

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٠.

٢- الجلبان: الجلب ما جلب من غنم أو سبي، ويقال: جلبت الشيء جلباً والجليب الذي يجلب من بلد الى غيره والجلبان من المماليك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١/ ص ٢٦٨.

٣- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ١/ ص ١٨.

٤- المصدر نفسه، ج ١/ ص ١٩.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

وبسبب الفوضى التي سادت بين المماليك وما يحصل بينهم من فتن واغتيالات شغلتهم عن رعيتهم جعل الأعراب يغيرون على البلاد وبخاصة المدن كالقاهرة ودمشق وكانت علاقتهم بالسلطان ونائب دمشق علاقة عداة أدت الى حصول الكوارث والفتن ، وفي سنة (٩٠٦هـ / ١٥٠٠م) زاد شرهم وقطعوا الطريق على الحجاج والتجار^(١)، حتى نودي في دمشق بالجهاد ضدهم ، وفي السنة التي بعدها سنة (٩٠٧هـ / ١٥٠١م) وصلوا الى اطراف دمشق ونهبوها فخرج عليهم نائب دمشق ومعه مقدم البقاع ناصر الدين الحنش،^(٢) ثم تتالت الهجمات عليهم وهكذا كانت الحرب سجال ولم تحسم بأي حال^(٣).

وربما تكون هذه الثورات والانتفاضات في اطراف دمشق احتجاجاً أو اعتراضاً أو رفضاً لحكم المماليك وأساليبهم في سياسة البلاد ولا شك إن هذا عمل غير مشروع^(٤).

ولا ريب إن الأحداث السياسية قد اظهرت ان المنطقة في تلك الحقبة تتحكم بها

١- المصدر نفسه، ج ١ / ص ٢٠.

٢- ناصر الدين الحنش: ينتمي الى أسرة آل حنش وكان لها دور في ادارة شؤون مناطق واسعة من بلاد الشام في عهد المماليك الشراكسة، وفي بداية العهد العثماني خرج ناصر الدين صاحب صيدا والبقاعين عن طاعة السلطان العثماني وقد استولى عن جان بردي الغزالي على صيدا وفرّ الامير ناصر ثم قتل فولى السلطان سليم الاول على بيروت وصيدا. وقد اصبح ناصر بن حنش مركز قوة خلال الفترة الانتقالية بين المماليك والعثمانيين. ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج ٢ / ص ٧٧.

٣- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ١ / ص ٢٠.

٤- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ١ / ص ٢٠-٢١.

ثلاث قوى تلتقي وتفترق وفقاً لمقتضيات المصلحة المتعلقة بكل منها^(١)، أما تلك القوى فهي:

- ١- الدولة المملوكية في مصر والشام
- ٢- الدولة الصفوية في إيران
- ٣- الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وكان التنافس يجر بأطراف تلك القوى كل على حساب جارتها.

وقد سبقت الدولة المملوكية في نشوئها كلاً من الدولتين السابقتين ولقد واصلت الدولة المملوكية الثانية الجراكسة صراعها ضد الصليبيين والمغول ووصلت الحدود الشمالية للدولة إلى منطقة ملطية^(٢) والأبلستين^(٣). أما القوة الثالثة في المنطقة فهي الدولة العثمانية في آسيا الصغرى وسرعان ما اتسعت رقعتها وبقيت علاقتها بالدولة المملوكية الثانية علاقة ودية^(٤).

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٠.

٢- ملطية: بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وهي مدينة من بناء الاسكندر فيه جامعها من بناء الصحابة كما انها تقع بأرض الروم وهي مدينة مشهورة تتاخم الشام وبها جبل فيه عين وهذه العين يخرج منها ماء عذب ضارب إلى البياض يشربه الانسان لا يضره شيء فإذا جرى مسافة يسيرة يصير حجراً صلباً. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١/ ص ٥٦٤؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ج ٣/ ص ١٣٠٨.

٣- الأبلستين: بفتح الالف وضم الباء وياء ساكنة وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم وقريبة من أبسس وهي مدينة أصحاب الكهف والرقيم وقيل هي مدينة دقيانوس وفيها آثار عجيبة وأصلها كلمة فارسية من البستان مركبة من الب أي شجاع وسيتان هو مكان وتكتب في التواريخ العربية أبلستين. الحموي، معجم البلدان، ج ١/ ص ٧٥.

٤- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٠.

وقلق العثمانيون بسبب استيلاء المماليك في عهد الأشرف برسباي على جزيرة قبرص. وهكذا استمرت العلاقات الودية بين الدولتين إلى إن تحرش السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) بالمماليك بحجة إنهم وقفوا موقفاً عدائياً من العثمانيين الذاهبين لمحاربة الصفويين، مما دعا السلطان الغوري إلى التقارب مع إسماعيل الصفوي (٩٠٧-٩٣٠هـ/١٥٠١-١٥٢٤م) والتحالف معه فأخذ السلطان سليم يعمل على القضاء على هذا التحالف وانتهى الأمر بهزيمة المماليك في معركة مرج دابق^(١).

وقيل: إن السلطان سليماً قطع رأس الغوري وأرسله إلى اسطنبول في حين دفنت جثته عند حلب والصحيح إنه لم يعلم حاله فاختر طومان باي سلطاناً سنة ٩٢٢هـ وتلقب بلقب الأشرف وهو آخر سلاطين المماليك في مصر والشام^(٢).

كما ذكر خروج قانصوه الغوري^(٣) من مصر إلى بلاد الشام لمواجهة العثمانيين في مرج دابق وهزيمته ونهايته ثم اجتياح العثمانيين مصر وبلاد الشام وما رافقها من حالة الفوضى والاضطراب والفتن التي قامت وسجل ثورة جان بردي الغزالي^(٤)

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١١-١٣. مرج دابق: وهي المعركة التي وقعت سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م والتي قضى بها السلطان العثماني سليم الأول على دولة المماليك في بلاد الشام في حلب وقتل فيها السلطان قنصوه الغوري. العسيري، موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الاسلام، ج ١/ ص ٢٧٣.

٢- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٣.

٣- قانصوه الغوري: وهو السلطان المملوكي الذي لقب بالملك الأشرف وقد تولى حكم مصر من سنة (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م) وكان كثير الدهاء ذارأي وفتنة وتيقظ إلا إنه شديد الطمع كثير الظلم بخيل محب للعمارة. العصامي، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج ٤/ ص ٦١.

٤- ثورة جان بردي الغزالي: وهي الثورة أو التمرد الذي قام به جان بردي الغزالي والي الشام على =

بدمشق ضد العثمانيين^(١).

ومما يذكر في هذا العصر الجهود التي بذلت من قبل المماليك في رد الأخطار التي داهمت بلاد الشام. فقد بذلوا جهداً متواصلاً في صد الأخطار الكبرى التي هدت المسلمين عندئذ منها صدهم للخطر الصليبي والمغولي وحماية ثغور البلاد الإسلامية مدة حكمهم فقد كانت حروب المماليك ضد الصليبيين طويلة وعنيفة حتى امتدت إلى أرمينية^(٢) وقبرص^(٣) وغيرها^(٤).

شهدت الحياة السياسية في هذا العصر (أي في نهاية الدولة المملوكية) ضعف سلطان الدولة وكثرت الخلافات بين الأمراء وحصل بينهم التنازع والشقاق أحياناً كثيرة، بينما كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها وتماسكها مما ساعدها على التغلب على دولة المماليك والاستيلاء على البلاد الشامية والمصرية وما حولها (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)

=الدولة العثمانية وأعلن العصيان عليها وحاول أن يستولي على حلب إلا إنه فشل في ذلك وأمر السلطان سليمان القانوني بقمع الفتنة وقطع رأس المتمرد جان بردي وارسل إلى اسطنبول. الصلابي، الدولة العثمانية-عوامل النهوض وأسباب النهوض، ج ١/ ص ٢٠٠.

١- ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١/ ص ٦.

٢- أرمينيا: وهي ناحية بين أذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة أكثر أهلها نصارى وبها عجائب كثيرة وبها جبل الحارث والخويرث لا يقدر أحد على ارتقاها وقالوا إنها مقبرة ملوك أرمينيا ومعهم أموالهم وذخائرهم. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١/ ص ٤٩٥.

٣- قبرص: وهي جزيرة كبيرة في البحر المتوسط بها مدن كثيرة وقرى عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار وبها معادن الزاج القبرصي الذي ليس في البلاد مثله شيء وبها من المواشي ما يكفي لبلاد الفرنج. سراج الدين بن الورد، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ج ١/ ص ١٦٩.

٤- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٥.

وهنا تبدأ حقبة جديدة من التاريخ^(١).

فإن ما نال البلاد وأهلها في أواخر حكم المماليك قد عجل بالقضاء على دولتهم وفتح قلوب الناس للسلطان سليم الأول وخدمة كثير من أهل الشّان في البلاد قبل مجيئه، كما إنهم بدأوا يتجسسون للعثمانيين فكان ذلك من العوامل القوية التي فتت في عضد الجيش الشركسي وإمالة القوة الى الجيش التركي، ففتحت الشام في وقعة واحدة، ولم يبك على دولة المماليك إلا من كانوا باسمها يتمتعون بالخيرات وينالون مظاهرها ويسلبون نعمها^(٢).

الحالة الاجتماعية

لقد تألفت مدن القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي من عدة طبقات - مجتمع طبقي البنيان شأن المجتمعات الإقطاعية في الشرق والغرب - ورغم تفاوت طريقة الحياة بين طبقاتها لكنها قامت جنباً إلى جنب وترابطت بشبكة قوية، فهناك خيوط ربطت أفراد المجتمع بعضهم ببعض كالعادات والتقاليد والأخوية في الإسلام^(٣). وكان المماليك في بلاد الشام أصحاب السيادة والطبقة المسيطرة ذات النفوذ والسلطان في حين خضع أصحاب البلاد الأصليين من أهل الشام للأمر الواقع ورضوا بما فعله المماليك بهم، وقد انقسم أهل بلاد الشام الأصليين الى حضر وبدو وفضلاً عن العصبية العنصرية التي وجدت ببلاد الشام على عصر سلاطين المماليك مثل الأكراد والتركمان والأرمن فقد وجدت ببلاد الشام في ذلك العصر عصبية عديدة مذهبية ودينية كان لها أثر كبير في الأحداث التي شهدتها

١- المصدر نفسه، ص ١٥.

٢- المصدر نفسه، ص ١٥-١٦.

٣- صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، ص ١٠١.

بلاد الشام^(١).

ولكن عند إمعان النظر في المجتمع يتضح انه ينقسم في الواقع الى طبقتين كبيرتين متميزتين في خصائصهما وصفاتهما ونظر الدولة الى كل منهما:

الأولى : الطبقة الحاكمة وتتكون من المماليك.

الثانية : الطبقة المحكومة وتتألف من فئات الشعب المختلفة.

ويمكن الإشارة الى الآثار الاجتماعية التي نتجت عن ظروف معيشية محددة كالترف والفقر فيما يلي :

١- مظاهر البذخ والإسراف في حياة الخاصة وإهمال أموال العامة.

٢- انتشار المجاعات والأوبئة.

٣- كثرة الأعياد الدينية والقومية والاحتفالات والمناسبات^(٢).

٤- إنشاء كثير من المنشآت الاجتماعية المتنوعة مثل الفنادق والخانات والوكالات والأسبلة والحمامات والبيمارستانات وامتألت المدن بالأسواق العديدة المليئة بأصناف البضائع التي خضعت لرقابة المحتسب^(٣).

وتمثلت الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام في القرن العاشر الهجري بالأعياد والمواسم والحفلات الشعبية والمواكب وإقامة الزينات في المناسبات الهامة كانتصار جيش السلطان في الحرب وهي انتصار السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ٢٥-٢٦.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٦-٣٠.

٣- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ٣٠. والمحتسب: هو من يتولى منصب الحسبة، والحسبة من الحساب، وهو منصب كان يتولاه في الدول الاسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب. مصطفى ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١/ ص ١٧١.

١٥٦٦م) عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م في جزيرة رودس^(١) فضلاً عن ذكر موسم الحج الى الديار المقدسة^(٢) في الحجاز فسجل أخبار قافلة الحج والمشرفين عليها في مصر والشام في كل عام منذ خروجها من دمشق والقاهرة حتى وصولها وأخبار عودتها وما تتعرض له من مشكلات واعتداءات في الذهاب والإياب^(٣).

و ذكرت أيضاً جميع الجرائم وأعمال السطو والنهب والسلب التي حدثت في دمشق وضواحيها وقد كتب عن أحداث سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م وهي استمرار الغلاء بدمشق وتزايد الظلم بها وخطف النساء من الأسواق وغيره من القبائح وذكر أخبار الأمراض والأوبئة التي كانت تنتشر في مصر وبلاد الشام بين الحين والآخر كما كتب عن مرض الطاعون^(٤).

الحالة الاقتصادية

لقد تمثلت الحياة الاقتصادية بازدهارها وتطور التجارة والصناعة حيث كثر التجار وأهل الحرف والمهن وتوسعت مناحي الكسب^(٥).

١- جزيرة رودس: وهي الجزيرة التي فتحت في زمن السلطان سليمان القانوني فبعد أن دخل في سياسة تقارب مع فرنسا شنَّ حرباً على رودس ابتداءً من منتصف عام ٩٢٩هـ وكانت حصناً حصيناً لفرسان القديس يوحنا الذين كانوا يقطعون طريق الحجاج المسلمين الأتراك الى الحجاز فضلاً عن أعمالهم العدوانية لخطوط المواصلات البحرية فاهتم السلطان بفتحها وأعدَّ حملة عظيمة ساعده على تحقيقها انشغال أوروبا بالحرب الكبرى بين شارل الخامس وفرنسا ملك فرنسا. الصلابي، الدولة العثمانية، ج ١/ ص ٢٠١.

٢- ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٣/ ص ٢١- ص ٢٢.

٣- المصدر نفسه، ج ٣/ ص ٢٢.

٤- المصدر نفسه، ج ٣/ ص ٢٢.

٥- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ٣٩.

وكانت التجارة عصب الاقتصاد في مجتمع بلاد الشام وكان روادها يكوّنون فريقين، أهل اليسار وأولي النعمة وهؤلاء يأتون في المرتبة بعد أهل الدولة مباشرةً، وقد فاق بعض من هؤلاء أحياناً أصحاب السلطة ثروة وجاهاً فبنوا القصور وتعموا بالرفاهية الزائدة، والفريق الثاني الباعة المتجولون وهم متوسطو الحال^(١).

وكثرت مهمات المحتسب وكانت وظيفته الذهاب إلى الأسواق وتفتيش على البضائع ومنع الغش وختم المكايل والموازين^(٢).

إن الازدهار التجاري كان أحد ركائز الحكم في هذا العصر، وكان للموقع التجاري الأثر الفعال في ذلك، فقد أصبحت منطقة بلاد الشام مركزاً للتجارة العالمية، من الشرق جاءت المنتجات الشرقية وعن طريق المدن الشامية وصلت هذه التجارة إلى أوروبا وبهذا أصبحت مركزاً للتجار الأجانب وخاصة أهل البندقية^(٣).

غير أن هذا الثراء الاقتصادي أخذ في الانهيار بسبب اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وجشع السلاطين واضطراب الأمن^(٤).

الحالة العلمية

إن العلماء هم الطبقة البارزة في المجتمع الإسلامي وهم حفاظ الحديث ومدوّنو التاريخ وهي من أهم العلوم عند العرب في القرون الوسطى، وقد اهتم بها الدارسون والمستشرقون الذين أرادوا الوقوف على أحوال الأمة في قرنٍ أو عصرٍ من العصور، ولهذا فإن دراسة هذه الطبقة وحياتها في بلاد الشام تعطي معلومات مهمة وتلقي

١- صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، ص ١٧-١٨.

٢- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ٣٩.

٣- صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، ص ٢١.

٤- المرجع نفسه والصفحة.

الضوء على حياة المجتمع بمختلف وجوهه^(١).

وقد كانت دمشق مأوى للعلماء أكثر من غيرها من مدن بلاد الشام، فقد توافد إليها هؤلاء العلماء في العصر المملوكي من الجزيرة وبغداد وفلسطين، إذ وجدوا فيها الترحيب والتشجيع والأمان ومجالات الدراسة والتحصيل فضلاً عن الانتعاش الاقتصادي وتوفير سبل العيش والفرصة لإنماء رغباتهم المختلفة، وبهذا شهدت دمشق وغيرها من المدن الشامية عصر نهضة بقدم هؤلاء العلماء، وقد ازدهرت دراسة الحديث والفقه وتأتي مدينة حلب في المرتبة الثانية بعد دمشق كمركز ثقافي علمي. وجد المماليك في العلم وسيلة لجلب قلوب أبناء الشعب ومؤازرتهم^(٢).

وازدهرت الحياة العلمية والثقافية إبان هذا العصر وغدت دولتهم محط الأنظار ومهبط العلماء وسكنهم وذلك لما أصاب عاصمة الخلافة العباسية بغداد على أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، فكانت مصر والشام مسكن العلماء من المشرق والمغرب^(٣).

ومن مظاهر الحركة العلمية في هذا العصر عناية سلاطين المماليك وحرصهم على إنشاء المؤسسات التعليمية من مدارس ومكتبات ورصدت لها الأوقاف لاستدامة الصرف على المدرسين والعلماء^(٤). ومن تلك المدارس: المدرسة الظاهرية بدمشق التي أسسها الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ، والمدرسة المنصورية التي بناها قلاوون داخل باب المارستان^(٥). ومن الأسباب الأخرى التي أسهمت في ازدياد النشاط

١- صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، ص ٣٩.

٢- المرجع نفسه، ص ١١-٢٣.

٣- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ٣٢.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٣.

٥- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ٣٣. والمارستان: والجمع مارستانات، والمارستان بكسر الراء=

العلمي في بلاد الشام هو كثرة المكتبات في المدارس، فقد كانت المدارس مليئة بخزائن الكتب الوافية لغرض إفادة المدرسين والطلاب، ومن هذه المكتبات ما احتوته خزائن المدرسة العمرية حيث احتوت عدة خزائن للكتب الموقوفة من أناس عدة^(١). وكذلك الأوقاف على المدارس ودور التعليم، فقد حرص السلاطين المماليك وغيرهم ممن أنشأ المدارس على استمرارها في أداء رسالتها في نشر العلم وتعليم الأمة، فقد اهتموا بنظام الأوقاف فمن خلاله يتم تأمين الموارد المالية اللازمة للنفقة على تلك المدارس وغيرها من دور العلم^(٢).

وقد أدرك الحكام المماليك والعثمانيون من بعدهم أهمية العلم والعلماء، فأقاموا لهم المدارس والمساجد والزوايا وهذا شيء جديد بالنسبة لأمثالهم من الحكام الذين لا يتمتعون بأي ماضٍ أدبي أو علمي^(٣).

وهكذا فالعلماء لم يكونوا طبقة اجتماعية مميزة غير متجانسة أو متداخلة مع غيرها من الطبقات بل كانت حلقة تجمع بينها كلها، وقد لعبوا دور الوسيط الذين جمعوا أطراف المجتمع بعضها مع بعض، كما اشتهر علماء بلاد الشام بكثرة أسفارهم طلباً للعلم في بعض الأحيان أو لسماع حديث لعالم مشهور، والأماكن التي قصدوها هي القاهرة، ومكة، والقدس ودمشق^(٤).

= دار المرضى وهي لفظة فارسية معربة مركبة من ييمار: وتعني مريض، وسيتان: وتنهاي موضع. دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج ١٠ / ص ٩.

١- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ١ / ص ٢٩.

٢- المصدر نفسه، ج ١ / ص ٣٠.

٣- صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، ص ٢٣.

٤- المرجع نفسه، ص ٢٧-٥٠.

٢- مؤرخو الشام في القرن العاشر الهجري ومنهجهم في الكتابة والتأليف

يمكن القول بأن مؤرخي الشام في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي الذين اعتمدتهم البحث آثروا الإيجاز والاختصار في أكثر مؤلفاتهم وهذا ما جعل القارئ يصل إلى المعلومة دون إطالة وإسهاب وقد يكتفي الكتاب بالإشارة العابرة إلى النسب مثلاً بذكر الاسم ويصل إلى معلومات لا تتجاوز بضع كلمات لتتجلى واضحة أمام القارئ كما في كتاب (الشجرة النبوية) لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، وكتاب (العقد التمام فيمن زوجته النبي (عليه السلام))، لابن عبد الهادي أيضاً، أما كتاب (محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب)، وهو لابن عبد الهادي كذلك، فقد رتبته على أبواب عدة وهي مئة باب شملت سيرة عمر بن الخطاب، وقد تعددت المصادر لدى المؤلف حيث يورد الحادثة التاريخية من مصادر عدة، ولم يعنى المؤلف بالحكم على المتن أو الإسناد إلا نادراً، وقد ظهر تكرار كثير من الأحاديث والآثار، وقد اعتمد المؤلف على مادة كبيرة من الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وكذا الحال في كتاب (النهاية في اتصال الرواية) وهو لابن عبد الهادي، وقد خصصه في اتصال سند الرواية أما بالأئمة أو الصحابة أو التابعين. وأيضاً في كتاب (محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص) لابن عبد الهادي أيضاً فقد عني المؤلف في جعل ترجمته في خمسة وستين باباً منسقة حاوية جميع أحواله وأقواله وأفعاله وشيئاً من مسانيدِه ونبدأ متفرقة حوله. وقد كان المؤلف حريصاً على تفريق بعض الأحاديث على الأبواب لاشتغالها على أكثر من فضيلة له فيها.

أما كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لمجير الدين العليمي (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) الذي قال فيه: ((فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه وسألته

المعونة لي بفضلِهِ في ترتيب وضعِهِ وقد تمكنت من أن أجمعهُ من كتب المتقدمين وأهدب ألفاظهِ من فوائد المؤرخين وتراجم الأعيان على وجه الاختصار فاستعنت بالله سبحانه فيما قصدته^(١). وقد صاغ العليمي كتابه بأسلوب دقيق يمتاز بالرشاقة والرصانة والأمانة العلمية، كما قدم لنا المؤلف صورة دقيقة واضحة المعالم بينة القسّمات حول حدود المدينتين القدس والخليل والأحياء التي كانت تضمها فضلاً من الأبنية والمدارس والحمامات والزوايا والرُّبُط والمساجد. كما يشير إلى التطورات المستجدة فيهما ولاسيما عند حديثه عن الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الذي يحاول المؤلف رصد التحولات الاجتماعية والعمرانية والسياسية في المدينة.

أما كتاب (التاريخ المعتبر في انباء من غبر) للعلمي، فقد عمد المؤلف فيه إلى تدوين التاريخ بدءاً من آدم (عليه السلام) وحتى عام ٨٩٦هـ/ ١٤٩٢م مرتباً على السنين وقد اعتمد فيه على الحوليات والحديث عن نشأة الكون والأنبياء منذ عهد آدم وحتى خاتم المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن أن العليمي قصر همه على ذكر تراجم الأعيان من الصحابة والتابعين وذكر الحكماء والصلحاء مؤثراً في سرده الاختصار على التّطويل والإكثار بأسلوب سهل، بعيداً عن التعقيد في ذكر الأحداث^(٢)، وذكر سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسلوب مختصر مليح حتى انتهى إلى وفاته^(٣).

والحال أيضاً في كتاب (النصائح المهمة للملوك والأئمة) للشيخ علوان (ت ٩٣٦هـ/ ١٥٢٦م) الذي مال فيه إلى الاختصار، إضافة إلى تحذيره في كتابه العلماء

١- الأنس الجليل، مقدمة المحقق، ج ١/ ص ١.

٢- التاريخ المعتبر، مقدمة المحقق، ج ١/ ص ٨.

٣- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٩.

من قبول هدايا الأمراء وتحذيره هذا مستنبط من قصة بلقيس مع النبي سليمان (عليه السلام) ونهج المؤلف في وعظه للسلطان الانتقال بين الترغيب والترهيب والترقيق والاعتبار بمن غبر من الجبابرة، كما بيّن المؤلف أن النصر والعزة للدولة يكونان بالانتصار للضعفاء والأخذ على أيدي المعتدين، كما يلاحظ في الكتاب غلبة الجانب القصصي والإخباري والوعظي وكذلك استدلاله بالقرآن بآية في سورة يوسف ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(١).

أما رسالة (قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج) لعلي بن الحسين الكركي (ت ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م)، التي تسمى بـ(الرسالة الخراجية)، فيبدو أن المؤلف قد التزم طابع عصره من تبويب رسالته وفق تمهيد ومقدمات خمس بمثابة فصول ومقالة، المقدمة الأولى تناولت أقسام الأرضين والثانية الأرض المفتوحة عنوة، والثالثة أرض الأنفال، والرابعة تحديد المفتوحة عنوة، والخامسة تحديد دلالة الخراج، والرسالة مستجمعة لهدف البحث وهو الخراج وما يتصل به من ظواهر مرتبطة بمشروعيته زمن الغيبة.

وأيضاً كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للشامي (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م)، وقال الشامي ((وقبل الشروع في مقاصد الكتاب أُثبت ما فيه من الأبواب وهي نحو ألف باب))^(٢). فضلاً عن إشارته بالقول: ((هذا كتاب اقتضفته من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وتحريت فيه الصواب، وذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من مبدأ خلقه إلى أن نقله الله إلى أعلى جناته))^(٣).

كما تميز الكتاب بحسن التنسيق وإحكام التبويب وغازرة المادة وجزيل المباحث

١- يوسف: آية ١٠١؛ النصائح المهمة، ص ٥٦.

٢- سبل الهدى، ج ١/ ص ٦.

٣- المصدر نفسه، ج ١/ ص ١.

وجم الفوائد.

وكتاب (الأئمة الإثنا عشر) لابن طولون، فقد سلك في هذا الكتاب طريقة الجمع فجمع شذراته من تواليف الذين سبقوه ولم يتوسع بها بل آثر الإيجاز. وقد ذكر أسماء المصادر التي أخذ عنها مثل طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي. والكتاب جامع أخبار الأئمة، والأحاديث التي ساقها المؤلف في آخر الكتاب ربط روايته بالأئمة الكرام.

أما كتاب (الأحاديث المائة المشتملة على مائة نسبة إلى الصنائع)، فقد جمع ابن طولون فيه الأحاديث المائة مشتملة على مائة نسبة إلى صنعة ما اتخذها من ترجم له من أصحاب الحرف، وقد رتبها على نسق بديع وحسب حروف الهجاء ثم يتبعها بحديث.

وعن كتاب (إعلام السائلين في سيرة سيد المرسلين)، لابن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) فإنه كتاب تاريخ لأنه صورة لبزوغ فجر الدعوة الإسلامية، وكتاب أدب، إذ إنه أوتي جوامع الكلم فجاءت رسائله في أوجز عبارة وأدق لفظ، وكونه كتاب لغة فلأن في تلك الرسائل النبوية ألفاظاً جاءت في مواضعها مشتقة من أصولها، وكتاب دعوة فلأن مُلي الرسائل سيد الرسل وإمام الدعاة صدع بما أمر ودعا إلى ربه على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة. والكتاب فيه تكرار لترجم بعض الأعلام كالمغيرة بن شعبة والإمام علي (عليه السلام).

وفي كتاب (مرشد المحترار إلى خصائص المختار) لابن طولون نجد فيه خصائص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفاته بصورة دقيقة ومحقة معتمداً على أقوال العلماء فيه، وقد جعل الكتاب واضحاً مرتباً جامعاً في مادته مهذباً في أبوابه وفصوله

ومسائله. فضلاً عن رتب كتابه على مقدمة وثمانية فصول.

وفي كتاب (وبل الغمام فيمن زوجه النبي (عليه السلام)) لابن طولون أيضاً نلاحظ أنه كتيب مختصر يبحث في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في النكاح.

وكتاب (نشر اللطائف في تاريخ وج^(١) والطائف) لابن عراق الكنانى (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)، قدم المؤلف دراسة تاريخية عن مدينة الطائف ومن سكنها من الصحابة والتابعين ومن مات فيها ودفن بها من العلماء والمؤرخين وقسمها إلى ثلاثة أبواب، الباب الأول عن مدينة الطائف وفضلها وسبب تسميتها، والثاني عن دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهجرته إلى الطائف، والثالث في فضل أهم الصحابة الذين نفوا أو ذهبوا إلى هذا المكان وعاشوا به حقبة من عمرهم. أما الخاتمة فكانت بياناً لأهم الآثار والعمارة الإسلامية التي خلفها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غزوة الطائف، والآبار التي شرب منها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي كتاب (در الحبيب) لابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)، نرى انه تاريخ عام من سنة ٨٦٣هـ الى سنة ٩٧١هـ وقد ترجم المؤلف فيه لرجال عصره ومن سبقهم بجيل من رجال أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وأوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، واتبع المؤلف طريقة المعاجم في ترتيب ترجماته، فهو يرتب التراجم ترتيباً هجائياً حسب الحرف الأول من اسم المترجم له دون أن يعنى في ترتيب الأسماء المتشابهة بالحرف الثاني، أو بأسماء الآباء أو الكنى. كما عني المؤلف بتاريخ وفاة المترجم وذكر الأحداث التي جرت له مع

١- وج: وهي بلد بالطائف. الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٣٣.

المترجم له. فضلاً عن عنايته بالأحداث - أي أحداث عصره.

أما كتاب (الدر النضيد في ادب المفيد والمستفيد) للغزي (ت ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م)، فقد رتب المؤلف الرسالة على مقدمة وستة أبواب وخاتمة، المقدمة في الأمر بالإخلاص والصدق وإحضار النية، الباب الأول في فضيلة الاشتغال بالعلم، الباب الثاني في أقسام العلم الشرعي، الباب الثالث في آداب المعلم والمتعلم، والباب الرابع في آداب الفتوى والمفتي، والباب الخامس في شروط المناظرة وآدابها، الباب السادس والأخير في الأدب مع الكتب وما يتعلق بها تصحيحاً وضبطاً وحملاً وشراءً.

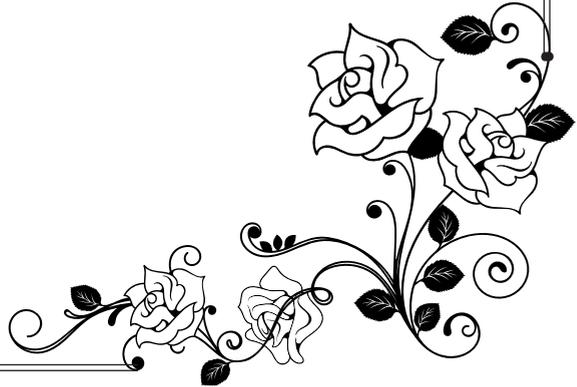
فالقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي هو قرن العلماء الزاهر وخاصة في الدور السياسي الذي أدّوه، فهم طبقة مميزة منفصلة عن باقي أجهزة الدولة تتمتع بالإعفاء من دفع الضرائب وكانت كمنقابة بحد ذاتها تقف متراحة بوجه القانون المدني وتتمتع بالاستقلال الذاتي في توزيع مواردها ومدخولها والحرية الكافية في طرق تدريسهم فالعلماء حافظوا على التراث القديم وأبقوا المجتمع مصبوغاً بصبغة إسلامية مميزة^(١).

إن الحقبة الزمنية التي عالجها البحث قد أبرزت تأثير المدرسة التاريخية الشامية منذ نشوئها بالواقع السياسي سلباً أو إيجاباً. وقد أدت الظروف السياسية إلى ازدهار الحياة العلمية والثقافية وخاصةً إبان عصر المماليك والعثمانيين من بعدهم وأصبحت بلاد الشام مسكن العلماء ومحط رحال الفضلاء، وهذه السمة أهم ما طبعت به الكتابات التاريخية الشامية التي ختمت القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وابتدأت بالسنوات الأولى من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

١ - صعيدي، العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري، ص ١٠٧.

الفصل الأول

حياة الإمام علي (عليه السلام)
ودوره في المصنفات الشامية





المبحث الأول

الإمام علي (عليه السلام) حياته ونشأته في العهد المكي في المصنفات الشامية

ولادته

ولد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة في البيت الحرام لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل^(١). وصادفت ولادة الإمام علي في عام واحد مع الزبير بن العوام وطلحة^(٢) وسعد بن أبي وقاص^(٣).

ولم تشر المصادر الشامية إلى ولادة الإمام علي (عليه السلام) غير ابن عبد الهادي في كتاب الشجرة النبوية، ولا توجد أية أسباب توضح هذا الأمر.

١- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ٨٦.

٢- طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، يكنى أبا محمد وهو المسمى طلحة الفياض، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ وهو ابن ثلاث وستين. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٢٨٢.

٣- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ٨٧. وسعد بن أبي وقاص بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، يكنى أبا إسحاق، مات بالعقيق سنة ٥٥هـ على المشهور. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٢٣٢.

اسمه ونسبه

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المكي المدني الكوفي، أمير المؤمنين، ابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واسم أبي طالب عبد مناف، وهو المشهور، وقيل: إنَّ اسمه كنيته، وأم علي (رضي الله عنهما)، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، أسلمت وهاجرت إلى المدينة^(١). وكان (عليه السلام) أصغر أخويه سنناً فأخوه طالب أكبر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أكبر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أكبر من علي بعشر سنين^(٢).

وذكر (الشامي) (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) رواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولد وأبوه غائب فسمته أمه حيدرة^(٣) فغيّره أبوه إلى علي^(٤).

وقد استشهد الإمام (عليه السلام) بهذا الاسم - حيدرة - في أرجوزة له بمعركة الخندق حين خرج يبارز مرحب اليهودي، فقال مرتجراً^(٥):

١- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٦٢؛ الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٥؛ ابن طولون، الأئمة الاثني عشر، ص ٤٧.

٢- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص ١٥٨.

٣- سبل الهدى والرشاد، ج ١٢/ ص ٢٤٦. والحيدرة: مأخوذ من الحدر، وهو نتوء يظهر في الجلد من الضرب، وقيل: هو اسم من أسماء الأسد. الفارابي، معجم ديوان الأدب، ج ٢/ ص ٤٤.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٦.

٥- المصدر نفسه، ج ١٢/ ص ٢٦٨. وينظر: النويري، نهاية الأرب، ج ١٧/ ص ٢٥٤.



أنا الذي سمّنتني أمي حيدرة كليث^(١) غاباتٍ كرية المنظره
أوفيهم بالصاع^(٢) كيل السنندرة^(٣)

أما والدا الإمام (عليه السلام) فأبوه أبو طالب كان كافل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما توفي عبد المطلب، وذلك أنه لما حضرت عبد المطلب الوفاة دعا أولاده كلهم إلى كفالة رسول الله وحفظه والقيام بنصره، وكلهم نكل وعجز ولم يبذل من نفسه ذلك إلا أبو طالب، وقاه بنفسه دونهم بعد أن رباه حق التربية وكفله حق الكفالة ورعاه حق الرعاية^(٤). وقد أجمعت شيعة آل أبي طالب وأهل بيته وعلماء ولده على أنه أسلم ولكنه أخفى إسلامه اتقاء المشركين واستمالة لهم حتى يحفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونطق بذلك في شعره، ومنه قوله^(٥):

١- الليث: اسم من أسماء الأسد، واشتقاقه من اللوث وهو شدة الجسم والصلابة، واستليث الرجل إذا قوي واشتد. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١/ ص ٤٣٣.

٢- الصاع: مكيال معروف، وهو أربعة أمداد عند أهل المدينة، وثمانية أرطال عند أهل الكوفة. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢/ ص ١٠٧٦؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ج ١/ ص ٢٩.

٣- السنندرة: مكيال كبير، واختلفوا فيه، فقيل هو مكيال كبير مثل القنقل واسع كثيراً، والمعنى من القول: إني أقتلكم قتلاً واسعاً كثيراً. وقيل السنندرة: العجلة، يقال: سنندري إذا كان مستعجلاً في أمره حاداً، والمعنى: أقاتلكم بالعجلة وأبادركم قبل الفرار. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٧/ ص ٣٤٠؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٣/ ص ١٠٣.

٤- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص ١٦٢.

٥- المصدر نفسه، ص ١٦٢-١٦٣. وينظر: ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ج ٢/ ص ٤.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
 ودعوتني وزعمت أنك صادق
 وعرضت ديناً قد شهدت بأنه
 فاقصد لأمرك ما عليك غضاضة^(١)
 لولا الملامة أو حذاري سببة
 لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً
 حتى أوسد في التراب دينا
 ولقد صدقت أو كنت قبل أamina
 من خير أديان البرية دينا
 وابشر بذاك وقراً منك عيوننا

أما أم الإمام (عليه السلام) فهي فاطمة بنت أسد فكانت خير مربية وأم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاة أمه، ويبدو أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تعلق بها كثيراً وأحبها حباً جماً حتى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يناديها بأُمِّي، وروي أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أُمِّي، كنت أُمِّي بعد أُمِّي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده، ثم خلع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد^(٢) فوقه، ثم دعا رسول الله

١- غضاضة: من الغضن، وغضّ النبات وغيره: صار طرياً ناضراً. والغض: غض البصر، ومنه قوله: تلحقه في ذلك غضاضة: أي أمر يغض له بصره. والغضاضة: الفتور في الطرف. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٨/ ص ٧؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤/ ص ٣٨٣.

٢- البرد: وهي البردة وجمعها بُرد، وهي الشملة المخططة، وقيل البرد معروف من برود العصب والوشي، وأما البردة فهي كساء مربع فيه صفرة ونحو ذلك. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٤/ ص ٧٦؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١/ ص ٢٩٥.



(صلى الله عليه وآله وسلم) أسامة بن زيد^(١)، وأبا أيوب الأنصاري^(٢)، وعمر ابن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده وأخرج ترابه، فلما فرغ دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبرها فاضطجع فيه، ثم قال: الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها^(٣)، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين، وكبرّ عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد هو والعبّاس وأبو بكر الصديق، فلما سوى عليها التراب، قال بعضهم: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد فقال: إني ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر، إنّها كانت أحسن خلق الله إليّ صنيعاً بعد أبي طالب^(٤).

وهذا كله يدل على المكانة الكبيرة لوالدي الإمام علي (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعرفاناً منه لما قدمه له وهو صغير، فقد كفلاه يتيماً،

١- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن النعمان بن عامر، يكنى بأبي زيد. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو ابن بضعة وسبعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١/ ص ٣٩٨.

٢- أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف من بني النجار، غلبت كنيته على اسمه. شهد سائر المشاهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدم المدينة مهاجراً فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل. مات في القسطنطينية في زمان معاوية، وكانت غزواته تحت راية يزيد الذي كان أميرهم سنة ٥٠هـ أو ٥١هـ. ابن حديدة، المصباح المضي، ج ١/ ص ٨٨.

٣- لقنها حجتها: لقنها من التلقين أي فهمها، والتلقين هو المشاهدة أو مشاهدة الغير بالتعليم، وإلقاء القول إليه ليأخذه عنك. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٦/ ص ١٢٤؛ دوزي، تكملة المعاجم، ج ٩/ ص ٢٦٧.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٥-٢٤٦.

وربياه صغيراً، واعتنيا به، حتى كبر واشتد وبلغ مبلغ الرجال، ومنعا عنه أذى قريش حين تربصوا به الأذى، فكان هذا العمل - دفن فاطمة - من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاءً لما قدماه له.

كناه (عليه السلام)

كنية الإمام عليّ (عليه السلام) (أبو الحسن)، وكناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، (أبا تراب) فكان أحب ما ينادى به إليه^(١). ولم تشر المصادر الشامية إلى سبب تلك الكنية، أما كنيته (أبو الحسن) فهي على ما يبدو نسبة إلى ابنه الحسن بن علي (عليه السلام).

نشأته (عليه السلام)

نشأ الإمام علي (عليه السلام) في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبين (الشامي) ذلك بالقول: ((كان ممّا أنعم الله على علي أنه كان في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الإسلام، لما أراد الله به الخير، وذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للعباس عمه: وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق فخفف عنه من عياله فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما... فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا فضمه إليه، وأخذ العباس

١- العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ٢٦٢؛ الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٥؛ ابن طولون، الأئمة الاثني عشر، ص ٤٧.

جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعثه الله نبيا فاتبعه وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه^(١).

وكان لنشأة الإمام علي (عليه السلام) في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تأثير كبير على مجمل حياة الإمام، ولذلك تخلق بأخلاق سيد البشر وصفاته الحميدة، التي نزل القرآن الكريم بمدحها إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، فأخذ الإمام من تلك الصفات، وتشرب من هذه الأخلاق.

إسلامه

لا خلاف بين المسلمين على أن الإمام علياً (عليه السلام) أسلم وهو لا يزال صغيراً، لم يبلغ الحلم بعد، وقد ذكر (الشامي) قصة إسلام الإمام علي (عليه السلام)، قائلاً ما نصه: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة يصليان سرّاً ثم إنَّ علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكفرُّ باللات والعزى^(٣). فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب، وكره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلمن

١- سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٣-٤٠٤.

٢- القلم: ٤.

٣- اللات والعزى: اللات صنم كان لثقيف، والعزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنو عليها بيتاً وأقاموا بها سدنة، فبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد إليها فهدم البيت وأحرق السَّمرة. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١/ ص ٦٦، ج ١٥/ ص ١٠٥

أمره، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فإتكم هذا، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع في قلب علي الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علي يا محمد: فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد^(١)؛ ففعل علي (عليه السلام) وأسلم، فمكث علي يأتيه علي خوف من أبي طالب وكنتم إسلامه ولم يظهره^(٢). وعلّق (الشامي) على ذلك بالقول: إنّه ممّا أنعم الله على علي (عليه السلام) أنّه كان في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الإسلام لما أراد الله به من الخير^(٣).

ويبدو لنا أنّ هذا الأمر بعيد عن الدقة، لأنّ الشامي نفسه يُقرُّ بأنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) لم يسجد لصنم قط، فكيف يأمره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يكفر باللات والعزى؟

وروى أيضاً أنّ الإمام (عليه السلام) كان يلازم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في بداية الدعوة فيقول (الشامي): ((وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب^(٤) مكة وخرج

١- الانداد: جمع ندد بالكسر وهو مثل الشيء الذي يُضادّه في أموره، ويُنادّه أي يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] أي أضداداً وأشباهاً. ابن منظور، لسان العرب، ج ٣/ ص ٤١١.

٢- سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٣.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

٤- شعاب: الشعب بالكسر: الطريق، وقيل: الطريق في الجبل والجمع شعاب، والشعاب: فجوة أو انفراج بين جبلين، طريق أو ممر جبلي. ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ج ١/ ص ٣١٣.

معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلاة، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إنَّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا ابن أخي ما هذا الذي تدين به، قال: أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ورساله ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت))^(١).

ونقل عن أبي طالب أنه قال لعلي: ((أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدقت بما جاء به واصلت معه، فزعموا أنه قال له: أما إنَّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه))^(٢). وروي عن علي (عليه السلام) فقال: ((ظهر علينا أبو طالب وأنا أصلي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ماذا تصنعان؟ فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام فقال: ما بالذي تقول من بأس، ولكن والله لا تغلوني استي^(٣) أبدا))^(٤).

١- سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٤.

٢- المصدر نفسه، ج ٢/ ص ٤٠٤.

٣- استي: الاست: الثوب المُسدَّى، وكذلك استي: تركته على حاله، والأستي الذي يسميه النساجون السَّتي وهو الذي يرفع ثم تدخل الخيوط بين الخيوط. ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٣/ ص ٣٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤/ ص ٣٧٠.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٤.

يدعك إلا إلى خير فالزمه))^(١). وروى عن علي (عليه السلام) فقال: ((ظهر علينا أبو طالب وأنا أصلي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ماذا تصنعان؟ فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام فقال: ما بالذي تقول من بأس، ولكن والله لا تعلقوني استي^(٢) أبدا))^(٣).

ويبدو أن هذا القول بعيد عن الحقيقة، كون أبي طالب لا يمكن أن يصدر منه هذا الكلام لأنه كان المدافع الأول عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الإسلام في بداية الدعوة، فكيف يعقل أن يكون الحامي ويتكلم بهذا الكلام الذي لا يدل إلا عن عدم قناعة أبي طالب بالدين الجديد وبما يفعله ابن أخيه وابنه، فضلاً عن ذلك كيف يعقل أن يأمر أبو طالب ابنه ((أما إنّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه))^(٤) ولا يأخذ هو بما جاء به إن كان يعلم بأنه خير؟.

وأشار (الشامي) إلى أن علياً أسلم قبل أبي بكر، وكان علي يكتم إيمانه خوفاً من أبيه حتى لقيه أبوه فقال: أسلمت؟ قال: نعم، قال: وآزر ابن عمك وانصره^(٥).

وذكرت المصادر قصة دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهله وعشيرته

١- المصدر نفسه، ج ٢/ ص ٤٠٤.

٢- استي: الاست: الثوب المُسدّى، وكذلك استي: تركته على حاله، والأستي الذي يسميه النساجون السّتي وهو الذي يرفع ثم تدخل الخيوط بين الخيوط. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٣/ ص ٣٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤/ ص ٣٧٠.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٤.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٤.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

ودور الإمام علي (عليه السلام) بالقول: ((لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا علي اصنع لنا رجل شاة على صاع من طعام - وفي رواية: مد^(٢) - وأعد لنا عس^(٣) لبن ثم أجمع بني عبد المطلب، قال علي: ففعلت، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فقدمت إليهم تلك الجفنة^(٤)، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منها حذية^(٥) فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: كلوا باسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما ترى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله^(٦)). وفي رواية: ((من يأكل المسنة^(٧)) ويشرب العس. فلما أراد

١- الشعراء: ٢١٤.

٢- مد: المد ميكال معروف والجمع مداد، عيار كيل أو وزن أو عدد أو ما أشبهه من وجوه الحصر والتقدير. وهذا تمثيل يراد به التقريب، لأن الكلام لا يدخل في العدد والمداد كالمُد، يقال: مددت الشيء مدأ ومدداً وهو ما يكثر به ويُزاد. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١/ ص ١١٥؛ مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٤/ ص ٣٠٧.

٣- عَس: هو القدح الضخم، وقيل أكبر من الغمر. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ١/ ص ٧٤.

٤- الجفنة: هي القصعة، وأعظم القصاع: الجفنة ثم القصعة تليها، وهي تشعب العشرة ثم الصفحة التي تشعب الخمسة ونحوهم. ابن الجندابي، كفاية المتحفظ، ج ١/ ص ٢٢٣.

٥- حذية: الحذية: القطعة، يقال: حذية مني: أي قطعة، حذيت يريد قُطعت مني. والحذية: ما قُطع أو قُطع من اللحم طويلاً. إبراهيم الحربي، غريب الحديث، ج ٣/ ص ١١٩٠.

٦- الشامي، سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٣٤.

٧- المسنة: هي الكبيرة من النعاج والهرمة والضخمة. المرسى، المحكم، ج ١/ ص ٣٨١.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكلمهم بدره أبو لهب^(١) إلى الكلام فقال: لهد^(٢) ما سحركم صاحبكم. فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما كان الغد قال: يا علي عد لنا بمثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب ففعلت ثم جمعهم إليه فصنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما صنع بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نهلوا^(٣)، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنِّي قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة. ثم قال: من يؤازرني على ما أنا عليه؟ قال علي: فقلت: أنا يا رسول الله وإنِّي أحدثهم سناً وسكت القوم. ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك. قال: دعوه فلن يألو^(٤) ابن عمه خيراً^(٥).

وهذا النص يدل دلالة أكيدة على إن الإمام (عليه السلام) هو أول من أزر ووقف إلى جانب الرسول عندما دعا عشيرته وقومه إلى الدين الجديد وطلب منه النصرة والتأييد.

١- أبو لهب: اسمه عبد العزى بن عبد المطلب، كان فائق الجمال فكناه أبوه أبو لهب لذلك، وكنيته أبو عتيبة. مات بعد وقعة بدر بسبعة أيام ولم يشهد لها، لأنه وجّه العاص بن هشام المخزومي مكانه. البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤/ ص ٣٠٣.

٢- لهد: من اللهد: الصدم الشديد في الصدر، والبعر اللهد: الذي أصاب جنبه ضغطاً من حمل ثقيل فأورثه داءً أفسد عليه رثته فهو ملهود. الفراهيدي، العين، ج ٤/ ص ٢٥.

٣- نهلوا: من أنهل، يقال: أنهلت الأبل: وهو أول سقيها، والناهل في كلام العرب: العطشان، والناهل: الذي شرب حتى روى. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٦/ ص ١٦٠.

٤- فلن يألو: أي لا يقصر عن الخير، وكذلك معناه: لا يدعه ولا يزال يفعله. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١/ ص ٣١؛ المرسى، المحكم، ج ١/ ص ٤٤٧.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٣٤.

أما تاريخ إسلامه فقد ذُكر أنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) أسلم في السنة الأولى من البعثة النبوية^(١). كما ذكر بأنه أسلم وعمره إحدى عشرة سنة^(٢)، وأنه أحد السابقين إلى الإسلام، ولم يسجد لصنم قط^(٣). وقد اختلف في أول من أسلم من الأمة، فنقل المؤرخ (ابن طولون) (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) آراء عديدة حول ذلك فقال: ((وقد اختلف العلماء، في أول من أسلم من الأمة. فقيل: خديجة، وقيل: أبو بكر، وقيل: علي، والصحيح خديجة، ثم أبو بكر، ثم علي))^(٤). وأكد (ابن طولون) على أن أول من أسلم خديجة (رضي الله عنها)، وإنما الخلاف في الأول بعدها، وهذا ما أجمع عليه العلماء^(٥).

وهذا التأكيد على أن الإمام علياً (عليه السلام) هو أول من أسلم لا يختلف عليه المؤرخون، إلا أن بعضهم يذهب إلى أنه لم يبلغ مبلغ الرجال وهذا ما يدفعهم إلى أن يفرقوا بين إسلام الرجال الآخرين وبين إسلام الإمام (عليه السلام).

وزاد (ابن طولون) قائلاً: ((والأورع^(٦) أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر، ومن الصبيان: علي، ومن النساء: خديجة

١- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٤.

٢- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص ١٥٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ١٧٨.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٨.

٤- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٨.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

٦- الأورع: تكون بمعنى الجميل، يقال رجل أورع وامرأة روعاء، والأورع هو مثال التقديم والتأخير.

ينظر: ابن السكيت، الكنز اللغوي، ج ١/ ص ٢٣١.

(عليها السلام)، ومن الموالي: زيد بن حارثة^(١)، ومن العبيد: بلال^(٢). وذكر (العلمي) (ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) أنه: ((أول من صلى علي، وقيل أول من أسلم أبو بكر، وأول ذكر أسلم بعد علي زيد بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر وأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف^(٣)، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسلموا وصلّوا وكان هؤلاء نفرهم الذين سبقوا للإسلام))^(٤).

إلا أنه على الرغم من ذلك، ذكر (ابن طولون) آراء عدد من الصحابة، الذين نقل عنهم بأن الإمام علياً أول من أسلم قائلًا: ((ومن قال بأنّ عليّاً أولهم

١- زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر، يكنى أبا محمد وأمه أم أيمن واسمها بركة، حاضنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومولاته، ولم يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وولد له أسامة بمكة. استشهد يوم مؤتة في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة ثمان للهجرة وهو ابن خمس وخمسين. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١ / ص ٦١؛ ابن حجر تقريب التهذيب، ج ١ / ص ٢٢٢.

٢- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٨. بلال: هو بلال بن رباح، يكنى أبا عبدالله، أسلم أول ما دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان أمية يخرج به إلى رمضاء مكة إذا حميت فيلقبه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، حتى اشتراه أبو بكر من أمية. وكان بلال أول من أذن. توفي سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م بمدينة دمشق وهو ابن بضع وستين سنة. البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١ / ص ١٨٤.

٣- عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، كان أسمه في الجاهلية عبد عمرو وفسماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أسلم عبد الرحمن، يكنى أبا محمد ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل أن يدخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم. وهو أحد العشرة، مات سنة ٣٢ هـ، وقيل غير ذلك. ابن سعد، الطبقات، ج ٣ / ص ٩٢؛ ابن حجر تقريب التهذيب، ج ١ / ص ٣٤٨.

٤- التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٨٤-٨٥.

إسلاماً، عبدالله بن عباس^(١)، وأنس بن مالك^(٢)، وزيد بن أرقم^(٣). و
أورد ابن (طولون) رأياً آخر، نسبه إلى أحد الصحابة وهو بريدة^(٤) الذي قال: ((أولهم
إسلاماً خديجة، ثم علي (عليهما السلام))^(٥). وأضاف (ابن طولون) قائلاً: ((وحكي

١- هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل
خروجهم منه بيسير، وتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ابن ثلاث عشرة سنة، دعا له
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالفهم في القرآن، وكان يسمى البحر والخبر لسعة علمه. توفي سنة
٦٨هـ / ٦٨٧م. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١ / ص ١١٤؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١ / ص ٣٠٩.

٢- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب، خادم رسول الله (صلى الله عليه
وآله وسلم) وروي عنه قوله: خدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين فما أمرني بأمر
توانيت عنه أو صنعته فلامني وإن لامني أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر أن يكون لكان، وقد عمر
طويلاً ومات بالبصرة سنة ٩٣هـ. ابن سعد، الطبقات، ج ٧ / ص ١٢.

٣- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٨. وزيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري، اختلف في
كنيته، فقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو سعد، وقيل أبو سعيد، وقيل: أبو أنيسة، غزاه مع رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) سبع عشرة غزوة، نزل الكوفة وسكنها حتى توفي سنة ٦٨هـ. ابن العديم، بغية
الطلب، ج ٩ / ص ٣٩٧٣.

٤- بريدة: هو بريدة بن الحُصيب بن عبدالله بن الحارث بن الاعرج، يكنى أبا عبدالله، أسلم حين
مرّ به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هجرته من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغنم أتاه بريدة
فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه وكانوا زهاء ثمانين بيتاً،
وقدم بعد أن قضت بدر وأحد إلى المدينة، وأقام مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة،
وبعثه النبي على أسلم وغفار يصدقهم. وظل في المدينة حتى مُصرت البصرة فتحول إليها ثم خرج
منها غازياً إلى خراسان فمات بمرور في ملك يزيد بن معاوية. ابن سعد، الطبقات، ج ٤ / ص ١٨٢.

٥- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٨.

مثله عن أبي ذر^(١)، والمقداد^(٢)،

وجابر^(٣)، وأبو سعيد الخدري^(٤)، والحسن البصري^(٥)، وغيرهم^(٦).

١- أبو ذر: اختلف في اسمه ونسبه، ف قيل جندب، وقيل: برير بن أشعر، وقيل: جنادة بن السكن، والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مُليل بن ضمرة، وقيل جُنادة، روي أنه كان يتعبد قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث سنين، ثم أسلم بمكة في أول الدعوة وهو رابع الإسلام وأول من حيا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتحية الإسلام، وقد شهد له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصدق وبايعه على أن لا تأخذه في الله لومة لائم. توفي بالريذة سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م ودفن بها وولي غسله وتكفينه والصلاة عليه عبدالله بن مسعود في نفر من المسلمين. ينظر: أبو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٢/ ص ٥٥٧؛ الجياني، ألقاب الصحابة، ج ١/ ص ٤٤.

٢- المقداد: هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة، يكنى أبا معبد، وكان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتنه، فكان يقال له المقداد بن الأسود، فلما نزل القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] قيل المقداد بن عمرو. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل حتى دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان بن عفان وذلك سنة ٣٣هـ، وهو ابن سبعين سنة أو نحوها. ابن سعد، الطبقات، ج ٣/ ص ١١٩.

٣- جابر: هو جابر عبدالله بن عمرو، يكنى أبا عبدالله، مات سنة ٧٨هـ وقد كُفَّ بصره وهو ابن أربع وتسعين سنة، وهو آخر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) موتاً بالمدينة. البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/ ص ٢٤٨.

٤- أبو سعيد الخدري: هو مالك بن سنان بن عبيدالله بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف، من كبار الصحابة وأفاضل الأنصار، حفظ أحاديث كثيرة عن رسول الله. مات سنة ٥٤هـ. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١/ ص ١٩٢.

٥- الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري الأنصاري مولاهم، مولى زيد بن ثابت، وقيل مولى جميل بن قطبة، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، وقد روى عن عدد كبير من الصحابة. مات سنة ١١٠هـ. النووي، تهذيب الأسماء، ج ١/ ص ١٦١.

٦- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٩.

وذكر (العليمي) قائلاً: ((اختلف العلماء في أول من أسلم مع الاتفاق أن خديجة أول خلق الله إسلاماً))^(١).

ويؤكد ذلك أيضاً بأن أورد حديثاً عن الإمام علي (عليه السلام) يقول فيه: ((أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقو لها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الناس))^(٢).

وهذه الروايات تدل على أنه (عليه السلام) أول الناس إسلاماً من الرجال أو الصبيان، وتواترت الأخبار والروايات بذلك، أما من يعمل على تقسيم المسلمين إلى رجال وصبيان فهذا الأمر لا يُراد به إلا إلباس الحق ثوباً آخر غير ثوب الحقيقة، فعلي ابن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من أسلم ومن آمن وصلى، ويدل على ذلك ما ذكره (الشامي) قائلاً: ((بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء))^(٣).

وأكد (الشامي) أن علياً (عليه السلام) أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: ((وقد روي أن علي بن أبي طالب أول من أسلم بعد خديجة))^(٤). كما قيل إنّه: ((أول من اسلم مطلقاً خديجة، وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ، وكان خفياً إسلامه، وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة))^(٥).

١- التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٨٤.

٢- المصدر نفسه والجزء والصفحة.

٣- سبل الهدى، ج ٢ / ص ٤٠٥.

٤- المصدر نفسه، ج ٢ / ص ٤٠٧.

٥- سبل الهدى، ج ٢ / ص ٤٠٧.

فيما ذكر (العلمي) أنّ ((أول من أسلم علي، وكان عمره تسع سنين))^(١). ويرى أنّ موجب الاختلاف بالنسبة إلى علي وأبي بكر، بأنّ أبا بكر أول من أظهر إسلامه وأنّ علياً أول من أسلم بعد خديجة^(٢).

ويبدو أنّ هذا الأمر فيه مغالاة، كون أبي طالب كان يساعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحميه ويكف عنه أذى قريش على مرأى ومسمع قريش كلها وبصورة علنية، فلماذا يخاف الإمام علي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أبيه ويكتم إسلامه وهو يعلم أنّ أباه يساعده، بل الأجدد أن يطلب من ابنه أن يبقى معه ويساعده هو الآخر، وهذا الأقرب للواقع!

وروى (الشامي) تأكيداً لقوله هذا حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام) إذ قال لها: ((أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً))^(٣)، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها: ((أما ترضين أن زوجك أول المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً، فإنك سيدة نساء أمتي))^(٤).

وأورد أيضاً أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: ((أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش... أنت أولهم إيماناً بالله - وفي لفظ: أول المؤمنين إيماناً بالله - وأوفاهم بعهد الله وأقومهم

١- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٨٤.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٢/ ص ٤٠٧.

٣- أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢/ ص ٧٦٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٠/ ص ٢٢٩.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥١. وينظر أيضاً: النسائي، السنن الكبرى، ج ٧/ ص ٤٥٦؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ١/ ص ١٣٨.

بأمر الله...))^(١). كما استشهد (الشامي) بشعر علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إسلامه، إذ قال^(٢):

سبقتكموا إلى الإسلام طراً
وأوجب لي الولاء معاً عليكم
صغيراً ما بلغت أو ان حلمي
رسول الله يوم غدير خم^(٥)

صفاته

ذكر المؤرخون صفاته الجسدية، وأسهبوا في تقديم وصف دقيق لجسمه الشريف، فذكر أنه (عليه السلام): ((كان ضخم البطن، شاسع المنكبين، ضخم الذراعين مستدقهما^(٤)، ضخم عضد الساق فوق الربعة^(٥)، ضخم المنكبين، طويل اللحية عظيمها قد ملأت صدره، أبيض الرأس واللحية، إن عيَّته من قريب قلت: أسمر، أصلع، شديد الصلع))^(٦).

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ٢٥٩. وينظر: أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ١/ص ٦٥.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ٢٦٨. وينظر: الجراوي، الحامسة المغربية، ج ١/٥٦٨.

٣- غدير خم: خم: من خممت البيت إذا كنسته، وهو بئر كلاب بن مرة، وقيل: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة، وهو على ثلاثة أميال من الجحفة، وقد خطب عنده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ص ٣٨٩؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٤/ص ٧٠.

٤- مستدقها: المستدق من كل شيء، ما دقَّ منه واسترق، ومن الساعد مقدمه مما يلي الرسغ والخصر من الإنسان والحيوان وسطه وهو المستدق. الزبيدي، تاج العروس، ج ١١/ص ١٧٠.

٥- الربعة: يقال: رجل ربعٌ وربعةٌ ومربعٌ معتدل الخلق. والربعة معروفة، والجمع رباع، ورجل ربعة: بين الطويل والقصير. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٢/ص ٢٢٥؛ ابن سيده، المخصص، ج ١/ص ١٨٤.

٦- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ٢٤٦.

وهذه الصفات لا يمكن تصديقها وخاصة صفة (البطين) لأن الإمام كان مشهوراً بالزهد ولا يأكل إلا القليل من الطعام^(١).

ووصفه (العلمي) بالقول: ((كان علي بن أبي طالب شديد الأدمة، عظيم العينين، بطيناً، أصلعاً، عظيم اللحية، كثير شعر الصدر مائلاً إلى القصر، حسن الوجه لا يُغير شيبته كثير التبسم))^(٢). وقد روي بأن صفاته الأخلاقية الخاصة بالتدين متجسدة في وصف ضرار بن ضمرة الكناني^(٣) للإمام علي (عليه السلام) حين دخل على معاوية فقال له: صف لي علياً، فقال: ((كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، كثير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويبيننا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبه له، فإن تبسم يضىء مثل اللؤلؤ المكنون المنظوم، يعظم أهل

١- ينظر: ص ٤٨ من هذا الفصل.

٢- التاريخ المعبر، ج ١/ ص ٢٧٧؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨ مع اختلاف بسيط في النص.

٣- ضرار بن ضمرة: اختلف المؤرخون في اسمه ولقبه اختلافاً كبيراً، فذكروا أنّ اسمه ضرار بن مرة الشيباني، وقيل ضرار بن عمرو من بني ضبة، وقيل ضرار بن ضمرة الصدائي، وقيل ضرار الضبائي أو الضبائي. ولم تقدم تلك المصادر أي ترجمة لهذه الشخصية، ولم تذكر كذلك أي حادثة أخرى له سوى هذه الرواية. ويبدو أن السبب في عدم ذكر المصادر له هو عدم وجود روايات أخرى له غير رواية وصفه للإمام (عليه السلام) لمعاوية لذلك أحجمت تلك المصادر عنه. فضلاً عن عدم الاتفاق على اسم ثابت له. وأكثر ما ذكرته تلك المصادر أنه كان من خلّص أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وأحد البكائين الأربعة، وقيل أنه حفر قبره قبل موته بخمس عشرة سنة وكان يأتيه فيختم فيه القرآن، وكان ثقة مأموناً. مات سنة ٣٢ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦/ ص ٣٣٨؛ ابن حبان، الثقات، ج ٦/ ص ٤٨٤.



الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله))^(١).

ويستمر ضرار بإعطاء شهادته بحق الإمام علي (عليه السلام) واصفاً زهده وعفته وشدة تدينه، فيقول: ((فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله^(٢) وغارت نجومه يميل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تلملم السليم، ويكي بكاء الحزين فكأنني أسمع الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: إني تغررت، وإني تشوفت؟ هيهات هيهات غري غيري قد بنتك ثلاثاً فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطوك كثير، آه آه، من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فوكفت^(٣) دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، وقال: هذا أبو الحسن، كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح ولدها في حجرها، لا ترقأ دمعها^(٤)، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج))^(٥).

وقد قدم مؤرخو هذا القرن صورة مفصلة عن صفات الأخلاق التي تحلى بها (عليه السلام) في الورع والزهد والتواضع، وفيما يخص تواضعه فقد ذكر أنه: ((كان متواضعاً له ورع^(٦) في الدين، وشفقة على الرعية، وكان يقول: لست بنبي ولا يوحى

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ٢٦٥-٢٦٦.

٢- أرخى سدوله: السدول: الأستار، وكذلك هي: ما جليل به الهودج من الثياب، والسدل: الستر، وجمعه أسدال. الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٩/ص ١٩٥.

٣- وكفت: أي سالت. والمعنى سالت الدموع وذرفت الدموع، وأنها كانت تقطر قطراً. ابن سيده، المخصص، ج ١/ص ١١٥.

٤- لا ترقأ دمعها: ترقأ فهو يرقأ رقوءاً: إذا سكن، ورقأ الدمع إذا انقطع، ولا ترقأ أي لا تسكن ولا تنقطع دمعها. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٩/ص ٢٢٤.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ٢٦٦.

٦- الورع: العفة وهي الكف عما لا ينبغي. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٦/ص ١٠٠.

إليّ، ولكنني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة، فحق عليكم طاعتي، فيما أحببتم أو كرهتم))^(١).

وكان يمشي في الأسواق فيأخذ سيور النعل ويلقطها فيرميها لصاحبها ويرشد الضال، ويُعين الحمال على الحمولة وهو يقرأ هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وشوهد وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته قط^(٣):

ومن سموه وتواضعه، أنه كان يحفظ كرامة رعيته ويحميهم، وخاصة من يأتيه سائلاً حاجة، أو طالباً لمعروف، ومن ذلك ما روي أن رجلاً قال له: ((يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي (عليه السلام): اكتب علي الأرض فيأني أكره أن أرى ذل المسألة في وجهك، فكتب إلي محتاج، فقال: عليّ بحلة^(٥) فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ قائلاً^(٦):

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٧٨.

٢- القصص: ٨٣. ينظر: الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٧٨.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٧. وينظر: أبو بكر الخوارزمي، الأمثال المولدة، ج ١/ ص ٣٣٣.

٤- صنين: من صنّ، والعامّة تقول: صنّ الحمار إذا شمّ بول الأنثى ورفع رأسه بعد ذلك. وصنّ: نوع من الزناييل ويجمع على أصنان. دوزي، تكملة المعاجم، ج ٦/ ص ٤٦٩.

٥- حلة: الحلى لا تكون إلا بثوبين، وهي إزار ورداء من جنس واحد، وإنما سميت حلة لأنها تحل على لبسها كما يحل الرجل على الأرض. الانباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ١/ ص ٤٤٨.

٦- ابن عبد الهادي، بدء العلقة، ص ٥٧. وينظر: ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ١/ ص ٢٩.



كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي قلت مكرمة ولست تبغي بما قد نلتُهُ بدلا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبال
لا تزهد الدهر في زهو توافقه وكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال عليُّ: عَلِيٌّ بالدنانير فأتى بمائة دينار فدفعها إليه فقال الأصبغ^(١): يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار؟ قال: نعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أنزلوا الناس منازلهم، وهذه منزلة هذا الرجل عندي^(٢).

كما روي عن الإمام (عليه السلام) في عدم حبه للمال قوله: ((من وسع عليه في دنياه فلم يعلم إنه مكر به فهو مخدوع عن غفلة))^(٣).

وقال (عليه السلام) في ذم الدنيا: الدنيا جيفة فمن أراد شيئا منها، فليصبر على مخالطة الكلاب^(٤). ومما يروى من شعره في الزهد وذم الدنيا^(٥):

١- الاصبغ بن نباتة: بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم من بني تميم وقد روى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان من أصحابه وكان صاحب شرطة علي (عليه السلام) ويكنى بأبي القاسم. وقد اختلف في وفاته فقيل ١٠١ هـ وقيل ١١٠ هـ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦/ ص ٢٤٧.

٢- ابن عبد الهادي، بدء العلقه، ص ٥٧. وينظر أيضاً: أبو داود السجستاني، سنن بأبي داود، ج ٤/ ص ٢٦١؛ أبو الشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي، ج ١/ ص ٢٨٣.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٧.

٤- المصدر نفسه، ج ١٢/ ص ٢٦٧؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥١.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٧. وينظر: ابن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ج ١/ ص ٦٩.

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس يدركه النعوت
صنيع مليكنا حسنٌ جميل وما أرزاقه عنا تفوت

وروي عنه (عليه السلام) قال: ((لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإنّ صدقتي اليوم لتبلغ أربعة آلاف دينار، وفي رواية وإنّ صدقتي اليوم لأربعين ألفاً))^(١). وروي: أنّه ما بنى لبنة على لبنة^(٢) ولا قصبه على قصبه، وأنّه كان عليه إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم^(٣).

ولم يدخر قط ما لا يقارب هذا المبلغ، ولم يترك حين توفي إلا ستمائة درهم^(٤). روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله للإمام (عليه السلام): ((يا علي إن الله قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها، هي زينة الأبرار^(٥) عند الله عز وجل، الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ الدنيا^(٦) منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً

١- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥١.

٢- لبنة على لبنة: اللبن ككتف: المضروب من الطين مربعاً للبناء، ويقال فيه بالكسر وبكسرتين فكابل لغة، والواحدة لبنة. ويقال: لبنة تلييناً: اتخذها والمقصود ما بنى لبنة على لبنة: ما اشتغل بعمارة الدنيا ولم يتفق بالهوى في عمارتها لأنها مبعوضة لله منذ خلقها، إذ هي سبب انقطاع عباده عن عبادته، ولهذا لما بنى النبي (صلى الله عليه وآله) مسجده اقتصر فيه وقال: (عريش كعريش موسى) ولم يشتغل فيه بالتشديد وزخرف الدنيا مع كونه مسجداً فما ظنك بغيره. المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ١٢/ ص ٩٤.

٣- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٢.

٤- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥١.

٥- الأبرار: جمع البر، وجمع البار: البررة، وفلان يبرُّ خالقه أي يطيعه، وامرأة برةٌ بولدها وبارةٌ. وهو كثيراً ما يخص بالأولياء والزهاد. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ٥٤.

٦- لا ترزأ من الدنيا: ترزأ ورزأ روزاء فهو رازئ ومرزوء، ورزء الشخص: أصابه مصيبة، ورزأ مال شريكه أخذ منه شيئاً فنقصه، ومعنى لا ترزأ من الدنيا شيئاً: لا تأخذ من الدنيا شيئاً فتقصها ولا =

ويرضون بك إماماً))^(١).

وأما زهده فذكر أنه (عليه السلام): ((كان يضع قبضة من دقيق الشعير في قده، فيصب عليه الماء فيقتاته، وكان قميصه بثلاثة دراهم، كمُّه إلى الرسغين^(٢)، ويقول: الحمد لله الذي هذا من رياسته))^(٣). وقيل له: لم ترقع قميصك؟ قال: لأنَّه يخشع القلب ويقتدي به المؤمن، ويبعد من الكبر، وأتي بفالوذج^(٤) فوضع بين يديه، فقال: إنَّك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، ولكن أكره أن أعوِّد نفسي ما لم تعتده))^(٥).

وكان يتعفف عن الأخذ من بيت المال مهما كانت شدة حاجته له، فقد رُئي يوماً بالخورنق^(٦) يردد تحت قطيفة^(٧)، فقيل له: إنَّ الله قد جعل لك ولأهل

=تصيب منها. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٢/ ص ٨٨٣.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٩. ينظر أيضاً: أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ١/ ص ٧١.

٢- الرسغين: الرسغ: هو مفصل ما بين الساعد والكف، أو بين الساق والقدم، ورُسغ القدم: المفصل المشكل من ربط عظام القدم السفلية مع عظم الكامل، وجمعه أرساغ وأرسغ. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٢/ ص ٨٨٧.

٣- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٧٨.

٤- فالوذج: الفالوذج: هي حلواء معروفة وهو الذي يؤكل ويسوى من لبِّ الحنطة. وهي لفظة فارسية معربة، و الحلواء لابد أن تختتم بالهاء على أصل اللسان الفارسي وإذا عُرِّبت أُبدلت الهاء جيماً فقالوا فالوذج. الزبيدي، تاج العروس، ج ٩/ ص ٤٥٤.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٦.

٦- الخورنق: اسم قصر بالحيرة بظهر الكوفة، وهو فارسي معرب، بناه النعمان الأكبر الذي يقال له الأعور، وهو الذي لبس المسوح. وقيل بناه النعمان بن المنذر، وكانت مدة بنائه عشرين سنة. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢/ ص ٩٦.

٧- القطيفة: الدثار المخمل المعروف. ينظر: المرسي، المخصص، ج ١/ ص ٣٦٣.

بيتك في هذا المال حقاً وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله، ما أرزاكم من مالكم شيئاً إنَّها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة^(١).

ولما كان بيت المال يمتلأ بالذهب والفضة، ينادي في الناس فيعطى جميع ما فيه للمسلمين، وهو يقول: ((يا بيضاء يا صفراء غرِّي غيري، ها وها حتى ما بقي فيه درهم ولا دينار، ونضح^(٢) وصلّى فيه ركعتين ليشهد له يوم القيامة))^(٣).

وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على زهد الإمام علي (عليه السلام) وأنه كان لا يبقي لنفسه من حطام الدنيا شيئاً، وفي ذلك من الدروس والعبر المستلهمة من حياة الإمام الشيء الكثير، فهو من جانب يعطي دروساً للناس حول الزهد في الدنيا، متخذاً من نفسه الكريمة مثلاً ليحتذى به، فالإمام بكل ما انطوى عليه من حسب ونسب عالين، ومقام كبير بين المسلمين - فهو الخليفة والإمام والقائد - يقدم نفسه أنموذجاً للمسلمين بزهده وتواضعه وإيمانه، ومن جانب آخر هذه هي صفات علي بن أبي طالب (عليه السلام) بلا تكلف، وكيف لا يكون بمثل هذه الصفات وقد ربَّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجره الطاهر، ونشأ معه في بيته وتحت رعايته الكريمة.

فضائله

أما فضائل ومناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأكثر من أن تحصى^(٤)، وتواترها في المصادر أكثر من أن يستوعبه بحث أو كتاب، وقد أولى مؤرخو القرن

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٦-٢٦٧.

٢- نضح: معناها رشُّه بالماء رشّاً أو يرشُّه بالماء. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦/ ص ٣٠٣.

٣- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٧٨.

٤- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٦٣.

العاشر/ السادس عشر الميلادي - فترة البحث - هذه الفضائل عناية كبيرة، وأوردوا أحاديث كثيرة في فضله ومناقبه، ويقدم الإمام علي (عليه السلام) نفسه مثالا لرعيته في العفة والزهد والتدين، وكان تصرفه إنطلاقاً من إيمانه الراسخ بالرسالة المحمدية والإسلام الذي يعمل على تقديم إنسان مؤمن بالله سبحانه، طائع له. ومن ذلك ما رواه من قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(١).

وأكدت ذلك رواية نقلها ابن (عبد الهادي) حول ما دار من محاورة سعد بن أبي وقاص معاوية بن أبي سفيان، وقد دخل سعد على معاوية فقال له: مالك لا تقاتل معنا؟ فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأم سلمة. فقال معاوية: أما إنني لو سمعته منه لما قاتلت علياً، وفي رواية من وجه آخر: إن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية وإنيهما قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتهما بما حدث به سعد^(٢).

و روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله لعلي (عليه السلام): أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يجاجك فيها أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم وأعدلهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية وأنصرهم^(٣)، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة المحمدية والإسلام الذي يعمل على تقديم إنسان مؤمن بالله سبحانه، طائع له. ومن ذلك ما رواه من قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(١).

١- ابن عبد الهادي، محض الخلاص، ص ٦٠؛ محض الصواب، ج ٣/ ص ٧٨٩؛ الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٢؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٢؛ مع اختلاف بسيط في النص. وينظر أيضاً: ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٦/ ص ٣٦٦.

٢- محض الخلاص، ص ٢٢٨.

٣- الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ١٢/ ص ٢٥٩. وينظر: ابن أبي عاصم، السنة، ج ٢/ ص ٥٩٦؛ المحاملي، امالي المحاملي، ج ١/ ص ٢٠٣.

وآله وسلم) لعلي: قم يا علي فقد برئت، وما سألت الله شيئاً إلا سألت الله لك مثله، إلا أنه قيل لا نبوة بعدك^(١). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: ((ما من نبي إلا وله نظير في أمتي وعلي نظيري))^(٢).

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الإمام علياً (عليه السلام) كان وزيراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ذلك لأن هارون كان وزيراً لموسى (عليه السلام) كما جاء في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)﴾^(٣).

والوزير - في العرف الإداري - يحتل المرتبة الثانية في الدولة بعد الخليفة أو الملك أو القائد، ويحمل أعباء ومسؤوليات الدولة مشيراً ومسانداً وظهيراً، وعلي (عليه السلام) كان كذلك بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ أن نشأ في حجره حتى وفاته. كما دلّ قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن مفهوم الوزارة قد بدأ منذ عهد الرسول، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكد على كون الإمام علي (عليه السلام) هو الوزير.

ومن فضائل الإمام علي (عليه السلام) الأخرى التي ذكرتها المصادر الشامية، ما تم في غدير خم، إذ قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): ((من كنت وليه فعلي وليه، وهو وليكم بعدي: أي يلي أمركم))^(٤)، وورد أيضاً بلفظ: ((إلا إن الله وليي وأنا ولي كل مؤمن، ومن كنت وليه فهذا علي وليه))^(٥)، وفي

١- الشامي، سبل الهدى والشاد، ج ١٢/ ص ٢٦٢.

٢- المصدر نفسه، ج ١٢/ ص ١٧٥. وينظر أيضاً: ابن الاعرابي، معجم ابن الاعرابي، ج ١/ ص ٣٠١.

٣- سورة طه: الآيات ٢٩-٣٢.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٦١. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢/ ص ٥٨٥؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٧/ ص ٣١٠؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ٥/ ص ١٨.

٥- ورد هذا الحديث بألفاظ وطرق عدة، إلا أنها تحمل المعنى نفسه. ينظر: الشامي، سبل الهدى، =



لفظ آخر: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))^(١).

وهذا يدل على أن الإمام علياً (عليه السلام) نصبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده خليفة على المسلمين في غدير خم، ولم يأت التنصيب إلا بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢). والمراد بهذه البيعة أن علياً أصبح ولي المؤمنين بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وولي كل مؤمن ومؤمنة والخليفة بعده.

وورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا وعلي، علي بن أبي طالب ينجز عدلي ويقضي ديني))^(٣)، وقال أيضاً: ((علي مع القرآن، والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا على الحوض))^(٤).

ومن فضائله (عليه السلام) الدالة على حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له، وتأكيداً لذلك في أكثر من كلام وموضع، وقد ورد منها على لسان الإمام علي (عليه السلام) نفسه أنه قال: ((والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي، أن لا يجنبي إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق))^(٥)، وجاء تأكيد هذا الحديث على لسان أبي سعيد الخدري إذ قال: ((كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً))^(٦).

ج= ١٢ / ص ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠.

١- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١ / ص ٢٧٨؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٤.

٢- المائة: ٦٧.

٣- الترمذي، سنن الترمذي، ج ٦ / ص ٧٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ٦ / ص ٢٢١.

٤- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٦١. وينظر أيضاً: الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٥ / ص ١٣٥؛ ابن البيع، المستدرک على الصحيحين، ج ٣ / ص ١٣٤.

٥- ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٦ / ص ٣٦٥؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١٥ / ص ٣٦٧.

٦- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٥-٥٦.

وأوردت المصادر الشامية العديد من الروايات التي تؤكد حب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) وتفضيله إياه، ومن هذه الروايات: قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((علي باب علمي وممين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة ومودته عبادة))^(١).

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يا علي محبك محبي، ومبغضك مبغضي))^(٢)، وقوله أيضاً: ((من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله))^(٣)، وكذلك قوله: ((يا علي، من أحبك فبحبي أحبك، فإن العبد لا ينال ولا يتي إلا بحبك))^(٤). وروي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إن الله - عز وجل - أمرني بحب أربعة - وفي لفظ - أن الله - عز وجل - يحب من أصحابي أربعة: وأخبرني أنه يحبهم علي منهم، وأبو ذر منهم، ومقداد وسلمان^(٥)))^(٦).

١- ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج ١١ / ص ٦٥.

٢- ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج ٦ / ص ٢٣٩.

٣- ينظر: المصدر نفسه، ج ٢٣ / ص ٣٨٠.

٤- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٥٤-٢٥٥.

٥- سلمان: هو سلمان الفارسي، أصله من اصطخر إلا أن أباه نزل رامهرمز من كور الأهواز وكان مجوسياً، وقيل: من أهل أصبهان، وهو من موالي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان مكاتباً فاشتراه وأعتقه، أسلم عند قدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وكان قبل ذلك يقرأ الكتب ويطلب الدين، وكان عبداً لقوم من بني قريظة فكاتبهم فأدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابته وعتق وهو إلى بني هاشم. شهد سلمان الخندق ولم يتخلف عن غزوة من غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). نزل الكوفة ومات بالمدائن في خلافة علي (عليه السلام) سنة ست وثلاثين. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١ / ص ٤٨٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٦ / ص ٩٥.

٦- ينظر الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٥٢؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٤. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢ / ص ٦٤٨.



ومن الروايات الأخرى الدالة على فضله: قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يا علي، طوبى^(١) لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك))^(٢). وقوله أيضاً: ((من فارق علياً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله))^(٣). ونقلت المصادر تشديد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتنبهه إلى أن الإمام علياً أصلب إيماناً وأكثر الصحابة طاعة لله، إذ قال: ((أيها الناس لا تشكوا علياً فإنه والله لأخيشتن^(٤) في دين الله))^(٥). وقوله كذلك: ((علي بن أبي طالب باب حطة^(٦) من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً))^(٧). وقوله كذلك: ((يا علي إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها))^(٨).

١- طوبى: اختلف في معناها، فقال أهل اللغة، معناها: خير لهم، وقال ابن عباس: هي اسم الجنة بالحبشية، وقال عكرمة: معناها: النعمى لهم، وقيل إن معناها: الحسنى لهم، وروي عن قتادة: إنها كلمة عربية، تقول العرب: طوبى لك إن فعلت كذا وكذا. الانباري، الزاهر في معاني الناس، ج ١/ ص ٤٤٩.

٢- ابن عبد الهادي، النهاية في اتصال الرواية، ص ٦٣. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢/ ص ٦٨٠.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٥. وينظر أيضاً: الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٢/ ص ٤٢٣.

٤- أخيشن: معناها الرجل الخشن في دينه إذا كان متشدداً فيه. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١/ ص ٦٠٣.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٨. ينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ١٨/ ص ٣٣٧.

٦- باب حطة: قال بعض المفسرين، حطة معناها: حط ذنوبنا عنا، ولو قرئت (حِطَّة) كانت وجهها في العربية، كأن قيل لهم قولوا: أحطط عنا ذنوبنا حطة. وقيل إنما قيل لبني إسرائيل ﴿وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨] كي يستحيطوا بها أوزارهم فتحط عنهم. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٣/ ص ٢٦٨.

٧- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٢.

٨- المصدر نفسه، ج ١٢/ ص ٢٦٢. وينظر أيضاً: ابن أبي عاصم، السنة، ج ٢/ ص ٤٧٧.

ومن فضائله (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال يوم خيبر: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله))^(١)، فبات الناس يدوكون^(٢) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين عليّ ابن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله! هو يشتكي عينيه، فقال: أرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عينيه، ودعا له فبرئ، حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية^(٣). كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا ينبغي لأحد أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي))^(٤). وكان يدخل المسجد وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق غيره^(٥). وذكرت المصادر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بسد الأبواب الشارعة^(٦) في المسجد وترك باب علي^(٧).

وقد ذكرت المصادر قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن^(٨) كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا،

١- ينظر: البخاري، الصحيح، ج ٥/ ص ١٨.

٢- يدوكون: أي يخوضون فيمن يدفعها إليه، يقال: الناس في دوكة إذا كانوا في اختلاط وخوض. وبات القوم يدوكون دوكاً: إذا باتوا في اختلاط ودوران وشاكنه الشوكة. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، ج ١/ ص ٣٩٧؛ الفارابي، معجم ديوان الأدب، ج ٣/ ص ٣٩٩.

٣- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٢-٥٣.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٢. وينظر أيضاً: الكلاباذي، بحر الفوائد، ج ١/ ص ١٠٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٣/ ص ٣٧٢.

٥- ابن طولون، مرشد المحتار، ص ١٣٩.

٦- الأبواب الشارعة: أي المفتوحة. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٢/ ص ٤٦٠.

٧- ابن عبد الهادي، محض الخلاص، ص ٣١١. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٣/ ص ٩٨.

٨- تأويل القرآن: التأويل: من أول يؤول تأويلاً أي رجوع وعاد، والتأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٥/ ص ٣٢٩.



قال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، ولكنه خاصف النعل^(١)، وكان قد أعطى عليا نعله (يخصفها)^(٢). كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((إن الله لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه، غيري، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي))^(٣).

وقد وردت آيات في فضائل الإمام علي والسيدة الزهراء (عليهما السلام) وهي آية التطهير وآية المباهلة، وذكر (الشامي) عن أبي سعيد قال: لما دخل علي بفاطمة (عليها السلام) جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين صباحاً إلى بابها يقول: ((السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبطهركم تطهيراً، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤))).^(٥) وذكر رواية عن ابن عباس (رض) قال: شهدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعة أشهر يأتي كل يوم باب علي عند وقت كل صلاة فيقول: ((السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٦))).

وروي عن عائشة أنها قالت: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غداً وعليه مرط^(٧) من رجل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاء علي فأدخله معهم فأجلس حسناً وحسيناً في حجره وجلس علي عن يمينه، وجلست

١- خاصف النعل: أي خاطها بالمخصف خرزها أصلحها. عمر، معجم اللغة العربية، ج ١/ ص ٦٥٣.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٠؛ وينظر أيضاً: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ١٧/ ص ٣٩٠؛ أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج ٢/ ص ٣٤١.

٣- ابن طولون، مرشد المختار، ص ٢٢٥. وينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج ٣/ ص ٤٣.

٤- الأحزاب: ٣٣.

٥- سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٣٨.

٦- المصدر نفسه، ج ١١/ ص ٤٣٩.

٧- مرط: كساء من صوف أو خز أو كتان، وقيل هو الإزار. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١/

فاطمة عن شهاه^(١).

وفي آية المباهلة روي أنه لما نزلت هذه الآية ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢)، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٣).

وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على ما لعلي (عليه السلام) وفاطمة سيدة النساء (عليها السلام) من خصوصية عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن الله سبحانه قد كرمهم وكرم نسلهم، وما فعل رسول الله هذا إلا ليري الناس فضل هذا البيت عند الله سبحانه وعنده (صلى الله عليه وآله وسلم). كما يدل على ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين سأله الإمام علي (عليه السلام): أينا أحب إليك؟ قال: هي أحب إليّ منك وأنت أعز عليّ منها^(٤). وهذه الآيات تعتبر من الفضائل العظيمة للإمام والسيدة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام).

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١١ / ص ٤٣٨.

٢- آل عمران : ٦١.

٣- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٣. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٤٤ / ص ١١٩

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١١ / ص ٤٧٧.



المبحث الثاني

دور الإمام علي (عليه السلام) في العهد المدني حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (هـ ١١-٦٢٢-٦٣٢ م)

الهجرة إلى المدينة

بعد أن ازداد أذى قريش للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، وأصبح وجودهم في مكة خطراً يهدد حياتهم، أمرهم النبي أن يهاجروا إلى المدينة. والسبب في ذلك أن قريشاً أجمعوا على قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأتى جبريل وأخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وأخبره بمكر القوم وأذن الله تعالى له بالخروج، فلما كانت العتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: ((نم على فراشي وتسج^(١)) ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم))، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينام في برده ذلك إذ انام^(٢).

١- تسج: تسجى الشخص، أي تغطى بردائه أو بعباءته. عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢/ ص ١٠٣٨.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٢٦.

وعندما أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه بالهجرة إلى المدينة أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به وتخلّف معه أبو بكر وعلي بن أبي طالب (عليه السلام). وكان اتفاق الكفار أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً ليضربوه بسيوفهم ضربة واحدة ليضيع دمه في القبائل، وبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمر علياً أن ينام على فراشه وأن يتشح ببرده الأخضر^(١).

فخرج عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: ((نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم))، وأخذ الله عز وجل على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل يذري ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢)، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب؛ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ((ما تنتظرون ههنا))؟ قالوا: محمداً، قال: (خبيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم)؟ قال: ((فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب))، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده؛ فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي (عليه السلام) من الفراش، فقالوا: ((والله لقد صدقنا الذي

١ - العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ١٠٨. ويتشح: اتشح فلان بثوبه: لبسه، أدخله تحت إبطه فألقاه على منكبه، وتغطى به ثم أخرج طرفه الذي ألقاه على عاتقه الأيسر من تحت يده اليمنى، ثم عقد طرفيها على صدره كما يفعل المحرم. ينظر: عمر، معجم اللغة العربية، ج ٣/ ص ٢٤٤٤.



كان حدثناه))^(١).

وكان المشركون يرجون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجعل علي يتوضأ فإذا هو علي، فقالوا: إنَّك للئيم، إنَّك لتتضور^(٢) وكان صاحبك لا يتضور وقد استنكرناه منك^(٣).

وروى (الشامي) عن ابن عباس قوله: ((شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم نام مكانه))^(٤). وأشار (ابن عبد الهادي) إلى أنَّه حين هاجر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة ومعه أبو بكر، كان بعمر ثلاث وخمسين سنة، ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وكان التاريخ من ذلك، ثم حول إلى المحرم^(٥).

وروي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنَّه قال: إنَّ أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله، علي، وقال في ذلك شعرا^(٦):

١- العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٠٨-١٠٩؛ الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٢٧.

٢- تتضور: من الضور، وضارَّه الأمر أي ضرَّه، والضير والضورة: الجوعة، والتضور: التلوي والصياح من وجع الضرب أو الجوع أي يتضور. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ٤٩٤.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٢٧.

٤- المصدر نفسه والصفحة.

٥- الشجرة النبوية، ص ١٦.

٦- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٢٨.

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى
رسول إله خاف أن يمكروا به
ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحجر
فجناه ذو الطول الإله من المكر
موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبات رسول الله في الغار آمنا
وبت أراعيهم وما يهتمونني
وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

ويرى (الشامي) أنّ السبب المانع لهم من التقم تلك الليلة على الإمام علي (عليه السلام) وهم يظنون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتّهم لم يزالوا قياماً حتى أصبحوا، أنّ بعض أهل السير ذكروا السبب المانع من ذلك مع قصر الجدار وأتّهم إنّما جاؤوا لقتله، أتّهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنّها لسبّة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسوّرنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا، ويؤكد ذلك بالقول: ((فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج))^(١).

ويبدو أنّ هذه الرواية يشوبها الشك، فمن تضافر على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يخشى أن يتسوّر الجدار على الناس، فما أقدموا عليه هو أعظم جرماً عند العرب من التسوّر على بيت من بيوت العرب، سيما وأنّ هذا البيت هو من بيوت بني هاشم، فهم كانوا مصممين على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء أكان في البيت أم خارجه، وفي نهاية الأمر اقتحموا الدار ووجدوا علياً (عليه السلام) مكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما منعهم هتك حرمة البيت من شيء.

فيما ذكر إنّ السبب الذي دعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إلقاء التراب

١ - المصدر نفسه، ج ٣/ ص ٣٢٩-٣٣٠.



على رؤوسهم بالقول: ((الحكمة في كون الموضوع على رأسهم تراباً دون غيره الإشارة لهم بأنهم الأردلون الأصغرون الذين أرغموا وألصقوا بالرغام وهو التراب، وأنه سيلصقهم بالتراب بعد هذا))^(١).

وأشارت المصادر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) استخلف الإمام علياً (عليه السلام) حين هاجر من مكة إلى المدينة، وأمره أن يقيم بعده بمكة أياماً حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يلحقه بأهله؛ ففعل ذلك^(٢). وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعلم علياً بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته^(٣).

وصول الإمام (عليه السلام) إلى المدينة

أقام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة بعد خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أياماً حتى أدى للناس ودائعهم التي كانت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفه ليردها، ثم خرج فلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقباء^(٤) فنزل عند كلثوم بن الهدم^(٥)، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة من البصرة والآخر بالمدينة وقيل إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأتي قباء ماشياً وراكباً ويصلي ركعتين. البكري، معجم ما استعجم، ج ٣/ ص ١٠٤٥.

١- المصدر نفسه، ج ٣/ ص ٣٣٠.

٢- العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٠٨؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٩.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٣٨.

٤- قُباء: بضم أوله وهو موضع في طريق مكة من البصرة والآخر بالمدينة وقيل إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأتي قباء ماشياً وراكباً ويصلي ركعتين. البكري، معجم ما استعجم، ج ٣/ ص ١٠٤٥.

٥- كلثوم بن الهدم: هو كلثوم بن الهدم الأنصاري من عمرو بن عوف، صاحب رحل رسول الله

وسلم) قد نزل عنده حين قدم المدينة^(١).

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) قصة نزوله بقباء بقوله: ((كنت نزلت بقباء وكانت امرأة مسلمة لا زوج لها، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها باهما، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه فتأخذه فاستربت^(٢) شأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف^(٣)، قد عرف آتي امرأة لا أحدي، فإذا أمسى عدا على أو ثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال: احتطبي بها، فكان علي يآثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق))^(٤).

(صلى الله عليه وآله وسلم) يُعرف بذلك، وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل نزول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة، وهو الذي نزل عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حين قدومه في هجرته من مكة إلى المدينة فأقام عنده أربعة أيام ثم خرج إلى أبي أيوب الأنصاري فنزل عليه حتى بنى مسكنه وانتقل إليها. توفي قبل بدر بيسير، وقيل أن كلثوم أول من مات من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد قدومه المدينة لم يدرك شيئاً من مشاهدته. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣/ ص ١٣٢٧.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٧٩.

٢- استربت: من الريب أي الشك والاسم الريبة، وهي التهمة والشك، واستربت إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه. الرازي، مختار الصحاح، ج ١/ ص ١٣٢.

٣- سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث، يكنى أبا سعد. شهد بدرًا وأحدًا وثبت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد، وبايعه على الموت وجعل ينضح يومئذ بالنبل وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (نبلوا سهلاً فإنه سهل)، كما شهد أيضاً المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشهد كذلك صفين مع الإمام علي. مات سنة ٣٨ هـ.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/ ص ٣٥٨.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٣٧٩-٣٨٠.

وهذه الرواية تدل على إن الإمام علياً (عليه السلام) كان غيوراً على المرأة ولاسيما إذا كانت مسلمة، ولا أحد عندها، وهذا ليس بالأمر الغريب على الأخلاق المحمدية.

المؤاخاة

عمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وصوله إلى المدينة المنورة إلى فعل يهدف إلى إشاعة التكافل الاجتماعي بين المهاجرين فيما بينهم من جهة، وبين المهاجرين والأنصار من جهة أخرى، وآخى بين المسلمين، وبعد أن آخى بينهم آخى بينه وبين الإمام علي (عليه السلام)^(١).

وذكرت بعض المصادر التاريخية عن عبدالله بن عمر^(٢) أنه قال: ((آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه، فأخى بين أبي بكر وعمر، وفلانا، حتى بقي علي (رضي الله عنه)، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله: ((أما ترضى أن أكون أخاك))؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت، قال: (فأنت أخي في الدنيا والآخرة))^(٣). كما ذكر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأصحابه: ((تواخوا وهذا أخي)) - يعني علي بن أبي طالب

١ - العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ١٩٢؛ الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٥٢٧.

٢ - عبدالله بن عمر بن الخطاب: أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي، قيل مات سنة ٧٣هـ وبلغ ٨٧ سنة وكان في الجيش الذي أغار به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على بني المصطلق. البخاري، التاريخ الكبير، ج ٥/ ص ٢.

٣ - الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٥٢٧؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٧. مع اختلاف في النص. وينظر أيضاً: الترمذي، سنن الترمذي، ج ٦/ ص ٨٠؛ ابن الإعرابي، معجم ابن الإعرابي، ج ٢/ ص ٦٨١.

(عليه السلام)^(١). وقال له: ((أنت أخي في الدنيا والآخرة))^(٢). وروى (العلمي) أنّ الإمام (عليه السلام) أشار إلى ذلك أيام خلافته بالقول: ((فكان عليّ يقول على منبر الكوفة أيام خلافته: أنا عبدالله وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٣).

وقد أشار (الشامي) إلى رأي ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) الذي أنكر المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام)، وذكر أنّه يرى أنّ السبب في ذلك: ((لأنّ المؤاخاة شرّعت لإرفاق بعضهم بعضاً ولتتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاته لأحد ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري))^(٤)، ويؤكد ذلك بالقول: ((أنّ ذلك ردّ للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة؛ لأنّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض في المال والعشيرة والقوة، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر حكمة مؤاخاة (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (رضي الله عنه)، لأنّه هو الذي كان يقوم بعلي من عهد الصبا قبل البعثة واستمر، وكذلك مؤاخاة حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة لأنّ زيدا مولاهم، فقد ثبتت إخوتها وهما من المهاجرين))^(٥).

وذكرت المصادر أنّ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت في السنة الأولى للهجرة^(٦). وروي عن الإمام علي (عليه السلام) شعر يفتخر فيه بمؤاخاته

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٥٢٨.

٢- المصدر نفسه، ج ٣/ ص ٥٢٩.

٣- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١١٦.

٤- سبل الهدى، ج ٣/ ص ٥٣٤. وينظر أيضاً: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٤/ ص ٣٢.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٣/ ص ٥٣٤.

٦- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٥؛ العلمي، الأنس الجليل، ص ١٩٢.



لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرتها المصادر التاريخية الشامية، ومن هذه الأبيات قوله^(١):

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى يطيرُ مع الملائكة ابن أمي

زواجه (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام)

تزوج الإمام علي (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام)، وبنى بها بعد بدر بأربعة أشهر، أي سنة ٢هـ/ ٦٢٣م، بحسب ما ذكرته المصادر الشامية^(٢).

وذكرت المصادر أن زواجه (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام) كان بأمر الله تعالى، كما نقلوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أكثر من حادثة ورواية، ومن هذه الروايات ما نقله (العليمي) قائلاً: ((إنَّ الله سبحانه وتعال عقد فاطمة لعلي في السماء فنزل الوحي بذلك فجمع الصحابة لذلك وأرسل وراء علي بن أبي طالب وأخبره بالخبر فعقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عقد علي على فاطمة))^(٣).

وأكد (الشامي) ذلك بما رواه عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: ((كنت قاعدا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: إنَّ الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي))^(٤)، كما روى عن أنس، قال: ((كنت قاعدا عند رسول الله (صلى

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٧. وينظر: الجراوي، الحماسة المغربية، ج ١/ ص ٥٦٧.

٢- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٥؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ١٩٤؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٧.

٣- الأنس الجليل، ج ١/ ص ١٩٤.

٤- سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٧٧. وينظر أيضاً: الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٠/ ص ١٥٦؛ الأجرى، =

الله عليه وآله وسلم) فغشيه الوحي فلما سرى عنه قال: يا أنس، أتدري ما جاءني به جبريل من عند صاحب العرش، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله تعالى أمرني أن أزوج علياً من فاطمة))^(١).

وقد روي أنه لما خطب علي (عليه السلام) فاطمة (عليها السلام)، دخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها: ((أي بنية إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين، فبكت ثم قالت كأنك إنما ادخرتني لفقير قريش، فقال: والذي بعثني بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه من السماء، فقالت: رضيت بما رضي الله لي ورسوله، ثم خرج من عندها))^(٢).

ويبدو لنا أن هذه الرواية لا يمكن تصديقها، ولا يمكن الركون إليها، ذلك أن من تربى بحجر النبي الطاهر صاحب النفس الكبيرة والكرم والسخاء، ومن جاء القرآن الكريم بمدحه، لا يمكن أن ينظر إلى الناس بمنظر الغنى والفقر، لاسيما وأنها تعرف مقام علي (عليه السلام) عند أبيها، وبلائه ووقوفه بجانبه في كل الأوقات، فهو شخص غير خاف عنها، زيادة على ذلك فإن أخلاق سيدة النساء (عليها السلام) لا يمكن أن تكون بهذه السطحية - حاشاها.

وكان يطلبها الكثير من الصحابة مهاجرين وأنصار، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزوجها لأحد منهم: كانت فاطمة تذكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يذكرها أحد إلا صدعته حتى يتسوا منها^(٣). ومن الصحابة

=الشريعة، ج ٥/ ص ٢١٢٩.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٧٨.

٢- ابن عبد الهادي، العقد التمام، ص ٢٨؛ ابن طولون، وبل الغمام، ص ٤٣-٤٤.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٨٠.



الذين طلبوها أبو بكر، فقد روي أن عمر بن الخطاب أتى أبا بكر فقال: ما يمنعك أن تتزوج فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يزوجني، قال: إذا لم يزوجك فمن يزوج إنك من أكرم الناس عليه، وأقدمهم في الإسلام قال: فانطلق أبو بكر إلى بيت عائشة، فقال: يا عائشة، إذا رأيت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيب نفس وإقبالا عليك فاذكري له أنني ذكرت فاطمة ففعل الله عز وجل أن يسرها إلي، قال: فجاء رسول الله فرأت منه طيب نفس وإقبال فقالت يا رسول الله إن أبا بكر ذكر فاطمة وأمرني أن أذكرها، فقال: حتى ينزل القضاء فرجع إليها أبو بكر فقالت: يا أبتاه، وددت أنني لم أذكر له الذي ذكرت، ثم إن أبا بكر جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله قد عرفت مني صحبتي، وقدمي في الإسلام قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة، فسكت وأعرض عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر، فقال: هلكت وأهلكت، قال: وما ذاك؟ قال خطبت فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعرض عني، ثم طلبها عمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتاه وقعد بين يديه، فقال: يا رسول الله، قد علمت مني صحبتي وقدمي في الإسلام، وإنني وإني، قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة، فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر، فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها، ثم إن أبا بكر وعمر انطلقا إلى علي وأرادوه أن يطلب مثل الذي طلبوه، قال علي (عليه السلام): فأتاني وأنا في سبيل، فقالا: بنت عمك تخطب فنبهاني لأمر فقمتم لأجر ردائي، طرف على عاتقي، والطرف الآخر في الآخر، حتى أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلقيته^(١).

وروي أيضاً أن سعد بن معاذ^(٢) لقي الإمام علياً (عليه السلام) فقال له: إنني والله

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٧٩-٤٨٠.

٢- سعد بن معاذ بن النعمان بن أمراء القيس بن مالك بن الأوس يكنى أبا عمرو، شهد بدرًا وأحدًا واستشهد في الخندق من سنة ٥ هـ وقد وجد عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجداً شديداً. أبو=

ما أرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجسها إلا عليك، فقال له: علي (عليه السلام): فلم ترى ذلك، فوالله ما أنا بأحد الرجلين ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ما عندي وقد علم ما لي بيضاء ولا صفراء، وما أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه - يعني يتألفه بها، إني لأول من أسلم فقال سعد فإني أعزم عليك لتفرجها عني، فإن لي في ذلك فرجا قال: أقول ماذا؟ قال: يقول: جئت خاطبا إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (مرحبا)، كلمة ضعيفة، ثم رجع إلى سعد، فقال: قد فعلت ما أمرتني به فلم يزد على أنه رحب بي كلمة ضعيفة، فقال سعد: أنكحك رسول الله والذي بعثه بالحق، إنه لا خلف ولا كذب عنده، وأعزم عليك لتأتينه غدا، فلتقولن يا نبي الله، متى تبينني بأهلي؟ فقال علي: هذه أشد علي من الأولى أو لا أقول: يا رسول الله، حاجتي؟ قال: قل كما أمرتك، فانطلق علي، فقال: يا رسول الله، متى تبينني بأهلي؟ قال: الليلة إن شاء الله، قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أو عندك شيء تصدقها به؟ فقلت: فرسي وبُدي، يعني درعي الحطمية^(١)، قال: أمّا فرسك لا بد لك منها، وأمّا بُدُنك فبعها، فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً، فأتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوضعها في حجره، فقبض منها قبضة، فقال: يا بلال ابغنا بها طيباً^(٢).

=نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٣/ ص ١٢٤١.

١- الحطمية: الدرع الحطمية منسوبة إلى إنسان، وقوله (الحطيم من البيت) والحطيم: الحجر من الكعبة. والدرع الحطمية: هي الثقيلة العريضة، وقال بعضهم هي التي تحطم السيوف أي تكسرها، وقيل منسوب إلى حطمة بن محارب وهو بطن من عبد القيس كانوا يعملون الدروع فنسبت إليهم.

ينظر: ابراهيم الحربي، غريب الحديث، ج ٢/ ص ٣٨٩؛ الخطابي، غريب الحديث، ج ١/ ص ٢٩١.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٨٠-٤٨١.

وأوردت المصادر أيضاً رواية عن الإمام (عليه السلام) يذكر فيها خطبته لفاطمة (عليها السلام) يقول فيها: أردت أن أخطب فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرت أن لا شيء لي، ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها، فقال: أين درعك الحطمية التي أعطيتها يوم كذا، وكذا قال: هي عندي، قال: فأعطاها إياه، ثم قال: لا تحدث شيئاً حتى آتيكما، فأتانا وعلينا قטיפة أو كساء، فلما رأنا تحششنا^(١)، فدعا فأتيا بإناء فدعا فيه، ثم رشه علينا، فقلت: يا رسول الله أينما أحب إليك؟ قال: هي أحب إلي منك، وأنت أعز علي منها^(٢).

وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات في كيفية حصول الخطبة والزواج، إلا أن النتيجة التي نخرج منها هي أن المصادر الشامية أجمعت على أن زواج الإمام علي (عليه السلام) كان بأمر الله سبحانه وتعالى، وهذا ما كان يجبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رد من يجيء لخطبتها من الصحابة على اختلاف مكاتبتهم وقربهم منه (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فأمرها - كما هو واضح من النصوص أعلاه - موكول لله سبحانه وتعالى ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يسبقه إلى تزويجها، مما يدل على المكانة الكبيرة التي جعلها الله عز وجل لهذا الزواج المبارك.

١- تحششنا: أي تحركنا للنهوض، وتحشش القوم: إذا تحركوا. ينظر: الخطابي، غريب الحديث، ج ١/ ص ٢٩١؛ قاسم السرقسطي، الدلائل في غريب الحديث، ج ٢/ ص ٦٧٤.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٧٧؛ ابن طولون، وبيل الغمام، ص ٤٢. وينظر أيضاً: ابن عبد الهادي، العقد التمام، ص ٢٧-٢٨. باختلاف قليل في النص. ومعنى الحديث: أنها أقرب إلي والوِّطُّ بالقلب منك. أما قوله أنت أعز علي منها: معناه أنت أعظم قدراً وأرفع محلاً. الخطابي، غريب الحديث، ج ١/ ص ٢٩١؛ الحميدي، مسند الحميدي، ج ١/ ص ١٧١؛ سعيد بن منصور، سنن سعيد، ج ١/ ص ١٩٦.

أمّا صداقها، فقد أشار (الشامي) إلى رواية عن الإمام علي (عليه السلام)، قال: ((خطبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة، فباع عليّ درعاً له وبعض ما باع من متاعه، فبلغ أربعمئة وثمانين درهماً، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجعل ثلثيه في الطيب، وثلثا في الثياب، ومجّ^(١) في جرة من ماء، فأمرهم أن يغتسلوا به))^(٢).

أمّا عن جهازها فقد روي عن جابر (رضي الله عنه) قال: ((كان فراش علي وفاطمة ليلة عرسهما إهاب كبش))^(٣). وعن أسماء بنت عميس، قالت: تزوجت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على درع ومنشفة بمغفرة ونصف قطيفة بيضاء، وقدح وإنها كانت تستتر بكم درعها، وما لها خمار، وقالت فاطمة (عليها السلام): أعطاني رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أصعاً^(٤) من تمر ومن شعر، فقال: ((إذا دخلن عليك نساء الأنصار فأطعميهنّ منه))^(٥).

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) قال: ((ما كان لنا إلاّ أهاب كبش ننام على

١- مجّ: الميم والجيم كلمتان إحداهما تخليط في شيء، والثانية رمي للشيء بسرعة. ومجّ الشراب من فيه أي رمى به، وأمّج الرجل: أسرع في عدوه. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥/ ص ٢٦٨.

٢- سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٧٨.

٣- المصدر نفسه، ج ١١/ ص ٤٨٣. أهاب كبش: أهاب بمعنى جلد، وكل جلد عند العرب إهاب، وجمعه: أهْبٌ وأهْبٌ. الأزهرى، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ج ١/ ص ٢١.

٤- أصعاً: في جمع الصاع: أصعٌ وأصعاً، والصواب: أصوع. وكلام العرب الفرق هو إناء يأخذ ستة عشر مُداً وذلك ثلاثة أصوع. ينظر: الصفدي، تصحيح التصحيف، ج ١/ ص ٦٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠/ ص ٣٠٦.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٨٢-٤٨٣.



ناحيته وفيه تعجن فاطمة علي ناحية))^(١).

لما جهز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السيدة فاطمة إلى علي (عليه السلام) بعث معها بخميلة وهي القطيفة ووسادة من آدم حشوها ليف، ورحيين وسقاء وجرتين^(٢).

وذكر أن عمر السيدة فاطمة، عند زواجها من علي (عليه السلام) خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة وكان ذلك في النصف من السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبني بها في ذي الحجة، وقيل: تزوجها في رجب وقيل: في صفر وسنة (عليه السلام) يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، ولم يتزوج عليها حتى ماتت (عليها السلام)^(٣).

وقد روي علي لسان أسماء بنت عميس قالت: خطبني علي فبلغ ذلك السيدة فاطمة بنت سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت إن أسماء متزوجة علي بن أبي طالب فقال لها: ((ما كان لها أن تؤذي الله ورسوله))^(٤).

كما روي عن ابن عباس (رض) أن عليا (عليه السلام) خطب بنت أبي جهل فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إن كنت تزوجتها فرد علينا ابنتنا، والله لا تجتمع

١- المصدر نفسه، ج ١١ / ص ٤٨٢.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١١ / ص ٤٨٢؛ ابن طولون، وبل الغمام، ص ٣٦.

٣- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١١ / ص ٤٧٦.

٤- المصدر نفسه، ج ١١ / ص ٤٨٧-٤٨٨.

بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل))^(١).

وهذه الرواية لا يمكن تصديقها لأن السيدة (عليها السلام) كانت صابرة مع الإمام على جهد العيش وضيقه وإن لها مكانة وتقديراً كبيرين عند الإمام (عليه السلام) وهو لم يقدم على الزواج من غيرها إلا بعد وفاتها. فضلاً عن أن أخلاق الإمام واعتزازه بالرسول وما يكتنه له من حب واحترام يقف حائلاً بينه وبين هذه الخطبة.

هذا فضلاً عن أن الإمام علياً (عليه السلام) كان يفتخر بهذا الزواج وبأولاده كثيراً وهم أسباط النبوة، وقال في ذلك شعراً:

وبنت محمد سكني وعُرسني منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطاً أحمد ولداي منها وأيكم له قسم كقسمي^(٣)

وكان رسول الله يتعهدهما بالرعاية، فقد روي عن فاطمة (عليها السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتاهما يوماً فقال: ((أين ابناي؟ يعني: حسنا وحسينا، قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي: اذهب بهما، فإنني أتخوف أن يبكي عليك وليس عندك شيء، فذهب إلى فلان اليهودي فتوجه إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدهما يلعبان في شربة بين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا علي ألا تقلب ابناي قبل أن يشتد الحر، قال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله، حتى أجمع لفاطمة شيئاً من التمر، فجعله في صرته ثم أقبل فحمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحدهما وحمل علي الآخر، حتى قبلهما))^(٣).

١- المصدر نفسه، ج ١١/ ص ٤٨٨. وينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩/ ص ٢٠٣.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٧-٢٦٨. وينظر: الجراوي، الحماسة المغربية، ج ١/ ص ٥٦٨.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٩٢.

وعن علي (عليه السلام) أنه قال لفاطمة (عليها السلام) ذات يوم: والله لقد سنوت^(١) حتى اشتكيت صدري، وقد جاء أبوك بسبي فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله، لقد طحنت حتى مجلت^(٢) يداي فأنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ما جاء بك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال ما فعلت؟ قالت: استحيت أن أسأله، فأتينا جميعاً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال علي: يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: يا رسول الله لقد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاءك الله بسبي وسعة، فأخذ منا فقال: والله، لا أعطيكما وأدع أهل الصفة^(٣) تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعاً؛ فأتاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتما، قالوا: بلى، فقال: كلمات علمنيهن جبريل، فقال: تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً، فإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين وكبراً أربعاً وثلاثين، قال الإمام علي (عليه السلام): فوالله ما تركتهن منذ سمعت ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

١- سنوت: سنوت الأرض أي سقيتها وحملت مُسنية، والسواني جمع سانية وهي الناقة التي يستقى عليها، ومعنى سنوت هنا سقيت. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٢/ ص ٤١٥.

٢- مجلت: مجل تمجل أي مرنت، وأمجلها العمل أي صلبت، وقيل المجل أن يكون بين الجلد واللحم ماء. والمجلة: هي قشرة رقيقة يجتمع فيها الماء من أثر العمل، وجاءت الإبل كأنها المجل: أي ممتلئة رواء، وذلك أعظم ما يكون من ريبها. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٧/ ص ٤٥٣.

٣- أهل الصفة: هم الفقراء الضعاف الذين لا دفاع بهم وكانوا أخلاطاً من قبائل شتى ومع كل واحد وفضة، يتخذون من الصفة التي في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مكاناً لهم. ابن منظور، لسان العرب، ج ٧/ ص ٢٥١. وينظر أيضاً: الحميدي، مسند الحميدي، ج ١/ ص ١٧٤؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٢/ ص ٣٤.

وآله وسلم) قال: فقيل له: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين^(١).

وهذه الرواية لا يمكن الأخذ بها والركون إليها لأن الإمام والسيدة (عليهما السلام) هما أكبر من أن يطلبوا المال من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والرسول يرفض بالقول: لا أعطيكم وأدع أهل الصفة، ولو كان عندهما (عليهما السلام) مالاً لشاركاه (صلى الله عليه وآله وسلم) في إعطاء أهل الصفة.

مرض فاطمة (عليها السلام) ووفاتها

وقد روي أن السيدة فاطمة (عليها السلام) توفيت بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسته أشهر، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: مكثت فاطمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة أشهر، وما رُئيت ضاحكة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنهم قد امتروا^(٢) في طرف نابها^(٣).

وروي عن أم سلمة قالت: ((اشتكت السيدة فاطمة بنت سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شكواها التي قبضت فيه فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك، قالت: وخرج علي لبعض حاجته فقالت: يا أمه، اسكبي لي غسلاً فسكبت لها غسلاً فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت: يا أمه،

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٩١-٤٩٢. وينظر أيضاً: ابن عبد الهادي، العقد التمام، ص ٢٢-٢٣؛ ابن طولون، وبل الغمام، ص ٣٧-٣٨ باختلاف قليل. وينظر أيضاً: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٢/ ص ٢٠٣.

٢- امتروا: امترا فيه أي ارتاب وشك فيه وتردد. عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣/ ٢٠٩١.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٩٣.



أعطني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبستها ثم قالت: يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت، ففعلت، واضطجعت واستقبلت القبلة، وجعلت يدها تحت خدها، ثم قالت: يا أمه، إنِّي مقبوضة الآن، وقد تطهرت، فلا يكشفني أحد، فقبضت مكانها، فجاء علي فأخبرته^(١).

وروي عن فاطمة (عليها السلام) أنها قالت لأسماء يا أسماء، إنِّي قد استقبحت هذا الذي يصنع بالنساء، يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ألا أريك شيئاً رأيت به بالحيشة، فدعت بجرائد رطبة فحتمتها^(٢)، ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فغسليني أنت وعلي، ولا تُدخلي عليّ أحداً ثم اصنعي بي هكذا، فلما توفيت صنع بها ما أمرت بعد أن غسلتها أسماء وعلي (عليه السلام)^(٣).

وروي أنّ فاطمة (عليها السلام) لما حضرتها الوفاة أمرت عليا فوضع لها غسلا، فاغتسلت وتطهرت ودعت بثياب أكفانها فأتيت بثياب غلاظ خشن، فلبستها ومست من الخنوط ثم أمرت عليا أن لا يكشف عورتها إذا أقبضت وأن تدرج كما هي في ثيابها^(٤).

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٩٤.

٢- فحتمتها: فحتمت وحت يحت، وحتّ الشجرة: قشرها، وأنحتّ الورق عن الشجر: سقط عنه.

عمر، معجم اللغة العربية، ج ١/ ص ٤٤٠.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١١/ ص ٤٩٤.

٤- المصدر نفسه، ج ١١/ ص ٤٩٣.

زوجات الإمام (عليه السلام) بعد الصديقة الطاهرة وأولاده

ذكر ابن (طولون) أن الإمام علياً (عليه السلام) تزوج خمس نسوة، وولد له سبعة وعشرون ولداً، منهم اثنا عشر ذكراً وخمس عشرة أنثى^(١).

وذكر إن زواج الإمام علي (عليه السلام) بعد وفاة الصديقة فاطمة (عليها السلام) بأمامة^(٢) بوصية من فاطمة (عليها السلام)^(٣). فلما حضرت أمير المؤمنين الوفاة، قال لأمامة لا آمن أن يخطبك معاوية، فإن كنت لا بد لك من الحاجة للرجال فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب^(٤) عشيراً، وبعد وفاته خطبها معاوية وبذل لها مئة ألف دينار فأرسلت إلى المغيرة: إن كان بك إلينا حاجة فأقبل، فزوجها منه الحسين بن علي (عليه السلام) فولدت له يحيى وبه كان يكنى^(٥). وتزوج ليلى بنت مسعود وله منها عبيد الله وأبو بكر، وتزوج الصهباء^(٦) وله منها عمر ورقية، وتزوج من أسماء وله منها يحيى، وتزوج من أم البنين^(٧) وله منها

١- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨-٦٠.

٢- أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وأمها زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). تزوجها الإمام علي (عليه السلام) بعد فاطمة (عليها السلام) فقتل عنها ولم تلد له شيئاً فخلع عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب. ماتت في حدود الخمسين للهجرة. ابن سعد، الطبقات، ج ٨/ ص ١٨٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٩/ ص ٢١٧.

٣- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٢١.

٤- المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وأمه ضريبة بنت سعيد بن القشب بن جندب بن عبد الله بن رافع من الازد. ابن سعد، الطبقات، ج ٥/ ص ١٦.

٥- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٢١.

٦- الصهباء: وهي أم حبيب التغلبية بنت ربيعة بن بجير بن العبد بن الحارث بن وائل، وكانت سبية أصابها خالد بن الوليد حين أغار على بني تغلب بناحية عين التمر وأرسلها إلى أبي بكر مع بقية السبي فصارت إلى علي أي اشتراها منه. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/ ص ١٤.

٧- أم البنين: وهي فاطمة بنت حزام بن ربيعة بن الوحيد وهو عامر بن كعب بن كلاب، تزوجها=



(جعفر والعباس وعبدالله وعثمان)، وأم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأمامة وأم أبيها ((وسائر أولاده لأمهات أولاد شتى))، وكذلك من ولده عمر ومحمد الأصغر^(١). وتزوج خولة بنت جعفر^(٢) الحنفية وله منها محمد والمعروف بابن الحنفية^(٣)، وقد بشر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي بالقول: ((سيولد لك بعدي غلام وقد تجعله اسمي وكنيتي ولا يحل لأحد من أمتي بعده))^(٤)، وقد وُصف بأنه كان رجلاً تابعياً مدنياً ثقة^(٥). فضلاً عن أبنائه: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب الكبرى وكلهم من فاطمة (عليها السلام)^(٦).

=علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد وفاة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وقد توفيت سنة ٦٤هـ في ١٣ جمادي الثانية. ابن ماکولا، الإكمال، ج ١/ ص ٥١٨.

١- الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨-٦٠.

٢- خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدول بن حنيفة بن لجيم، يقال بأنها كانت من سبي اليمامة وصارت إلى علي (عليه السلام)، وقيل بل كانت سنديّة سوداء وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصلحهم على أنفسهم، وذكر البغوي أنها كانت من سبي بني حنيفة، فولدت له محمد بن علي الذي يعرف بمحمد ابن الحنفية، وقيل أن أبا بكر وهبها علياً. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤/ ص ١٦٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥/ ص ٥٥.

٣- محمد بن الحنفية: هو أبو القاسم محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأمّه خولة بنت جعفر، يكنى أبا القاسم، ولد لستين أو ثلاث بقين من خلافة عمر، كان كثير العلم، ورِعاً، ثقة تابعياً مدنياً، من أفاضل بيته. كان حامل راية أبيه في الجمل. توفي سنة ٨١هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بالبقيع. ابن سعد، الطبقات، ج ٥/ ص ٦٧؛ ابن عراق، نشر اللطائف، ص ١١٣-١١٤.

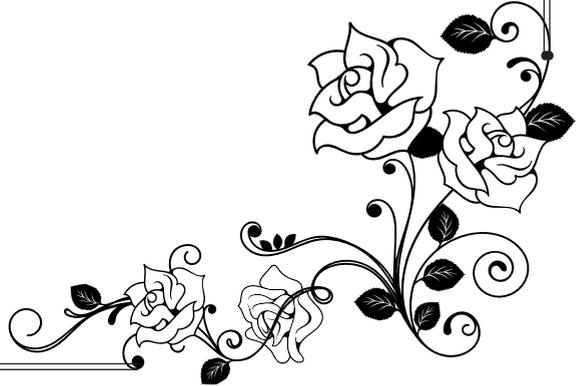
٤- ابن عراق، نشر اللطائف، ص ١١٢-١١٣. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢/ ٦٧٦؛ ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين، ج ١/ ص ٣٥٧.

٥- المصدر نفسه، ص ١١٤.

٦- ينظر: ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨-٥٩.

الفصل الثاني

الحياة الجهادية للإمام علي (عليه السلام)
حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)



المبحث الأول

الوظائف والسرايا والبعوث

الوظائف التي تقلدها الإمام علي (عليه السلام) في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

تقلد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مناصب عدة في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها القضاء، فقد كان (عليه السلام) من قضاته في أمور كثيرة انتدبها له (صلى الله عليه وآله وسلم)، كذلك كان (عليه السلام) من أصحاب الشرطة^(١)، ومقيمي الحد له^(٢)، زيادة على ذلك كان خازن دار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقائم على نفقاته^(٣).

و كان الإمام علي (عليه السلام) حامل راية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- أصحاب الشرطة: الشرطة جمع شرطي والشرطات هي هيئة مكلفة بحفظ الأمن وتنظيم السير وتطبيق القانون في البلاد وصاحب الشرطة رئيسها، ويقال: الشرطة طائفة من أعوان الولاة. ابن منظور، لسان العرب، ج٧/ ص ٣٣٠.

٢- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٥٣. مقيم الحد: هم الأشخاص المكلفون بإقامة الحدود، والحدود هي العقوبات المتخذة بحق المخالفين. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج٣/ ص ٢٧٠.

٣- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٥٤.

في أغلب المعارك التي شارك بها^(١). فقد أعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء في مواطن كثيرة، أعطاه الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح يكون على يديه^(٢). وكان (عليه السلام) من أبرز المفتين في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن كون الإمام علي سيفاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣). وستناول فيما يأتي بعض هذه الوظائف ونماذج من أفعاله (عليه السلام) في الوظيفة بحسب ما توفر لنا من معلومات وجدناها في مصادر القرن العاشر الهجري.

الكتابة

على الرغم من اختلاف العلماء - متقدمين ومحدثين - حول عدد كُتَّاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيفية كتابتهم له، وأمَّهم ثلاثة وأربعون أو اثنان وأربعون أو ثلاثة وعشرون أو سبعة عشر أو غير ذلك من الأعداد، إلا أن المتفق عليه عند الجميع أن علي بن أبي طالب لم يختلف فيه أحد من المؤرخين كونه كان كاتباً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

وقد كان كاتباً للوحي، كما كان كاتباً له (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بينه وبين رؤساء القبائل والملوك وغيرهم ممن كان يكتبهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٥)، ومن أبرز ما كتب الإمام علي (عليه السلام) ووثقته المصادر الشامية أنه

١- المصدر نفسه، ص ١٥٥.

٢- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٩-٥٠.

٣- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٣٠٩، ٤٢٤.

٤- ابن طولون، إعلام السائلين، ص ٢٤-٢٥.

٥- ابن طولون، إعلام السائلين، ص ٢٥.

كتب بيده الشريفة كتاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عمير بن ذي مران^(١)، وإلى كل من أسلم من همدان^(٢) فضلاً عن كتابته (عليه السلام) كتاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني شمش^(٣) من جهينة، وكذلك بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكتابه إلى جميل بن رذّام العُدري^(٤). وغيرها الكثير من الكتب التي كان يرسلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بعض المسلمين، ثم ختم هذه الكتب بالعهد الذي عهده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عمرو بن حزم، وهو عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أرسله إلى اليمن^(٥).

١- عمير بن ذي مران : عمير ذي مران القليل بن أفلح بن شرحبيل بن ربيعة كتب إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسلم وابنه يزيد بن عمير. وهو جد مجالد بن سعيد الهمداني ونزل الكوفة. لم نثر على سنة وفاته في المصادر التي ترجمت له. ابن سعد، الطبقات، ج ٦/ ص ١٢٩.

٢- ابن طولون، إعلام السائلين، ص ٩١. وهمدان: هي كورة في اليمن بين صعدة وصنعاء فيها ثلاث مدن يقيم فيها أولاد حمير ولهم فيها زروع وفواكه ومراعي وحقوق. مجهول المؤلف، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج ١/ ص ١٧١.

٣- بني شمش : وهي بطن من العرب العدنانية وشمخ بن فزارة بطن أيضاً وشمخ الجبل يشمش شموخاً (علا) وارتفع وطال. وشمخ الرجل بأنفه تكبر وارتفع وعزّ. القلقشندي، نهاية الأرب، ج ١/ ص ٣٠٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٧/ ص ٢٨٣.

٤- ابن طولون، إعلام السائلين، ص ١٥٨. وجميل بن ردام: وهو جميل بن عبدالله بن قمينة العذري، ولم يكن أبوه يعرف إلا بابن قمينة، وهو الشاعر المشهور صاحب بثينة. الآمدي، المؤلف والمختلف، ج ١/ ص ٢٢١.

٥- ينظر تلك الرسائل في: ابن طولون، إعلام السائلين، ص ١٦٣. عمرو بن حزم بن زيد بن لوزان بن غنمة الأنصاري، شهد الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو أول مشهد شهده هو وزيد بن ثابت، ومات عمرو سنة ٥١ هـ في إمارة معاوية وكانت كنيته أبو الضحاك، وقد استعمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة. ابن حبان، الثقات، ج ٣/ ص ٢٦٦.

القضاء

ومن أبرز الوظائف التي قلدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) القضاء، فقد كان النبي يوكله في بعض المرات القضاء بين المسلمين، أو يبعثه إلى بعض الأمصار ليقضي هناك، فضلاً عن تعليمهم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي. وقد أُطلق على الإمام علي (عليه السلام) أفضى القضاة^(١)، ((فلا حرج أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الأقليم))^(٢). وروي عن ابن مسعود قوله: ((كُنَّا نتحدث أن أفضى المدينة علي (عليه السلام))^(٣). وكذلك ورد عن عبدالله بن عباس: ((أقضاننا علي))^(٤).

كما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علياً (عليه السلام) إلى اليمن ليقضي بينهم هناك، ويذكر (ابن طولون) عن الإمام علي (عليه السلام) قوله حين بعثه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما نصه: ((بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم أسنُّ مني لأقضي بينهم، قال: اذهب فإنَّ الله سيثبت لسانك ويهدي قلبك))^(٥).

وحين بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا موسى الأشعري^(٦)

١- ابن الحنيلي، در الحبيب، ج ١/ ص ٥٦٠.

٢- المصدر نفسه والصفحة.

٣- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٠.

٤- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ١/ ص ٣٥٢.

٥- الأئمة الاثنا عشر، ص ١١٩. وينظر أيضاً: النسائي، السنن الكبرى، ج ٧/ ص ٤٢٢؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ١٠/ ص ٢٣٧.

٦- أبو موسى الأشعري: أسمه عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر، قدم مكة =

ومعاذ بن جبل^(١) إلى اليمن داعين إلى الإسلام، أسلم عامة أهل اليمن ملوكهم وعامتهم طوعاً من غير قتال ثم بعث الإمام علي (عليه السلام) إليهم، ووافاه^(٢) بمكة في حجة الوداع^(٣).

يمكن القول إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعين إلى الإسلام، ثم بعث الإمام علياً (عليه السلام) إلى اليمن للقضاء، ثم أتى الإمام إلى الرسول في حجة الوداع في مكة.

ومن نماذج قضائه باليمن، ما ورد في حادثة البئر، فقد ذكر (الشامي) ذلك بالقول: احتفر قوم بئراً باليمن فأصبحوا وقد سقط فيها أسد، فنظروا إليه، فسقط إنسان بالبئر فتعلق بالآخر وتعلق الآخر بالآخر حتى كانوا في البئر أربعة قتلهم الأسد، فأهوى إليه رجل برمح فقتله. فتحاكموا إلى علي (عليه السلام)، فقال: ربع دية^(٤)

=فحالف سعيد بن العاص بن أمية أبا أحيحة، أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخيبر، وقيل: إن أبا موسى ليس من مهاجرة الحبشة وليس له حلف في قريش، وقد كان أسلم بمكة قديماً ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخيبر فقالوا: قدم أبو موسى مع أهل السفينتين. مات سنة ٤٢ هـ، وقيل ٥٢ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، الطبقات، ج ٤/ ص ٧٨.

١- هو معاذ بن جبل بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد، شهد معاذ بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وليس له عقب. ابن سعد، الطبقات، ج ٣/ ص ٤٣٧.

٢- وافته: أي أتاه. الفارابي، معجم ديوان الأدب، ج ٣/ ص ٢٧٩.

٣- ابن طولون، إعلام السائلين، ص ٢١.

٤- الدية: الدية هي العقل والأصل: أن الإبل كانت تجمع بفناء ولي المقتول وتعقل فسميت الدية عقلاً وإن كانت ورقاً أو عيناً. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤/ ص ٧١.

وثالث دية ونصف دية ودية تامة: للأسفل ربع دية من أجل أنه هلك فوّه ثلاثة، وللثاني ثلث دية لأنه هلك فوّه اثنان وللثالث نصف دية من أجل أنه هلك فوّه واحد، وللأعلى الدّية كاملة، فإن رضيتم فهو بينكم قضاء وإن لم ترضوا فلا حقّ لكم حتى تأتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقضي بينكم. فلما أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قصّوا عليه خبرهم، فقال: أنا أقضي بينكم إن شاء الله تعالى، فقال بعضهم: يا رسول الله إن عليّاً قد قضى بيننا، قال: فيم قضى؟ فأخبروه، فقال: هو كما قضى به^(١).

تأميره على بعض السرايا

كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يبعث الإمام عليّاً (عليه السلام) في بعض الأمور التي يبلغ فيها أوامره، أو لغرض دعوة القبائل إلى الإسلام، أو يبعثه للحرب، وعن أم عطية (رضي الله عنها)^(٢) قالت: ((بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جيشاً فيه عليّ فسمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (اللهم لا تمثني حتى تُريني عليّاً))^(٣)، مما يدل على المكانة الكبيرة للإمام علي (عليه السلام) عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن هذه البعوث:

١- سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٦٤.

٢- أم عطية: وهي نسيبة بنت الحارث وقيل نسيبة بنت كعب، وتكنى بأُم عمارة وتعد في أهل البصرة وكانت من كبار نساء الصحابة، وتغزو كثيراً مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تمرض المرضى وتداوي الجرحى وشهدت غسل ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب، وكانت من جماعة الصحابة وعلما التابعين في البصرة، لها عن النبي أحاديث وروى عنها بعض الصحابة. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤/ ص ١٩٤٧.

٣- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٥. وينظر أيضاً: الترمذي، سنن الترمذي، ج ٦/ ص ٩٤.

بعثه (عليه السلام) لليمن

وجّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وخالد بن سعيد بن العاص^(١) إلى اليمن وقال: إذا اجتمعتما فعليّ الأمير، وإذا افتقرتما فكل واحد منكما أمير. فاجتمعا، وبلغ عمرو بن معد يكرب^(٢) فابتدره علي مكانهما، فأقبل على جماعة من قومه فلما دنا منها قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فيأتي لم أسمّم لأحد قط إلا هابني، فلما دنا منها نادى: أنا أبو ثور وأنا عمرو بن معد يكرب، فابتدره عليّ وخالد، وكلاهما يقول لصاحبه: خلّني وإياه، ويفديه بأبيه وأمه، فقال عمرو، إذ سمع قولهما: العرب تفرّج بي وأراني لهؤلاء جزراً^(٣)، فانصرف عنهما، وكان عمرو وفارس العرب مشهورا بالشجاعة، وكان شاعرا محسنا^(٤).

وروت تلك المصادر أيضاً رواية دلّت على المعنى نفسه من حب الرسول للإمام

١- خالد بن سعيد: هو خالد بن سعيد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أسلم يوم فتح مكة وأقام بمكة ولم يهاجر وله عقب. قتل يوم أجنادين بمرج الصفر سنة ١٤ هـ في صدر خلافة عمر بن الخطاب. ابن سعد، الطبقات، ج ١/ ص ٣٤٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢/ ص ٤٢٢.

٢- هو عمر بن معد يكرب بن عبدالله بن عمرو بن عَصَم بن عمرو بن زبيد أبو ثور الزبيدي، من أبطال العرب في الجاهلية، وأدرك الاسلام فقدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلم، وله بالقادسية بلاء حسن، وكانت له مشورة في الحرب ورأي لذا استعان به عمر بن الخطاب فأرسله إلى سعد بن أبي وقاص وكتب إليه أن يصدر عن مشورته في الحرب. مات بقرية من قرى نهاوند يقال لها روضة، بعد أن جرح في معركة نهاوند سنة ٢١ هـ/ ٦٤١ م. ابو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٤/ ص ٢٠١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٦/ ص ٣٨٩.

٣- جزراً: أي قطعة وصار القوم جزراً إذا اقتتلوا وجزر السباع اللحم الذي تأكله. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٠/ ص ٤١٥.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٧٤.

وأنه لا يرضى إلا برضاه، فقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث إلى اليمن جيشين وأمر علياً على أحدهما وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: ((إذا كان قتال فعلي رضي الله تعالى عنه الأمير))، قال: فافتتح علي حصناً فغنمت أواق^(١) ذوات عدد، وأخذ علي منه جارية، قال: فكتب معي خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرأ الكتاب رأيته يتغير لونه فقال: ((ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحب الله تعالى ورسوله؟))^(٢)، فقلت: أعود بالله من غضب الله تعالى وغضب رسوله، إنما أنا رسول، فسكت، وعن بريدة، قال: أصبنا سبياً^(٣) فكتب خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ابعث إلينا من يحمسه، وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً إلى خالد ليقبض منه الخمس، - وفي رواية: ليقسم الفيء^(٤) - فقبض منه فخمس وقسم، واصطفى علي سبية، فأصبح وقد اغتسل ليلاً، وكنت أبغض علياً بغضاً لم أبغضه أحداً، وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا لبغضه علياً، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ وفي رواية: فقلت: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال ألم تر إلى الوصيفة فإنها صارت في الخمس ثم صارت في آل محمد ثم في آل علي فوقع

١- أواق: الوقية وزن من أوزان الدهن، وهي سبعة مثاقيل، وجمعها أواقي وأواق، والواقية عند العرب أربعون درهماً. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ٢٧٩.

٢- ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١/ ص ٩٦.

٣- سبياً: السبي والسبأ: الأسر، وقد سببت العدو سبياً وسبياء إذا أسرته، الجوهري، الصحاح، ج ٦/ ص ٢٣٧١.

٤- الفيء: وهو المال الذي أفاء الله على المسلمين ففأ إليهم أي رجع إليهم بلا قتال، وكل من صولح عليه المسلمون من أموال من خالف دينهم، هي فيء، وأصل الكلمة: من فاء فيء إذا رجع، ومنه قيل للظل من آخر النهار فيء لأن الشمس فاءت عنه إذا رجعت. وجمع الفيء أفياء وفيء. الأزهرى، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ج ١/ ص ١٨٧.

بها، فلما قدمنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرت له ذلك، وفي رواية: فكتب خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت ابعثني، فبعثني، فجعل يقرأ الكتاب وأقول صدق^(١)، فإذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد احمر وجهه فقال: ((من كنت وليه فعلي وليه))، ثم قال: ((يا بريدة أتبغض علياً؟)) فقلت: نعم، قال: ((لا تبغضه فإن له الخمس أكثر من ذلك))، وفي رواية: ((والذي نفسي بيده لنصيب علي في الخمس أفضل من وصيفة وإن كنت تحبه فازدد له حبا))، وفي رواية: ((لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي))، قال بريدة: فما كان في الناس أحد أحب إلي من علي^(٢).

وهذه الرواية تؤكد على حب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام (عليه السلام)، ويذكر بأن الإمام هو الولي من بعد.

كما ذكر (العليمي) نقلاً عن الإمام محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الملقب بالجواد (عليه السلام) رواية عن الإمام علي (عليه السلام) قال: ((بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني: يا علي ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، يا علي عليك بالدُّجّة - وهو السير في آخر الليل - فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا علي أغد^(٣)؛ فإن الله بارك لأمتي في

١- أفول صدق: حالة من الضعف التدريجي وتبع النمو أو العظمة أو النجاح. عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١/ ص ١٠٤.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٥٨-٣٥٩. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢/ ص ٦٨٨؛ مسند أحمد، ج ٣٨/ ص ١١٧.

٣- أغد: بمعنى إذهب عني وانصرف. عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢/ ص ١٥٩٨.

بكورها^(١)((٢)).

وكان البعث (وهي سرية علي بن أبي طالب (عليه السلام) المرة الثانية) في رمضان وأمره أن يعسكر بقناة فعسكر بها حتى تتام أصحابه^(٣). فعقد له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء وأخذ عمامته فلفها مثنية مربّعة فجعلها في رأس الرّمح ثم دفعها إليه وعمّمه بيده عمامة ثلاثة أكوار وجعل له ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه وقال له: ((امض ولا تلتفت))^(٤).

فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله ما أصنع؟ قال: ((إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة فإن أجابوا فمرهم بالزكاة فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت))^(٥).

فخرج عليّ في ثلاثمائة فارس فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد. فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد من مذحج^(٦) فرّق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم

١- بكورها: باكرت الشيء أي بگرت له، والباكور: المبكر في الادراك من كل شيء، والبكور هنا الساري في آخر الليل وأول النهار. الفراهيدي، العين، ج/٥ ص ٣٦٥.

٢- التاريخ المعتمد، ج/٣ ص ١٤٥-١٤٦. وينظر أيضاً: الطبراني، المعجم الأوسط، ج/٦ ص ٣٦٥.

٣- تتام: تتام القوم أي جاءوا كلهم وتمّوا. عمر، معجم اللغة العربية، ج/١ ص ٣٠١.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج/٦ ص ٣٦٢.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج/٦ ص ٣٦٢؛ الغزي، الدر النضيد، ص ٣٦. مع اختلاف بسيط في النص وينظر أيضاً: أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج/١٣ ص ٥٣١.

٦- مذحج: وهي قبيلة من اليمن وسموا مذحج لأن آبائهم مالك بن أدد وُلد على أكمة أسمها=

وسبايا نساء وأطفالاً ونعماً وشاء وغير ذلك. فجعل عليّ على الغنائم بريدة بن الحصيب الأسلمي فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقي لهم جمعاً^(١).

ثم لقي جمعهم، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه بالنبل والحجارة. فلما رأى أنهم لا يريدون إلا القتال صفّ أصحابه ودفع اللواء إلى مسعود بن سنان السلمي^(٢) فتقدم به، فبرز رجل من مذحج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسود بن خزاعي^(٣) فقتله الأسود وأخذ سلبه^(٤).

ثم حمل عليهم الإمام عليّ (عليه السلام) وأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً ففرّقوا وانهمزوا وتركوا اللواءهم قائماً وكفّ الإمام عليّ (عليه السلام) عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا. وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فنخذ منها حق الله تعالى، وجمع الإمام عليّ ما أصاب من تلك الغنائم، فجزّأها خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله ثم أقرع عليها، فخرج أول السهمان سهم الخمس وقسم علي (عليه السلام) على أصحابه بقية المغنم، ولم ينقل أحد من الناس شيئاً، وكان من كان قبله يعطون خيلهم

= مذحج فسمي مذحجاً. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٤/ ص ٢٢٤٧.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٦٢.

٢- مسعود بن سنان السلمي: وقيل إن مسعود بن الأسود حليف لبني غنم من بني سلمة وهو من الأنصار وقد شهد أحداً واستشهد يوم اليمامة. ابن حجر، الإصابة، ج ٦/ ص ٧٩.

٣- الأسود بن الخزاعي: هو الأسود بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع من خزاعة، حدّث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديثاً يوم فتح مكة، ولم تقدم المصادر ترجمة وافية له. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦/ ص ١٣.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٦٢-٣٦٣. وسلبه: هو أخذ الشيء بخفة واختطاف فيقال سلبته ثوبه سلباً. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣/ ٩٢.

الخاص دون غيرهم من الخمس ثم يخبرون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فلا يرده عليهم فطلبوا ذلك من عليّ فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى فيه رأيه^(١).

وأقام فيهم يقرئهم القرآن ويعلمهم الشرائع، وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني^(٢) يخبره الخبر، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمره أن يوافيه الموسم، فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف إلى عليّ بذلك فانصرف عليّ راجعاً، فلما كان بالفتق^(٣) تعجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره الخبر وخلف على أصحابه والخمس أبارافع^(٤)، فوافى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة قد قدمها للحج، وكان في الخمس

١ - الشامي، سبل الهدى، ج ٦ / ص ٣٦٣.

٢ - عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، كنيته أبو بكر، صحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزل البصرة بعد ذلك وله بها عقب. وهو أحد البكائين الذين نزلت فيهم: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَحْمِلُنَّهُمْ قُلْتُ لَا أُجِدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، وكانوا ستة نفر. ابن سعد، الطبقات، ج ٧ / ص ٢٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣ / ص ٩٦٠.

٣ - الفتق: قرية بالطائف، كبيرة تقع على الطريق من مكة إلى اليمن. الحموي، معجم البلدان، ج ٤ / ص ٢٣٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج ١ / ص ١٣٤.

٤ - أبو رافع: هو مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واسمه أسلم، كان عبداً للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما بشر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإسلام العباس أعتقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما كان بعد بدر هاجر أبو رافع إلى المدينة وأقام مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سلمى مولاته وكان كاتباً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام). مات بالمدينة بعد قتل عثمان بن عفان. ابن سعد، الطبقات، ج ٤ / ص ٥٥.

ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومة^(١) ونعم وشاء مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم، فسأل أصحاب عليّ أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يجرمون فيها فكساهم منها ثوبين ثوبين^(٢). فلما كانوا بالسُدرة داخلين خرج عليّ ليتلقاهم ليقدم بهم، فرأى على أصحابه الثياب، فقال لأبي رافع: ما هذا؟، فقال: ((كلموني ففرقت من شكائهم وظننت أن هذا ليسهل عليك وقد كان من قبلك يفعل هذا بهم)). فقال: ((قد رأيت امتناعي من ذلك ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلّفت فتعطيهم))؛ فنزع عليّ الحلل منهم^(٣).

فلما قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شكوه، فدعوا عليّاً (عليه السلام)، فقال: ((ما لأصحابك يشكونك؟)) قال: ما أشكيتهم، قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك فترى فيه رأيك. فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٤).

بعثه (عليه السلام) للحج سنة ٦٣٠هـ / ٦٣٠م

بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر سنة ٦٣٠هـ / ٦٣٠م ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة^(٥) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وثلاثمائة رجل، فلما

١- معكومة: من عكم، يقال عكم المتاع: إذا شده بالعكام، وعكم البعير: إذا شدّ عليه العكم. وأحمال معكومة: أي أحمال مشدودة شداً بالعكام. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٧/ ص ٤٧٠١.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٦٣.

٣- المصدر نفسه، ج ٦/ ص ٣٦٣-٣٦٤.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٦٤.

٥- بدنة: هي الناقة، وسميت بدنة بالعظم أما لسمنها أو لسنها. الدينوري، غريب الحديث، ج ١/

كان بندي الخليفة^(١) أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علياً (عليه السلام) عنه وأمره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس وأن ينادي: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فعاد أبو بكر وقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: لا ولكن لا يُبلِّغ عني إلا أنا أو رجل مني^(٢).

وعلق (الشامي) أن السبب في ذلك: أن عادة العرب كانت أنه لا يحل العقود^(٣) ويعقدها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته^(٤).

فسار أبو بكر أميراً على الموسم وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) يؤذن براءة يوم الأضحى، وأن لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف عريان^(٥).

١- ذا الخليفة: بضم الحاء وفتح اللام والفاء، ماء لبني جشم بينهم وبين خفاجة العقلين وهي من المدينة على ستة أميال. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١/ ص ٢٢١.

٢- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١٧٤.

٣- لا يحل العقود: العقود: العهود، وقيل الفرائض التي ألزموها، وهي التي يعقدها بعضهم على بعض على ما يُوجب الدين، واحدها عقد، ومعنى لا تحل العقود: لا تحل العهود، ولا يعقدها إلا المطاع. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١/ ص ١٣٤.

٤- سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٣٢٤.

٥- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١٧٤.

المبحث الثاني

الغزوات والحروب

عانى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً من أذى المشركين وظلمهم له ولأتباعه ؛ لذلك اضطر (صلى الله عليه وآله وسلم) للهجرة إلى المدينة، ولم يؤذن له بالقتال إلا بعد سنة من هجرته إلى المدينة، ونزول الآية الكريمة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١). وقد خاض (عليه الصلاة والسلام) العديد من المعارك ضد المشركين لإعلاء كلمة الله ونشر الرسالة السماوية التي كُلف بتبليغها من قبل الله تعالى للناس كافة. ولما كان الإمام علي (عليه السلام) موضع ثقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد شارك (عليه السلام) في كل غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أشركه (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل الحروب والغزوات، وكان حاملاً لراية الحق والإسلام في الحرب.

شارك الإمام علي (عليه السلام) في كل غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا غزوة تبوك، إذ خلفه فيها على المدينة. وعُرف الإمام بشدته وبراعته في القتال، وأنه رجل مبادئ مشهود له بالشجاعة والبطولة والخبرة العسكرية، وذلك لبعده نظره في هذا المجال، فضلاً عن أن له معرفة كبيرة بالحروب، وكان حذراً متيقظاً.

كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يحمل راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

العظمى في القتال فيقدم بها في بحر العدوّ وشهد معه مشاهده كلّها وأبلى فيها بلاء حسناً، وشهد معه أحداً وبايعه على الموت، وكان من أشجع الناس، لم يبارز أحداً قطّ إلاّ قتله^(١). وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا لم يغز أعطى سلاحه علياً^(٢). كما روي عن أنس أنّه قال: ((بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - إلى قوم يقاتلهم ثم بعث إليه رجلاً فقال: لا تدعه من خلفه، وقل له لا يقاتلهم حتى يدعوهم))^(٣).

وذكر (الشامي)، نقلاً عن المصادر التاريخية، أنّه كان مكتوباً على سيف علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٤):

لنّاس حرصٌ على الدنيا بتدبيرٍ	وصفوها لك ممزوجٌ بتكديرٍ
لم يُرزقوها بعقلٍ بعدما قسّمتُ	لكنّهم رزقوها بالمقاديرِ
كم من أديبٍ لبيبٍ لا تساعدهُ	وأحمقٍ نالَ دنياهُ بتقصيرِ
لو كانَ عن قوّةٍ أو عن مغالبةٍ	طارَ البزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ ^(٥)

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٨.

٢- المصدر نفسه، ج ٩/ ص ١٤٣.

٣- المصدر نفسه، ج ٩/ ص ١٥٠.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٩. توسع (ابن طولون) في ذكره سيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: هو ذو الفقار وفيه فائدتان: الأولى، الفقار: بفتح الفاء، وأصل الفقار: عظام الظهر، ومفرده فقارة بالفتح. وفي حديث زيد بن ثابت ما بين عجب الذنب إلى فقارة القفا اثنتان وثلاثون فقارة في كل فقارة احد وثلاثون ديناراً. الثانية: هذا السيف كان للعاصم بن نبيه فقتل وأخذه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعطاه لعلي وانتقل في أولاده، ورآه الأصمعي مع الرشيد متقلداً به، وبه ثمان عشرة فقارة. مرشد المحتار، ص ١٠٩.

٥- ابن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ج ١/ ص ٤٢.

الغزوات التي شارك بها الإمام علي (عليه السلام)

معركة بدر^(١) سنة ٥٢ هـ / ٦٢٣ م

نقلت بعض المصادر الشامية تفاصيل معركة بدر، وأوضحت دور الإمام علي (عليه السلام) فيها، فقد ذكر أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من المدينة لثلاث خلون من رمضان ومعه ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، ولم يكن فيهم إلا فارسان، وكانت الإبل سبعين يتعاقبون عليها، وقد جاءت الأخبار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ العير قاربت بدرًا، وأنّ المشركين خرجوا ليمنعوا عنها، ثم ارتحل (عليه السلام) ونزل في بدر^(٢).

وأشار سعد بن معاذ ببناء عريش^(٣) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعمل وجلس عليه ومعه أبو بكر وأقبلت قريش فلما رأهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها^(٤)) وفخرها تكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به))^(٥).

١- بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، يقال أنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه. الحموي، معجم البلدان، ج ١/ ص ٣٥٧.

٢- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١١٨-١١٩.

٣- العريش: ما يستظل به من شجرٍ ونحوه، والعريش أيضاً: شبه الهودج. ابن سيده، المخصص، ج ١/ ص ٥١٢.

٤- خيلائها: خيلاء: التكبر والإعجاب بالنفس. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٨/ ص ٤٥٤.

٥- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١١٩.

وتقاربوا وبرز من المشركين عتبة بن ربيعة^(١) وشيبة بن ربيعة^(٢) والوليد بن عتبة، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبارز عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب^(٣) عتبة، وحمزة عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤) شيبة، وعلي بن أبي طالب الوليد بن عتبة^(٥).

١- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، كنيته أبو هاشم، وقيل أن اسمه خالد، وقيل شيبة، وقيل هاشم. مات في خلافة عثمان بن عفان. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٢/ص ٢٦٧؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ص ٦٨٠.

٢- شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (الحجر: ٩٠) وهم سبعة عشر رجلاً من قريش اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام، وجعلوا دأبهم في أيام موسم الحج أن يصدوا الناس على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما كانت وقعة بدر حضرها شيبة مع مشركيهم ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم وقتل فيها قتله عبيدة بن الحارث. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/ص ١٥٢؛ ابن حبان، الثقات، ج ٣/ص ٣١٢؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣/ص ١٨١.

٣- عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبية، يكنى أبا الحارث، وقيل أبو معاوية. كان أسنّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعشر سنين، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان له قدر ومنزلة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأول سرية بعثها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عبيدة بن الحارث سنة اثنتين في ثمانين ركباً، ويقال: في ستين من المهاجرين ليس فيها من الأنصار أحد. قتل عبيدة يوم بدر وهو ابن ثلاث وستين سنة. ابن حبان، الثقات، ج ٣/ص ٨٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣/ص ١٠٢٠.

٤- حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخوه من الرضاعة، أَرْضَعْتَهَا ثَوْبِيَّةَ الْإِسْلَمِيَّةِ، يكنى أبا عمار، أسلم في السنة الثانية من النبوة، كان أسنّ من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأربع سنين، شهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسناً. قتل في معركة أحد وقتله وحشي ابن حرب الحبشي وسماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد الشهداء بل خير الشهداء. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٣/ص ١٠٤.

٥- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ص ١١٩.

وكان دوراً بطولياً ابتداءً حين رفض المشركون مبارزة بعض الأنصار الذين خرجوا لهم، فنادوا، يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا، فناداهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ارجعوا إلى مصافكم^(١) وليقم إليهم بنو عمّهم))، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعليّ وقال لهم: ((قاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله))؛ فلما قاموا ودنوا معهم قالوا: ((من أنتم، قالوا: أكفأ كرام، فبارز عبيدة- وكان أسنّ القوم- عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة، بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه))^(٢).

وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها، وكرّ حمزة وعليّ بأسيا فها على عتبة فذققا^(٣) عليه واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه، ولما جاءوا به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أضجعوه إلى جانب موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

فأفرشه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدمه الشريفة، وقال عبيدة: يا رسول الله لو أن أبا طالب حيّ لعلم أنّي أحق بقوله:

كذبتم وبيت الله نُبزى محمداً
ونسلمه حتى نصرع حوله
ولما نطاعن حوله ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل^(٥)

١- مصافكم: موقفكم أو مكان اصطفاكم. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٢ / ص ٨٣.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٥٧-٥٨.

٣- فذققا: ذفف على الجريح: إذا جهز عليه. أبو علي القالي، الاتباع، ج ١ / ص ٧٣.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٥٨.

٥- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، ج ٦ / ص ١٩٦.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أشهد أنك شهيد))^(١). وروي عن قيس بن عباد^(٢) قوله: ((سمعت أبا ذرّ يقسم قسمًا أنّ هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٣)، نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعليّ، وعبيدة ابن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة))^(٤).

ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) ذلك إذ قال: ((نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة))^(٥). وقتل حمزة شيبة، وعليّ الوليد، وضرب كل واحد من عبيدة وعتبة صاحبه وكرّ عليّ وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات^(٦).

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: ((أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله عز وجل يوم القيامة))^(٧).

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٨.

٢- قيس بن عباد: هو قيس بن سعد بن عبادة بن ذئيم من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، يكنى أبا عبد الملك، ولأه الإمام علي (عليه السلام) مصر ثم عزله عنها فقدم المدينة ثم لحق بعلي بالكوفة فلم يزل معه وكان على شرطة الخميس، حتى قتل الإمام، فصار مع الحسن بن علي (عليه السلام) فوجهه على مقدمته يريد الشام وبعد الصلح مع معاوية رجع قيس إلى المدينة فلم يزل بها حتى توفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، الطبقات، ج ٦/ ص ١٢١.

٣- الحج: ١٩.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٨.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

٦- العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ١١٩.

٧- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٨.

وروى (الشامي) عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: ((لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنظر ما فعل، فإذا هو ساجد يقول: (يا حي يا قيوم) لا يزيد عليهما، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال. ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك))^(١).

وذكر (الشامي) أن الله نصر نبيه بالملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾^(٢)، ويؤيد ذلك ما روي عن علي (عليه السلام) أنه قال: ((بينما أنا أمتح^(٣) من قليب^(٤) بدر جاءت ريح شديدة ما رأيت مثلها قطّ، ثم ذهبت، ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قطّ إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، قال: فكانت الرياح الأولى جبريل (عليه السلام)، نزل في ألف من الملائكة، وكانت الرياح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أبو بكر عن يمينه، وكانت الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنا في اليسرة، فلما هزم الله تعالى أعداءه حملني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، على فرسه، فجمزت بي، فلما جمزت خررت على عنقها فدعوت ربي فأمسسكني، فلما استويت عليها طعنت بيدي هذه في القوم حتى خضبت هذا،

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٩.

٢- الأنفال: ٩. ينظر: سبل الهدى، ج ٤/ ص ٦١.

٣- أمتح: إمتاح الماء من البئر: اغترف منه. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/ ص ٥٨٨.

٤- قليب: القليب: هو البئر قبل أن تطوى، فإذا طويت: فهي الطوي، والجمع القُلب، وقيل: القليب اسم من أسماء البئر، وسميت قليلاً لأنه قُلبَ تُرابها. ابن منظور، لسان العرب، ج ١/ ص ٦٨٩.

وأشار إلى إبطه))^(١).

ولما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عرق الظبية^(٢) أمر بقتل عقبة ابن أبي معيط^(٣)، فقال: يا محمد من للصّبية. قال: (النار). فقال: أأقتل من بين قريش صبراً؟! فقال عمر: حنّ قدح ليس منها، فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري وقد قتله الإمام علي (عليه السلام) والذي أسره عبد الله بن سلمة وصدق الله تعالى رسوله في قوله لعقبة ((إن وجدتك خارج مكة ضربت عنقك صبراً))^(٤). وقد قتل منهم علي (عليه السلام) ٢٥ رجلاً فكان بالنصف وزيادة، وكان المسلمون والملائكة، بأقل من النصف^(٥).

وهذا يدلُّ على شجاعة الإمام علي وشدة بأسه في المعارك ويقينه وبصيرته، وهو ما يغني الباحث عن الكلام والوصف.

ولما وصل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الصفراء^(٦) راجعاً من بدر، أمر

١- الشامي، سبل الهدى، ج٤/ ص٦١-٦٢.

٢- عرق الظبية: هو من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة، وبها مسجد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٥٨.

٣- عقبة بن أبي معيط: هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس من مقدمي قريش في الجاهلية كنيته أبو الوليد، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسره يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه وهو أول مصلوب في الاسلام. الزركلي، الاعلام، ج٤/ ص٢٤٠.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج٤/ ص٩٧.

٥- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص١٥٨.

٦- الصفراء: وهو وادي الصفراء من ناحية المدينة. وإد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج وسلّكه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير مرة وبينه وبين بدر مرحلة وهي قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها. الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٤١٢.

علياً بضرب عنق النضر بن الحارث^(١)، وكان من شدة عداوته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا تلا النبي القرآن يقول لقريش ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين^(٢).

غزوة أحد^(٣) سنة ٦٢٤/هـ ٣

وقعت معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة^(٤)، وقد تجهز لها المشركون بجيش من ثلاثة آلاف رجل فيهم سبع مئة دارع^(٥)، ومعهم مئتا فارس، وكان بقيادة أبي سفيان ابن حرب ومعه زوجته، وأخرجوا معهم نساءهم وكان جملة النساء خمس عشرة امرأة، ومعهنّ الدفوف يعزفنّ عليها ويكئنّ على قتلى بدر ويحرضنّ المشركين على حرب المسلمين^(٦).

وقد روي عن دور الإمام علي في تلك الغزوة بالتفصيل، وسلط الضوء على

١- النضر بن الحارث العبدي بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكنى أبا فائدة، وكان أشد قريش معاداة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتكذيب والاذى، وكان صاحب أحاديث ونظر في كتب الفرس، ومخالطة النصارى واليهود. قتل يوم بدر وألقي في القليب. البلاذري، أنساب الاشراف، ج ١/ ص ١٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/ ص ٢٥١.

٢- العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ١٢١. أساطير الأولين: أكاذيبهم المسطورة في كتبهم، والاساطير: الاباطيل والاحاديث العجيبة. عمر، معجم اللغة العربية، ج ١/ ص ٩٣.

٣- أحد: وهو جبل يقع شمال المدينة وهو أقرب الجبال إليها. الهروي، الاشارات إلى معرفة الزيارات، ج ١/ ص ٨١.

٤- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٥.

٥- دارع: رجل دارع: عليه الدرع، وأدرع الرجل وتدرع إذا لبس الدرع. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢/ ص ٦٣١.

٦- العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ١٢٣.

أفعاله وبطولاته فيها، فذكرت أنه لما قتل مصعب بن عمير^(١) أعطى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢)، وأنزل الله نصره على المسلمين، وانهمز المشركون فطمعت الرماة بالغنيمة، وفارقوا المكان الذي أمرهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بملازمته، فأتى خالد بن الوليد^(٣) مع خيل المشركين من خلف المسلمين، ووقع الصراخ إن محمداً قتل وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو، وكان يوم بلاء على المسلمين، وكانت عدد الشهداء منهم سبعين رجلاً، وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلاً^(٤). وذكر عن الزبير بن العوام قوله: ((عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفاً يوم أحد، فأخذه رجال فجعلوا ينظرون إليه - وفي لفظ: فبسطوا أيديهم - كل إنسان يقول: أنا، فقال: من يأخذه بحقه؟) فأحجم القوم، فقام رجال فأمسكه عنهم))^(٥).

ونقلوا عن قتادة بن النعمان^(٦) قوله: أن علياً قام فطلبه فقال له: اجلس، ثم قال

١- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الأنصار يقرأ القرآن بالمدينة قبل قدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة فأسلم على يده خلق كثير وشهد بدرًا وأحداً وكان معه اللواء حتى قتل يوم أحد. وليس لمصعب عقب إلا من ابنته زينب التي تزوجها عبدالله بن أبي أمية. الزبيري، نسب قريش، ج ١/ ص ٢٥٤.

٢- العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٢٤-١٢٥.

٣- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي، سيف الله يكنى أبا سليمان، أسلم بين الحديبية والفتح، وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ١٩١.

٤- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ١٩٦-١٩٧؛ التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٢٥.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٢٨٥.

٦- قتادة بن النعمان: هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري، صحابي شهد بدر وهو أخو أبي سعيد لأمه، مات سنة ٢٣ هـ. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٤٥٤.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من يأخذه بحقه؟) فقام إليه أبو دُجّانة، فقال: يا رسول الله، وما حقه؟ قال: (أن تضرب به في العدو حتى ينحني)^(١).

ولما اشتدّ القتال يومئذ جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي بن أبي طالب أن قدّم الراية، فتقدم عليّ وقال: أنا أبو القصم^(٢)، وصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء: من يبارز؟ فلم يبرز إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أنّ قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار، كذبتم، واللات لو تعلمون أنّ ذلك حقّ لخرج إليّ بعضكم، فبرز إليه الإمام علي (عليه السلام) فالتقيا بين الصّفين فبدره عليّ فصرعه، ولم يجهز عليه، فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرّحم، وعرفت أنّ الله تعالى قد قتله^(٣).

ويبين لنا هذا النص مدى شجاعة الإمام علي (عليه السلام) وعفته، إذ نراه يكف عن قتل مشركٍ لأنّه استقبله بعورته وعمل على كشفها حفاظاً على سلامته، لأنّه كان يعرف أنّ هذا الفعل لا تقره عادات العرب وتقاليدها، وأفضل من يحفظ هذه التقاليد هو الإمام علي (عليه السلام) والذين عرفوا حفاظه على أعراف العرب، فضلاً عن الدين الإسلامي الذي لا يقتر ذلك.

وكان قتل صاحب لواء المشركين تصديقا لرؤيا رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٢٨٥.

٢- أبو القصم: هو لقب للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لقب به نفسه يوم أحد، والقصم: جمع قصمة وهي العضلة المهلكة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/ ص ٧٣؛ السهيلي، الروض الأنف، ج ٥/ ص ٤٦١.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٢٨٧-٢٨٨.

وسلم) فقال: (كأني مردف كبشا)^(١)، فسر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي^(٢) يمدح الإمام علياً (عليه السلام)^(٣):

الله أيّ مذّبب عن حرمة أعني ابن فاطمة المعّم المخولا
جادت يداك لهم بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدّلا
وشددت شدّة باسل فكشفتهم بالجرّ إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن لتردّه حرّان حتّى ينهالا

وبايع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ على الموت ثمانية: ثلاثة من المهاجرين، وهم: عليّ، والزبير، وطلحة. وخمسة من الأنصار: أبو دجانة، والحارث بن الصّمة^(٤)، والحباب بن المنذر^(٥)، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل

١- مردف كبشاً: أردف الشيء توالى وتتابع، وأردف الشخص تبعه أو جاء بعده، وأردف الراكب: أركبه خلفه. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٢/ ص ٨٨٠؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج ٥/ ص ١٢٣.
٢- الحجاج بن علاط السلمي: هو الحجاج بن علاط بن خالد بن ثوبرة، من أهل الحجاز وكان يسكن المدينة وبنى بها مسجداً في بني أمية ونسب إليه. قيل إنه مات في أول خلافة عمر بن الخطاب. ابن حبان، الثقات، ج ٣/ ص ٨٦.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٢٨٨. وينظر: الجراوي، الحماسة المغربية، ج ١/ ص ١٦٠.

٤- الحارث بن الصّمة: هو أبو جُهيم بن الحارث بن الصّمة بن عمرو بن عتيك الأنصاري، من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بقي إلى خلافة معاوية. قتل يوم بئر معونة شهيداً. ابن حبان، الثقات، ج ٣/ ص ٧٤.

٥- الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، يكنى أبا عمرو، شهد بدرًا وأحد وثبت يومئذ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). توفي في خلافة عمر بن الخطاب وليس له عقب. ابن سعد، الطبقات، ج ٣/ ص ٤٢٧.

منهم أحد^(١).

ويصوّر الإمام علي (عليه السلام) موقفه مما أُشيع عن مقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما تبادر إلى ذهنه آنذاك، وردة فعله فقال: ((لما انجلى الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد نظرت في القتلى، فلم أر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله تعالى غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي^(٢)، ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم، أي يقاتلهم (صلى الله عليه وآله وسلم)).^(٣)

وهذا الموقف يصوّر بدقة مدى إيمان الإمام (عليه السلام) بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مبادئ سامية آمن بها وصدّقها، حتى كان مستعداً للموت في سبيلها، بل لقد ربط وجوده في هذه الدنيا بوجودها ووجود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحين سمع أنه قتل أيقن البقاء بعده لا خير فيه، وهذا كله إيماناً بالإسلام وبمبادئه ومثله.

وقاتل الإمام علي عن رسول الله (عليه السلام) من ناحية، وأبو دُجّانة من ناحية، وسعد بن أبي وقاص من ناحية، وانفرد علي بن أبي طالب بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل^(٤)، فدخل وسطهم بالسيف يضرب به وقد اشتملوا عليه، حتى أفضى إلى

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٢٩٣.

٢- جفن سيفي: جفن السيف الغمد الذي يوضع فيه. الازهري، تهذيب اللغة، ج ١١/ ص ٧٧.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٢٩٣.

٤- عكرمة بن أبي جهل: هو عكرمة بن عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، =

آخرهم، ثم كرّهم ثانياً حتى رجع من حيث جاء^(١).

فلما عرف المسلمون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقبلوا عليه ورأوه سالماً ولم يصبه شيء فرحوا بذلك فرحاً شديداً، ونهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصّمّة، ورهط من المسلمين^(٢). ولما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتّى ملأ درفته^(٣) من المهراس^(٤)، فجاء بها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدّم، وصبّ على رأسه وهو يقول: ((اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٥).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جرح يوم أحد في وجهه، وكسرت رباعيته^(٦)، وهشمت البيضة على رأسه، وحين انصرف المشركون، خرج النساء إلى

=أسلم يوم الفتح وأقام بمكة، فلما كان حجة الوداع استعمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على هوازن يُصدّقها فتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يومئذٍ بتبالة ثم خرج إلى الشام مجاهداً فقتل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر. ابن سعد، الطبقات، ج ٦ / ص ٤.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٣٠١.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٣٠٧.

٣- درفته: الدرقة: ترس من جلود ويجمع على دُرُق وأدراق. الفراهيدي، العين، ج ٥ / ص ١١٥.

٤- المهراس: حجر منقور مستطيل يملأ ماءً ليتوضأ فيه. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٦ / ص ٧٧.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٣١٠.

٦- الرباعية: وهي السن التي بعد الثانية وهي أربع محيطات بالثنايا اثنان من فوق واثنان من أسفل. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١ / ص ٢٨٠.

الصحابية، فكانت فاطمة فيمن خرج، جعلت تغسل جراحته وعلي يسكب الماء بالمجن^(١) فتزايد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير، فأحرقته بالنار حتى صار رمادا، فأخذت ذلك الرماد وكمّدتته حتى لصق بالجرح، فاستمسك الدم^(٢).

وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سعداً أن ينادي: ألا يتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جريح من بني عبد الأشهل، فتخلف كل مجروح، فباتوا يوقدون النيران، ويداوون الجرحى، ومضى سعد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاء بيته، فما نزل نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن فرسه إلا حملاً، واتكأ على سعد بن عبادة^(٣) وسعد بن معاذ، حتى دخل بيته، فلما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: ((اغسلي عن هذا دمه، فو الله لقد صدقني اليوم))^(٤)، وناولها علي (عليه السلام) سيفه، فقال: (وهذا، فاغسلي عنه دمه، فو الله لقد صدقني اليوم)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة))^(٥).

وهذه شهادة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الإمام علي (عليه

١- المجن: وهو الترس، وسمي بذلك لأنه يوارى حامله أي يستره. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣ / ص ٩٤.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٣١٠.

٣- سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، أحد الاجواد، شهد بدرًا، وقال أصحاب المغازي أنه لم يشارك لأنه تهباً للخروج فنهش فأقام. مات بأرض الشام سنة ١٥ هـ. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١ / ص ٢٣١.

٤- ابن البيع، المستدرک، ج ٣ / ص ٢٧.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٤ / ص ٣٣٦.

السلام) وجهاده بين يديه، ويؤكد ذلك ما روي عن ابن أبي نجيح^(١) أنه قال: نادى مناد يوم أحد^(٢):

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

وذكر (ابن طولون) رواية عن سعيد بن المسيب^(٣) قوله: ((أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة))^(٤).

وقتل الإمام علي (عليه السلام) يوم أحد طلحة العبدري وكان معه لواء قريش، ثم والى بينهم كلما رفع اللواء منهم رجل قتله، حتى كفى الله المؤمنين القتال، وفي ذلك يقول (عليه السلام) شعراً^(٥):

أميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم
لعمري لقد جاهدت في نصر أحمد ومرضاة ربّ العباد رحيم

١- ابن أبي نجيح: هو عبدالله بن أبي نجيح الثقفي مولى لآل الاخنس، كنيته أبو يسار، وأسم أبي نجيح يسار، كان ممن يسكن المدينة مدة ومكة زماناً، وكان من علماء الناس بالقرآن. مات سنة ١٣١/٧٤٨م أو ١٣٢هـ/٧٤٩م. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ج١/ ص٢٢٩.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج٤/ ص٣٣٦.

٣- سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ القرشي المخزومي، أحد العلماء الاثبات الفقهاء الكبار، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات سنة اربع وتسعين للهجرة وقد ناهز الثمانين. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥/ ١٦٣؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١/ ص٢٤١.

٤- الأئمة الاثنا عشر، ص٤٩.

٥- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص١٥٨-١٥٩.

غزوة بني النضير^(١) سنة ٤هـ

لم تُشر المصادر الشامية إلى سبب حدوث تلك الغزوة والتي من أجلها سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم، ولا نعلم الأسباب التي أدت بتلك المصادر العزوف عن ذكر هذه الغزوة، ولم يُشر إليها سوى الشامي، فذكر (الشامي) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سار إلى بني النضير، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم^(٢)، ومُحلت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبة من الخشب عليها مسوح^(٣) أرسل بها سعد بن عباد وصى الرسول العصر بفضاء بني النضير، فلما رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه قاموا على جدر حصونهم، معهم النبل والحجارة، واعتزلتهم بنو قريظة، فلم يعينوهم بسلاح ولا رجال، ولم يقربوهم، فجعلت بنو النضير يرمون ذلك اليوم بالنبل والحجارة، وبعد أن صلى العشاء رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيته في عشرة من أصحابه، واستعمل الإمام علياً (عليه السلام) على العسكر، وبات المسلمون يحاصرونهم

١- بنو النضير: بفتح النون وكسر الضاد وياء ساكنة وهي اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة وكانوا هم وقريظة نزولاً بظاهر المدينة في حدائق وأطام لهم، فغزاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في منازلهم بوادي بطحان وموضع يقال له البويرة فأحرق نخلهم واستصفى أموالهم لنفسه لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وكان يزرع أراضيهم فيأخذ من قوت أهله ويجعل ما فضل في الكراع والسلاح. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٣/ ص ١٣٧٥.

٢- ابن أم مكتوم: اختلفوا في اسمه فقيل عبدالله، وقيل عمرو، إلا أنهم اجتمعوا على نسبه فقالوا: ابن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة، أسلم بمكة قديماً، وكان ضريب البصر وقدم المدينة مهاجراً بعد بدر بيسير فنزل دار مخزومة بن نوفل، وكان يؤذن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة مع بلال وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته. شهد القادسية ومعه الراية ثم رجع إلى المدينة فمات بها. ابن سعد، الطبقات، ج ٤/ ص ١٥٤.

٣- مسوح: جمع مسح وهو فارسي معرب ومعناه: الكساء الغليظ من الشعر، وهو ثوب الراهب. ابن سيده، المحكم، ج ٣/ ص ٢١٩.

ويكبرون حتى الفجر، فغدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أصحابه^(١).
 وصلّى الرسول بالناس في فضاء بني خطمة^(٢)، وأمر بلائاً فضرب القبّة في موضع
 المسجد الصغير الذي بفضاء بني خطمة، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله
 وسلم) القبّة، ولزم حصارهم، فلما كانت ليلة من الليالي فقد علي (عليه السلام)
 قرب العشاء، فقال الناس: يا رسول الله، ما نرى عليّاً، قال: (دعوه، فإنّه في بعض
 شأنكم)، فعن قليل جاء برأس عزوك، وقد كمن له حين خرج يطلب غرة^(٣) من
 المسلمين، وكان شجاعاً رامياً، فشدّ عليه فقتله، وفرّ من كان معه، وبعث رسول الله
 (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عليّ أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة من أصحابه
 فأدركوا اليهود الذين فرّوا من عليّ، فقتلوهم وطرحت رؤوسهم في بعض البئار.
 وكان سعد بن عبادة يحمل التّمر إلى المسلمين^(٤).

ويبدو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أرسل الإمام (عليه
 السلام) في مهمة خاصة أوكل إليه فيها قتل بعض فرسان اليهود الذين كانوا يخرجون
 من الحصن لمقاتلة المسلمين، ويبدو أنّها كانت سرية فلم يعلم بها المسلمون، وهذه
 إحدى ستراتيجمات الحرب المهمة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
 يطبقها وهي مباغته العدو، وعمل كئامن لتنفيذ تلك المهمة، ولعل أهم أسباب نجاح
 هذه المهمة هو عامل السرية، لذلك عمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى

١- سبل الهدى، ج ٤/ ص ٤٥٨.

٢- بنو خطمة: موضع في أعلى المدينة بين تبوك والمدينة وفيه مسجد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والخطام أيضاً: جبل يجعل في طرفه حلقة ثم يقلد البعير ثم يثنى على مخطمه. الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ ص ٣٧٩؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ج ١/ ص ٤٧٤.

٣- غرة: أي على غفلة. الازهري، تهذيب اللغة، ج ٨/ ص ١٧.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٤٥٩.

إخفاء الأمر عن الصحابة، ليس لقلّة ثقته بهم وإنّما لتحقيق أهم عنصر من عناصرها وهو سرّية التنفيذ. فضلاً عن اختيار عناصر المهمة من الذين يتمتعون بمواصفات خاصة تبعاً لنوعية هذه المهمة، وهنا كان اختيار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي لوجود تلك المواصفات فيه، فشجاعته تغني عن الكلام، وطاعته للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يختلف عليها اثنان، والصبر والتأني في تنفيذ الأمر وغيرها من الصفات التي وجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّها تتوفر في شخص الإمام وهو الأجدر بتنفيذها.

غزوة الخندق سنة ٦٢٦/هـ

لعل من أهم المعارك التي خاضها المسلمون مع مشركي قريش كانت غزوة الخندق.

وذكرت المصادر الشامية هذه المعركة مبيّنة أحداثها ووقائعها، ومنها ما ذكره (العلمي) الذي قال: إنّ نَفراً من اليهود هم الذين حرضوا الأحزاب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقالوا لهم: ((إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله))، وقالوا: ((دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِيحَنِّمْ سَعِيرًا﴾^(١))).^(٢)

وقعت غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة، وشهد الإمام علي بن أبي طالب

١- النساء: ٥١-٥٥.

٢- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١٣٠.

(عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الغزوة وكانت له بها آثار محمودة^(١)، وتحدثت المصادر الشامية بالتفصيل عن دور الإمام علي (عليه السلام) فيها والذي يكاد يكون أهم الأدوار بل الأثر العسكري الوحيد الذي حدث فيها.

أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرابطاً والمشركون يحاصرونه، بضعا وعشرين ليلة، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال من الخندق، إلا الرمي بالسهم والحجارة، ثم إن رؤساء المشركين وسادتهم أجمعوا على أن يغدوا جميعاً لقتال المسلمين، ثم إن بعض المشركين يريدون أن يقحموا خيلهم الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتيتموا مكاناً من الخندق ضيقاً قد أغفله المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويضربونها حتى اقتحمت، فعبر عكرمة^(٢)، وضرار بن الخطاب^(٣)، وهبيرة بن أبي وهب^(٤)، وعمرو بن عبد ود، وأقام سائر المشركين من وراء الخندق ولم يعبروا، فجالت بالذين دخلوا خيلهم في السبخة بين الخندق وسَلْع^(٥)، وخرج نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم؛ وقد وقف

١- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٦؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٩.

٢- عكرمة: هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي قتل يوم اجنادين في عهد عمر وهو ابن ٦٢ سنة وقيل إنه قتل يوم اليرموك في خلافة ابي بكر ولا عقب له. ابن حبان، الثقات، ج ٣/ ص ٣١٠.

٣- ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن شيبان القرشي الفهري، كان أبوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه، وكان ضرار من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المجودين. استشهد يوم اليامة. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢/ ص ٧٤٨.

٤- هو هبيرة بن أبي وهب بن مروان بن زائد بن عمران بن مخزوم، كان شاعراً من رجال قريش المعدودين، وكان شديد العداوة لله ورسوله. ينظر: أبو نصر الكلاباذي، الهداية والارشاد، ج ٢/ ص ٨٥٢؛ الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ١/ ص ٢٥٧.

٥- سَلْع: موضع بالحجاز، والسلع أيضاً: نبات سام. الفراهيدي، العين، ج ١/ ص ٣٣٥.

عمر بن عبدود^(١) هو وخيله ودعا إلى البراز، فقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فاستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأذن له، وأعطاه سيفه وعممه، وقال: (اللهم أعنه عليه)، فمشى إليه وهو يقول^(٢):

لا تعجلنّ فقد أتا	ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة	والصّدق من خير الغرائز
إني لأرجو أن أقي	م عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى	ذكرها عند الهزاهز

وهنا تتضح شجاعة الإمام علي (عليه السلام) وإقدامه في الحروب، على الرغم من حداثة سنّه آنذاك، فلم يخش قوة عمر بن عبد ود وشهرته بكونه من فرسان قريش والعرب المعدودين، ولا خبرته في الحرب، فخرج لقتاله يطلب بذلك رضا الله ورسوله، ونصرة الإسلام، وهذا ما ينبئ به أسلوبه في الحديث مع عمرو، قبل المبارزة، فيذكر (الشامي) أنّ الإمام (عليه السلام) قال له: يا عمرو إنّك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها، قال: أجل، فقال علي: فيّني أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين، قال: يا ابن أخي أحر عني هذه، قال: وأخرى ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. قال: هذا ما لا تحدّث به نساء قريش أبداً، قال: فالثالثة؟ قال: البراز، فضحك عمرو وقال: إن هذه لخصلة ما كنت

١- عمرو بن ود العامري: هو عمرو بن عبد بن أبي قيس بن عبد ود بن معد بن عدنان العامري القرشي وكان قائد المشركين في غزوة الخندق (الاحزاب) وقُتل في غزوة الخندق على يد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان يطالب المسلمين بأن يخرج له أحد يقاتله ولم يجبه أحد حتى انبرى له علي (عليه السلام) بعدما أذن له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الواقدي، المغازي، ج ٢/ ص ٤٩٦؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣/ ص ٢٥٤.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٣٢-٥٣٣.

أظن أن أحداً من العرب يرومني^(١) عليها، فمن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك، فأني أكره أن أهريق دمك، فقال علي (عليه السلام): لكنني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته، ودنا أحدهما من الآخر وثار بينهما غبرة، فضربه عمرو فأتقى علي الضربة بالدرقة فقدّها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجّه^(٢)، وضربه علي على جبل عاتقه^(٣) فسقط وثار العجاج، وقيل: طعنه في ترقوته^(٤) حتى أخرجها من مرقه^(٥)، فسقط. وسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التكبير فعرف أن علياً قد قتله^(٦). فثمّ علي (عليه السلام) وهو يقول^(٧):

١- يرومني: أي يطلبني عليها. الازهري، تهذيب اللغة، ج ١٥/ ص ٢٠٢.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٣٣-٥٣٤.

٣- جبل عاتقه: جبل العاتق: وصلة ما بين العاتق والمنكب، والحبل: هو الوريد. الازهري، تهذيب اللغة، ج ٥/ ص ٥١.

٤- ترقوته: الترقوة: هو وصل عظم بين ثغرة النحر والعاتق في الجانبين وجمعها التراقي، وقد ترقيتُ فلاناً: إذا أصبت ترقوته. الازهري، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ٦١.

٥- مرقه: المراق: هو أسفل البطن وما حوله حيث استترق الجلد. ابن سيده، المخصص، ج ١/ ص ١٥٧.

٦- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٣٤.

٧- المصدر نفسه والصفحة. وينظر أيضاً: العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٣٣.

نصرَ الحجارَةَ من سفاهةِ رأيِهِ ونصرتُ ربَّ مُحَمَّدٍ بصوابي
فصدرتُ حينَ تركتُهُ متجدِّلاً كالجدعِ بينَ دكادكٍ^(١) وروابي
وعففتُ عن أثوابِهِ لو أنني كنتَ المقطرَّ بزني أثوابي
لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينِهِ ونبيِّهِ يا معشرَ الأحزابِ^(٢)

ثم أقبل علي (عليه السلام) نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووجهه يتهلل، ولم يكن للعرب درع خير من درعه، ولم يستلبه لأنه اتقاه بسوءته^(٣)، فاستحياه، وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق^(٤)، وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحاً وهو منهزم عن عمرو^(٥).

وتدل هذه الرواية على شجاعة منقطعة النظير، وقمة في البسالة والرجولة التي لم تخرج عن الإسلام وتعاليمه القاضية بدعوة الناس إلى الإسلام أولاً، كما لم تخرج عن أعراف العرب وتقاليدهم غير المنافية للإسلام، وكان أسلوب المحاوراة ينم على حنكة عالية تمتع بها الإمام (عليه السلام) على رغم صغر سنه آنذاك، كما ينم على ذكاء كبير يدل على معرفة وإطلاع واسع، فقد ألزم عمرو بما كان ألزم نفسه به من قبل، أي أنه تحدث معه على وفق ما كان يؤمن به عمرو من مبادئ آمن وعمل بها في حياته، فلم يكن مخرج عمرو منها بالهين، وكان الإمام يعلم تمام العلم أن عمرو لم

١- الدكادك: الدكادك من الرمل، ما التبذ بالأرض ولم يرتفع، وجمعه دكادك، أي أن أرضهم ليست ذات حُرُونَة، ويجمع على دكادك. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٢/ ص ١٢٨.

٢- الحصري، زهر الآداب، ج ١/ ص ٨٣.

٣- سوءته: السوءة: الفعلة القبيحة، وهي: العورة، نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٥/ ص ٣٢٥٤.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٤/ ص ٥٣٤.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

يكن بالذي يرجع عما خرج إليه من قتال المسلمين، لذا كان على عمرو الاختيار بين أن يُسلم أو يُقاتل ويُقتل، وهذا ما كان ينشده الإمام (عليه السلام).

فضلاً عن هذا كله، تبرز نفسه الشريفة الكريمة والأصيلة التي تأبى عليه أخذ سلب رجل استقبله بسوءته لأنه ليس من فعل الشرفاء، فتركها وعاد إلى مكانه دون أن تمتد يده إليها، على الرغم من قيمة ذلك السلب بين العرب التي يتمنى كل رجل أن يكون محله ليأخذه. ولكنها النفس العربية الأبية التي كان عليها الإمام علي (عليه السلام)، والتي ميزت بينه وبين غيره من الرجال.

ثم إن الله تعالى أهبَّ ريح الصبا^(١) كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٢)، فجعلت الريح تقلب آنيتهم وتكفأ قدورهم وانقلبوا خاسرين^(٣).

غزوة بني قريظة^(٤) سنة ٦٢٦/هـ

بعد عودة المسلمين من غزوة الأحزاب وانقضاء شرِّ المهاجمين، عاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح، فلما كان الظهر أتى جبريل

١- ريح الصبا: وهي ريح لطيفة مهبها جهة الشرق، ويقال: هبَّت ريح الصبا أي نسيم الصبا. عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢/ ص ١٢٦٧.

٢- الأحزاب: ٩.

٣- العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ١٣٣.

٤- بنو قريظة: هم بطن من يهود خيبر وهو تصغير قريظة، وبنو قريظة هم أخوة النضير، وقد أيدوا لنقضهم العهد ومظاهرهم المشركين على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمر بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم واستفاءة أموالهم. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ٧١.

النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أقدم وضعت السلاح؟ قال: نعم، قال: ما وضعت الملائكة السلاح إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة - وهم من اليهود - فإني عامد إليهم فمزلزل بهم^(١).

فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منادياً فنادى من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلين العصر إلا في بني قريظة^(٢)، وقدم علياً إليهم برايته ثم تلاحق الناس، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم، ولبس سلاحه وتجهّز، وسبق الإمام عليّ (عليه السلام) في نفر من المهاجرين والأنصار فيهم أبو قتادة^(٣) - إلى بني قريظة^(٤).

وينقل (الشامي) عن أبي قتادة قوله: ((انتهينا إلى بني قريظة، فلما رأونا أيقنوا بالشّر، وعرز علي الراية عند أصل الحصن، فاستقبلونا في صياصيههم^(٥) يشتمون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأزواجه. قال أبو قتادة: وسكتنا، وقلنا: السيف بيننا وبينكم، وانتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني قريظة، فنزل قريباً من حصنهم على بئر أنا^(٦) بأسفل حرّة بني قريظة^(٧)، فلما رآه علي (عليه

١- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٣٤.

٢- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٣٤.

٣- أبو قتادة: اختلف في اسمه، ف قيل: النعمان بن ربيعي، وقيل عمرو بن ربيعي، وهو أنصاري، شهد أحداً، توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ وهو ابن سبعين سنة. ابن سعد، الطبقات، ج ٦/ ص ٩٤.

٤- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٣٤.

٥- صياصيههم: كل ما يمتنع به وهي الحصون. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٢/ ص ١٨٦.

٦- بئر أنا: هي بئر من آبار بني قريظة من ناحية أمواهم. عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ج ١/ ص ٥٢.

٧- حرّة بني قريظة: وهي الحرّة الشرقية التي تقع بالقرب من مسجد بني قريظة وهو في شرقي =

السلام) رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمرني أن ألزم اللّواء، فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أذاهم وشتمهم))^(١).

وقال الإمام علي (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخايث، فإنّ الله تعالى كافيك اليهود؛ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لم تأمرني بالرجوع؟) فكتمه ما سمع، فقال: (أظنّك سمعت منهم لي أذى) فقال: نعم يا رسول الله. قال: (لورأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً)^(٢). فسار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم، وتقدّمه أسيد بن الحضير^(٣) فقال: يا أعداء الله: لا نبرح عن حصنكم حتى تموتوا جوعاً، إنّما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر، فقالوا: يا ابن الحضير: نحن مواليك دون الخزرج، وخاروا، فقال: لا عهد بيني وبينكم ولا إلّا ولا ذمة^(٤)، ودنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وترسنا عنه^(٥)، ونادى بأعلى صوته نقرأ من أشرافهم، حتى أسمعهم فقال: ((أجيبوا يا إخوة

=مسجد الشمس. والحرة: هي الأرض التي تركبها حجارة سود وهي اللابة وجمعها لابات فإذا كثرت فهي اللوب وللمدينة لابنتان من جانبيها. السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٣/ص ٣٤.

١- سبل الهدى، ج ٥/ص ١٠-١١-١٢.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ص ١٢.

٣- أسيد بن الحضير: هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن أمري القيس بن زيد بن عبد الأشهل، يكنى أبا يحيى، كان أبوه حضير الكتائب شريفاً في الجاهلية وكان رئيس الأوس يوم بعث، وقد قتل فيها، ولما هاجر رسول الله إلى المدينة بعدها بست سنين كان أسيد سيد قومه، ويُعد من عقلائهم وذوي رأيهم. توفي في شعبان سنة عشرين للهجرة ودفن بالبقيع. ابن سعد، الطبقات، ج ٣/ص ٤٥٣.

٤- إلّا ولا ذمة: أي ولا أماناً، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، والذمة العهد، وقيل: الإلّ: هي الحلف. الازهري، تهذيب اللغة، ج ١٤/ص ٣٠٠.

٥- ترسنا عنه: ترس فلان أي توفى بالترس، وهي صفحة من الفولاذ مستديرة أو بيضة الشكل تُحمل =

القردة والخنازير وعبدة الطّاغوت هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ أتشتمونني؟! فجعلوا يملفون ما فعلنا، ويقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، واجتمع المسلمون عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشاءً، وبعث سعد بن عبادة بأحمال تمر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، فكان طعامهم، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ: نعم الطّعام التّمر))^(١).

وأشار (العليمي) إلى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاصرهم خمساً وعشرين ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ولما اشتد بهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فردّ الحكم إلى سعد بن معاذ فحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم الأموال، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة))^(٢).

وعلى الرغم من أنّ المصادر الشامية لم تذكر أسباب هذه الغزوة، إلاّ أنّه يبدو من خلال الروايات أنّها كانت بسبب نفرٍ من اليهود حرضوا الأحزاب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والعمل على مساعدتهم من داخل المدينة وإن رسول الله خرج إلى بني قريظة بأمرٍ من الله عز وجل.

=لوقاية الوجه والرأس من الضربات، وترسنا عنه: أي توقينا عنه أو منه بالترس. عمر، معجم اللغة العربية، ج ١/ ص ٢٨٩.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٢.

٢- التاريخ المختبر، ج ١/ ص ١٣٤؛ الأنس الجليل، ج ١/ ص ١٩٩. وأرقعة: يقال: رقت الثوب ورقته، والساوات السبع يقال لها سبعة أرقعة، كل ساء منها رقت التي تليها، فكانت حلقاتها كما يرقع الثوب بالرقعة، ويقال الرقيع: الساء الدنيا التي تلي الأرض سميت رقيعاً لأنها رقت بالأنوار التي فيها. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١/ ص ١٥٨. وينظر أيضاً: ابن زنجويه: الأموال، ج ١/ ص ٣٤٣؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ١٥/ ص ٢٤٧؛ ابن أبي أسامة، بغية الباحث، ج ٢/ ص ٧٠٥.

صلح الحديبية^(١) سنة ٦٢٧/هـ

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عمرة الحديبية السنة السادسة للهجرة^(٢). وقد خرج من المدينة في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً، وساق الهدي^(٣) وأحرم بالعمرة، وسار حتى وصل ثنية المزار^(٤) مهبط الحديبية، أسفل مكة والحديبية^(٥).

وتأهبت قريش للقتال، وبعثوا رسولهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن عفان يُعلمهم أنه لم يأت الحرب، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فلما وصل إليهم أمسكوه وحبسوه، وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قتله؛ فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع الناس على الموت، ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل، ثم وقع الصلح بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين قريش^(٦).

١- الحديبية: بئر بقرب مكة على طريق جدة، ثم أطلق على الموضوع. وقيل إنها تبعد تسعة أميال عن المسجد. الفيومي، المصباح المنير، ج ١/ص ١٢٣.

٢- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٦.

٣- الهدي: ما يكون من الإبل والبقر والغنم ويقتضي إهداؤها إلى موضع لقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (المائدة: ٩٥)، فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي، والعرب تسمي الإبل هدياً، وسميت بذلك لأنها تهدي إلى بيت الله الحرام. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٦/ص ٢٠٤.

٤- ثنية المزار: هي مهبط الحديبية، والمزار بالضم: شجر مُر إذا أكلتها الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ١/ص ٤٧٤.

٥- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ص ١٩٩.

٦- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ص ١٩٩-٢٠٠.

وبعثوا سهيل بن عمرو^(١) في الصلح ؛ فأجاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم دعا علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ((اكتب بسم الله الرحمن الرحيم^(٢)) ، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب بأسمك اللهم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأشهدوا في ذلك الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين (والمشركين))^(٣).

ويذكر (الشامي) رواية أخرى فيما يخص محور لفظة الرسالة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيذكر أنه حين اعترض سهيل على ذلك، قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي المحم، فقال علي: ما أنا بالذي أحوه، فجعل علي يتلکأ، وأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد^(٤).

١- سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك، يكنى أبا يزيد، من أشراف قريش ورؤسائهم والمنظور إليه منهم، شهد مع المشركين بدرًا فأسر، وكان يقال له ذو الأنياب. وقيل أنه توفي بالشام سنة ١٨ هـ. ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١/ ص ١٤١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦/ ص ١٨.

٢- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٠؛ الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ٨٨.

٣- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٠. وينظر أيضاً: ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٧/ ص ٣٨٥؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٢/ ص ٨٥.

٤- سبل الهدى، ج ٥/ ص ٨٨؛ ابن طولون، مرشد المختار، ص ٦٩. باختلاف في النص.

وهذا إخبار من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) بأنه سيلاقي الأمر نفسه فيما بعد، وهو ما حصل في الصلح الذي انعقد بعد معركة صفين بين الإمام علي (عليه السلام) وبين معاوية، وقد أصر عمرو بن العاص على نحو هذه اللفظة.

وذكر أيضاً أن أسيد بن الحضير وسعد بن عباد أخذوا بيد علي ومنعاه أن يكتب إلا (محمد رسول الله)، وإلا فالسيف بيننا وبينهم، فارتفعت الأصوات، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخفضهم ويومئ بيده إليهم: اسكتوا. فقال: أرنيه، فأراه إياه فمحاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده وقال: اكتب محمد بن عبد الله^(١).

ويذكر (الشامي) نقلاً عن الزهري (ت ١٢٤هـ / ٧٤٤م) سبب فعل الرسول ذلك بالقول: ((وذلك لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يسألوني خطة^(٢) يعظّمون بها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسهيل على أن تخلّوا بيننا وبين البيت، فنطوف، فقال سهيل: لا والله لا تحدّث العرب أنّا أخذنا ضغطة^(٣)، ولكن لك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: على أنّه لا يأتيك منّا أحد بغير إذن وليّه - وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، أيكتب هذا؟ كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً، فقال رسول الله (صلى الله

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ٨٨-٨٩. وينظر أيضاً: البيهقي، السنن الكبرى، ج ٧/ ص ٦٨؛ أبو داود الطيالسي، مسند الطيالسي، ج ٢/ ص ٨٧.

٢- خطة: الخطة هي الحال والأمر والخطب، ولا يسألوني خطة: أي أنه عرض عليكم خطة رُشدٍ فأقبلوها أي أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٢/ ص ٤٨.

٣- ضغطة: الضغطة بالضم: الشدة، وأخذت فلاناً ضغطة، إذا ضيقت عليه لتكرهه على الشيء. الجوهري، الصحاح، ج ٣/ ص ١١٤٠.

عليه وآله وسلم): ((نعم إنّه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً))^(١).

ويبدو لنا أنّ تلكؤ الإمام علي (عليه السلام) في تنفيذ هذا الأمر لم يكن مخالفةً منه لرسول الله وإتّما شدة يقينه وإيمانه بمحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلاً لهذا الأمر يبدو صعب التقبل.

غزوة خيبر^(٢) سنة ٦٢٨/هـ

ذكر (العلمي) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة، ثم خرج في منتصف المحرم سنة سبع وسار في ألفٍ وأربعمائة فارس^(٣).

عن علي (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تأخذه الشّقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشّقيقة فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر فأخذ راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، ولم يكن فتح. ثم أرسل عمر فأخذ راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع،

١- سبل الهدى، ج ٥/ص ٨٩. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٣١/ص ٢٤٩؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٩/ص ٣٦٦.

٢- خيبر: بلد كثير الماء والزرع والأهل، وكان يسمى ريف الحجاز وأكثر محصولاته التمر لكثرة نخيله قديماً حتى قال حسان:

فإننا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمراً إلى أهل خيبراً

ولخيبر أودية كبيرة تجعل مياهه شرارة تسيل على وجه الأرض، ويبعد عن المدينة ١٦٥ كيلاً شمالاً على طريق الشام. عاتق البلادي، معجم المعالم، ج ١/ص ١١٨.

٣- التاريخ المعتبر، ج ١/ص ١٤٢-١٤٣.

ولم يكن فتح. وقيل: إن الغلبة كانت لليهود في اليومين، فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فقال: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه، ليس بفرار، يحب الله ورسوله، يأخذها عنوة يفتح الله على يديه))^(١).

فذكر (الشامي) عن بريدة قال: ((فتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غداً، وبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم يرجو أن يعطاها، فقال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى كان يومئذ))^(٢).

ويبدو من هذه الرواية أن المسلمين ترقبوا ذلك الأمر لسببين الأول إنه إخبار من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه يحب الله ورسوله، وهي شهادة ما بعدها شهادة، وتكون دليلاً على إيمان ذلك الرجل، والسبب الثاني هو أن الله سيوفقه لفتح الحصن، ومن يحظ بتوفيق الله فإنه موفق في حياته ومسدد، لذا كان المسلمون جميعاً يتمنون أن يشير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه، وهذا ما يفسر قول عمر فما أحببت الإمارة قط حتى كان يومئذ.

كما قال بريدة: ((فما متاً رجل له من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تناولت أناها^(٣)، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس منة، وكان الإمام علي (عليه السلام) تخلف عن رسول الله

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ص ١٩٣-١٩٤؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٢. باختلاف بسيط في النص. وينظر أيضاً: النسائي، السنن الكبرى، ج ٧/ص ٣١١؛ ابن أبي عاصم، السنة، ج ٢/ص ٦٠٨.

٢- سبل الهدى، ج ٥/ص ١٩٤. النسائي، السنن الكبرى، ج ٧/ص ٣١١؛ ابن أبي عاصم، السنة، ج ٢/ص ٦٠٨.

٣- أناها: أنال وتناول علينا فلان بشيء أي أعطانا شيئاً يسيراً، والنوال: العطاء. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/ص ٦٨٣.

(صلى الله عليه وآله وسلم) لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا، أنا أتخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرج فلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((^١)).

وجاء علي (عليه السلام) حتى أناخ قريباً، وهو رمد، قد عصب عينيه بشقّ برد قطري^(٢)، فلما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى الغداة، ثم دعا باللّواء، وقام قائماً فوعظ الناس، ثم قال: أين علي؟ قالوا: يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه؛ قال سلمة: فجئت به أقوده، فأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: مالك؟، قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامي. قال: أدن مني، فقال علي: فوضع رأسي عند حجره، ثم بزق في ألية يده^(٣) فذلك بها عيني، فبرأ كأن لم يكن به وجع قط، فما وجعها علي حتى مضى لسبيله، ودعا له وأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى - وحق رسوله، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم))^(٤). ثم إن

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٤.

٢- شق برد قطري: القطر: نوع من البرود، والبرود القطرية: وهي حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، وقيل هي منسوبة إلى قطر وخففت وكسرت القاف فقالوا: قطري، والأصل قطري. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥/ ص ١٠٦.

٣- ألية يده: هي ألية الخنصر، اللحمية التي تحتها هية ألية اليد، والألية هي الشحمة. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤/ ص ٤٣.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٤-١٩٥؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٢-٥٣. وينظر أيضاً: العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٤٤. وحمر النعم: النعم: الإبل، وحمرها: كرامتها وأعلامها منزلة، والنعم لا يقع إلا على الإبل، والأنعام تقع على الإبل والبقر والغنم، فإذا انفردت الإبل قيل لها: نعم وأنعام. الانباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ٢/ ص ٢٨٠. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٣٧/ ص ٤٧٧؛ البخاري، الصحيح، ج ٥/ ص ١٣٤.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت قال: علام أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله فخرج بها والله يأنح^(١) يهرول هرولة. حتى ركزها تحت الحصن فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: علي، فقال اليهودي غلبتهم والذي أنزل التوراة على موسى، فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه^(٢). وهذا الأمر فيه دلالة على أن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم بتوجيه من الله وجهه إليهم، ويكون فتح الله تعالى على يديه^(٣).

وقاتل الإمام علي (عليه السلام) ذلك اليوم قتالاً كبيراً وبارز العديد من فرسان اليهود وقتلهم، ومنهم الحارث^(٤) أخو مرحب^(٥) الذي خرج في عاديته^(٦) فقتله الإمام علي (عليه السلام) ثم برز بعده فارس يسمى عامر، وكان رجلاً جسيماً طويلاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين برز: (أترونه خمسة أذرع؟)، فخرج إليه الإمام علي (عليه السلام) فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب

١- يأنح: إذا تأذى من مرض أو بُهر فلا يشن. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٥/ ص ١٦٦.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٥. وينظر: مسلم، الصحيح، ج ٤/ ص ١٨٧١.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٥.

٤- الحارث اليهودي، هو ابو مرحب اليهودي وقتله الامام علي (عليه السلام) يوم خيبر كما قيل إن الحارث هو أخو مرحب. ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٥٥/ ص ٢٦٧.

٥- مرحب اليهودي: بفتح الميم والحاء قتل كافراً يوم خيبر واختلفوا في قاتله فقيل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقيل محمد بن مسلمة الأنصاري وقد روي بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نقل يوم خيبر محمد بن مسلمة سلب مرحب وأكدت المصادر بأن علياً قاتل مرحب. النووي، تهذيب الأسماء، ج ٢/ ص ٨٦.

٦- عاديته: يريد بها أصحابه وأعدائه، والعادية هي خيل تعدو للغارة. الخطابي، غريب الحديث، ج ٢/ ص ٣٨٨.

ساقية فبرك، ثم ذُفِّف عليه، وأخذ سلاحه^(١). ثم برز ياسر وهو يقول^(٢):

قد علمت خيبر أنّي ياسر شاكي السلاح^(٦) بطل مغاور
إذا اللّيـوث أقبلت تبادر وأحجمت عن صولة المساور
إنّ حسامي فيه موت حاضر

وكان من أشدّائهم، وكان معه حربة يحوس^(٤) النَّاس بها حوساً، فبرز له الإمام علي (عليه السلام)، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت ألا خليت بيني وبينه، ففعل، فقالت صفيّة لما خرج إليه الزبير: يا رسول الله يقتل ابني؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): بل ابنك يقتله إن شاء الله^(٥). فخرج إليه الزبير وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّي زبّار قرم لقرم^(٢) غير نكس فرّار
ابن حمّة المجد، ابن الأخيار ياسر لا يغرك جمع الكفّار
فجمعهم مثل السراب الختار^(٧)

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٥-١٩٦.

٢- المصدر نفسه، ج ٥/ ص ١٩٦. وينظر: النويري، نهاية الأرب، ج ١٧/ ص ٢٥٤.

٣- شاكي السلاح: أي تام السلاح ذو شوكة والحدة في السلاح. ويقال شاكي السلاح إذا كان سلاحه ذا شوكة. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ٣١٦.

٤- يحوس: الاحوس: هو الشجاع الذي لا يبرح مكانه في الحرب والجمع حوس. وحوس الرجل إذا كان شجاعاً، ويقال: الذئب يحوس الغنم: أي يفرقها. ينظر: ابن دريد، جوهرة اللغة، ج ١/ ص ٥٣٦؛ الفارابي، معجم ديوان الادب، ج ٣/ ص ٣٩٤.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٦.

٦- قرم لقرم: سمي الرئيس من الرجال المكرم لأنه شبّه بالقرم من الإبل لعظم شأنه وكرمه عندهم. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ١٢٠.

٧- الختار: الغدّار ويقال: الختّر: أسوأ الغدر. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٧/ ص ١٣٠.

ثم التقيا فقتله الزبير، ودُكر أنّ علياً هو الذي قتل ياسراً^(١). ثم إنَّ مرحباً خرج وهو يخطر بسيفه، وعليه مغفر يمانى^(٢) وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول^(٣):

قد علمت خيبر أنّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا اللبث أقبلت تلهب

فبرز له علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعليه جبّة أرجوان^(٤) حمراء قد أخرج خملها، وهو يقول^(٥):

أنا الذي سممتي أمي حيدر^(٦) ليث بغابات شديد القسورة^(٣)
أوفيهم بالصّاع كيل السندرة^(٨)

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٦.

٢- مغفر يمانى: يغفر غفراً: ستره، وكل شيء سترته فقد غفرتُه ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس: يغفر. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥/ ص ٢٥.

٣- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠١؛ التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٤٤؛ الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٧. وينظر أيضاً: العكبري، شرح ديوان المتنبي، ج ٢/ ص ٣٩٦.

٤- جبّة أرجوان: وهي قטיפه حمراء والأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة وهي لفظة فارسية معربة. الجوهري، الصحاح، ج ٦/ ص ٢٣٥٣.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٧-١٩٨. وقد أوردها العليمي أيضاً باختلاف في الأبيات في كتابه التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٤٤-١٤٥.

٦- الحيدرة: الاسد، وسمي بذلك لغلظ عنقه وقوة ساعديه، ومنه غلام حادر إذا كان ممتلئ البدن شديد البطش. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٤/ ص ٢٣٧.

٧- القسورة: القسور: اسم من أسماء الاسد، وقيل: الصائد، والقسورة الشجاع. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٨/ ص ٣٠٦؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢/ ص ١١٧٩.

٨- السندرة: مكيال كبير. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٤/ ص ٢٣٧.

فاختلفا ضربتين، فبدره علي (عليه السلام) بضربة فقد البيضة^(١) والمغفر ورأسه ووقع في الأحرش وسمع أهل العسكر صوت ضربته وقام الناس مع عليّ حتى أخذ المدينة^(٢).

وقد ناقش (الشامي) الآراء التي ذكرت بأن الإمام علياً (عليه السلام) لم يقتل مرحباً، ووضح ذلك بالقول: ((وورد ذلك في حديث بريدة بن الحصيب، وأبي نافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى تقدير صحة ما ذكره جابر، وجزم به جماعة... من وجهين: أحدهما: أنه أصحّ إسناداً، الثاني: أن جابراً لم يشهد خبيراً، وقد شهدها سلمة وبريدة، وأبو رافع وهم أعلم ممن لم يشهدا، وما قيل من أن محمد ابن مسلمة ضرب ساقى مرحب فقطعهما ولم يجهز عليه، ومرّ به علي فأجهز عليه، يأباه حديث سلمة وأبي رافع، والله أعلم. وصحح أبو عمر أن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل مرحباً))^(٣). وذكر (العلمي) أن الإمام علياً (عليه السلام) كان له الدور الأكبر في فتح خيبر، بل وذكر أن الفتح كان على يديه، فقال: ((وكان فتح خيبر في صفر على يد علي (عليه السلام))^(٤). وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على الدور الكبير الذي لعبه الإمام علي (عليه السلام) في هذه المعركة، وجهاده الذي لا يوصف في سبيل رفع راية الإسلام ودحر أعدائه في بداية تكوين الدولة الإسلامية.

ولعل من أبرز ما نقلته المصادر التاريخية هو قلع الإمام علي (عليه السلام) لباب

١- قدّ البيضة: قدّ يقدُّ، ورجل قداد: يقدُّ الكلام وهو تشقيقه إياه وكثرته، وتقدد البعير: سمن بعد الهزال فرأيت أثر السمن يأخذ فيه. ومعنى يقد: يشق وسطها، والقديد اشتقاقه منه، وقدّ البيضة أي شقّ البيضة من وسطها. الفراهيدي، العين، ج ٥/ ص ١٧.

٢- العلمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١٤٥؛ الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ١٩٨.

٣- سبل الهدى، ج ٥/ ص ٢٠٠.

٤- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١٤٥.

خيبر، فيذكر (الشامي) ما رواه أبو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برأيته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل، حتى فتح الله تعالى عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه^(١).

كما ذكر أيضاً أن علياً (عليه السلام) حمل الباب يوم خيبر، حتى صعده عليه المسلمون فافتتحوها، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمّله أربعون رجلاً^(٢).

وهذا يدل على ما وهب الله سبحانه للإمام علي (عليه السلام) من قوة ربانية لم يحظ بها غيره من المسلمين العارفين بحقه فقد أيده الله بها كرامة له لدينه ولرسوله الكريم.

وبعد حصار خيبر بضع عشر ليلة وفتحها حاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأموال كلها وسأله اليهود أهل خيبر على أن يساقبهم^(٣) على النصف من ثمارهم ويخرجهم متى شاء، ففعل ذلك وفعل مثل ذلك أهل فدك^(٤).

١- سبل الهدى، ج ٥/ ص ٢٠٠.

٢- المصدر نفسه، ج ٥/ ص ٢٠١.

٣- يساقبهم: المسافة: تعني دفع شخص شجره وأرضه إليه ليعمرها ويسقيها ويقوم على إصلاحها على أن يكون له سهم معلوم من الربح والمحصول. عمر، معجم اللغة، ج ٢/ ص ١٠٨١.

٤- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٤٥. وفدك: قرية بناحية الحجاز ذات عين فوّارة ونخيل كثيرة، أفاءها الله جل وعز على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبينها وبين المدينة يومان. ينظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ٢/ ص ١٦٧؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٠/ ص ٧٣.

عمرة القضاء^(١) سنة ٦٢٨/هـ

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي القعدة سنة سبع للهجرة معتمراً، وساق معه سبعين بدنة^(٢)، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلمّا كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالوا: لا نقر بهذا لو نعلم أنّك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبدالله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله^(٣). ثم قال لعلي (عليه السلام): أمحُ رسول الله، فقال علي (عليه السلام): والله لا أمحوك أبداً^(٤).

ويبدو أن مشركي قريش ظلوا على عنادهم وكفرهم، وكرروا ما فعلوه بصلح الحديبية قبل عام، وأصروا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يمحو لفظ الرسالة، فضلاً عن موقف الإمام علي (عليه السلام) الراض لمحوه.

لذا فقد أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ألا يدخل مكة السلاح إلاّ السيف في القراب^(٥)، وأنّه لا يخرج

١- عمرة القضاء: أو عمرة القضية، وهي عمرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في شهر ذي القعدة من السنة السابعة من الهجرة وقد أطلق عليها الاسم لأنه عقد هدنة مع سهيل بن عمرو مندوب أهل مكة الذي منعه من قضاء العمرة في السنة السابقة. دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج ٨/ ص ٣٠٤.

٢- البدنة: تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر مما يجوز في الهدى والأضاحي ولا تقع على الشاة، وسميت بدنة لعظمها، وجمعها البدن، ولأنها تبطن أي تسمن. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٤/ ص ١٠٢.

٣- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٣.

٤- المصدر نفسه والصفحة. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٣٠/ ص ٥٩٤؛ البخاري، الصحيح، ج ٤/ ص ١٠٣.

٥- القراب: هو شبه جراب من آدم يضع الراكب فيه سيفه. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ١٠٩.

من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها^(١).

وهذه الشروط أقرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه، فلما دخل المسجد اضطبع^(٢) بردائه ورمل^(٣) في أربعة أشواط من الطواف، ثم خرج إلى الصفا والمروة فسعى بينهما، وتزوج في سفره هذا ميمونة بنت الحارث^(٤) وهو محرم^(٥)، وهي آخر امرأة تزوجها، وأقام بمكة ثلاثاً، فأرسل المشركون إليه مع علي (عليه السلام): ليخرج عنهم؛ فخرج بميمونة وانصرف إلى المدينة (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٦).

١- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٣-٢٠٤. ينظر أيضاً: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٣٠/ ص ٥٩٤؛ البخاري، الصحيح، ج ٥/ ص ١٤١.

٢- اضطبع: اضطبع بثوبه إذا ادخله من تحت يده اليمنى فألقاه على منكبه الأيسر وأبدى ضبعيه وهما عضداه. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٦/ ص ٣٩٢٠.

٣- رَمَل: رَمَلَ يرمَلُ رملاً وهو فوق المشي ودون العدو، كما يرمَلُ الحاج أو المعتمر. إبراهيم الحربي، غريب الحديث، ج ٣/ ص ١١٥٢.

٤- ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهُزم، كانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية ثم فارقتها فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زوجه إياها العباس بن عبد المطلب وكان يلي أمرها وهي أخت أم الفضل بنت الحارث الهلالية لأُمها وأبيها، وكان أسمها برة فسماها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ميمونة. توفيت سنة ٦١ هـ وهي آخر من مات من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان لها ثمانون سنة. ابن سعد، الطبقات، ج ٨/ ص ١٠٤.

٥- محرم: يقال للنازل في الحرم: محرم وللخارج منه مُحَل، وذلك أنه ما دام في الحرم يُحرم عليه الصيد والقتال وإذا خرج منه حلّ له ذلك. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٣/ ص ٢٨١.

٦- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٤.

نقض الصلح وفتح مكة سنة ٦٢٩هـ / م

وسبب ذلك - نقض الصلح الذي كان بين قريش وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - أن بني بكر بن عبد مناف عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوثير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبنو بكر في عهد قريش في صلح الحديبية وكانت بينهم حروب في الجاهلية^(١).

ثم قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: بل هو فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت رجل مشرك نجس، قال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر^(٢)؛ ثم خرج وأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلمه فلم يرد عليه شيئاً فذهب إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى علي (عليه السلام) على أن يكلموا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمره وتشفع بهم فلم يفعلوا، فقال لعلي: ((يا أبا الحسن إنني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى فقال: والله لا أعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجره^(٣) بين الناس والحق بأرضك قال أو ترى ذلك يغني عني شيئاً؟ قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك))^(٤).

١- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٤.

٢- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٠٥؛ التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٥٤.

٣- أجره: أي أمنه وعرفه ما يجب عليه أن يعرفه من أمر الله، ثم أبلغه فأمنه لئلا يُصاب بسوء. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١١/ ص ١٢٠.

٤- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٥؛ التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٥٤.

وهذه الرواية تدل على مدى تسامح الإمام علي (عليه السلام) مع مشركي قريش حين قدر المسلمون عليهم، على الرغم مما عاناه المسلمون منهم.

وأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الزبير بن العوام أن يدخل ببعض الناس من كُدى^(١)، وأمر سعد بن عبادة سيد الخزرج أن يدخل ببعض الناس من ثنية كداء^(٢). ثم أمر الإمام علياً (عليه السلام) أن يأخذ الراية منه فيدخل بها لما بلغه من قول سعد ((اليوم يوم الملحمة اليوم نستحل^(٣) الحرمه))^(٤).

ودخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من كدا وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح ويرجع وكان فتح مكة في رمضان وقد دخل مكة وملكها عنوة^(٥). ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح أذن بلال على ظهر الكعبة فقال الحارث بن هشام^(٦) ليتني مت قبل هذا^(٧).

- ١- كُدى: بضم الكاف مشدد الياء جبلان قرب مكة، وهي العقبة الصغرى التي بأعلى الكعبة التي يهبط منها على الأبطح والمقبرة تحتها على اليسار. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١/ ص ٣٥٠.
- ٢- كُداء: بفتح الكاف وهو بأعلى مكة وهو الذي سعوا أن يدخلوا منه والذي دخل منه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجه. الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٩/ ص ٣٨٥.
- ٣- نستحل الحرمه: الحرمه: الحشمة، وحرمت الله: مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها، وانتهاك الحرمه: تناولها بما لا يحل. ينظر: ابن فارس، مجمل اللغة، ج ١/ ص ٨٤٦؛ الجوهري، الصحاح، ج ٤/ ص ١٦١٣.
- ٤- العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ١٥٦.
- ٥- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٧. والعنوة: قهراً بالسيف. الفراهيدي، العين، ج ٢/ ص ٢٥٢.
- ٦- هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمن من مسلمة الفتح، مات بالشام في خلافة عمر. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ١٤٨.
- ٧- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٨.

وقام علي (عليه السلام) ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة^(١) مع السقاية^(٢)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أين عثمان بن طلحة^(٣)؟ فدعي له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقال خذوها تالدة^(٤) خالدة لا ينزعها منكم إلا الظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف^(٥).

وبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسروها ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدعوه في بيته صنماً إلا كسره، ولما بعث السرايا حول مكة يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمرهم بقتال. وكانت من السرايا سرية خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني خزيمة فأقبلوا بالأسلح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فوضعوه فدعاهم إلى الإسلام

١- الحجابة: وهي السدانة في كلام العرب والحجابة السادن أي الحاجب وهو السدنة الجماعة، وسدن: السدن أي الستر والدين هو الحاجب وسدنة البيت حُجَّابُه. ابن سلام، غريب الحديث، ج ١/ ص ٢٣٧؛ الفراهيدي، كتاب العين، ج ٧/ ص ٢٢٨.

٢- السقاية: هي آبار تحفر ويباعد ما بينها ثم يخرق ما بين كل بئرين بقناة تؤدي الماء من الأولى إلى التي تليها حتى يجتمع الماء إلى آخرتهن، يستخدمها أهل مكة لسقي الحجيج الوافدين إلى مكة. ابن سلام، غريب الحديث، ج ١/ ص ٢٦٩.

٣- عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن كلاب العبدي، الحنظلي وهو صحابي شهير وقد هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هدنة الحديبية في صفر سنة ٨ هـ ومات سنة ٤٢ هـ، وقيل استشهد بأجنادين. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٣٨٤.

٤- تالدة: يقال للشيء الدائم الذي لا يزول تالداً. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ١/ ص ١٥١. وينظر: الازرقعي، أخبار مكة، ج ١/ ص ٢٦٧.

٥- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٨؛ التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ١٦٠.

فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا^(١)، فقتل منهم من قتل فلماً بلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع يديه وقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد - مرتين - ثم أرسل علي بن أبي طالب (عليه السلام) بهال وأمره أن يؤدي لهم الدماء والأموال ففعل ذلك ثم سأهم هل بقي لكم دم أو مال؟ فقالوا لا وكان قد فضل مع علي (عليه السلام) قليل مال فدفعه إليهم زيادة تطيب لقلوبهم وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فأعجبه^(٢).

ثم جلس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الصفا^(٣) واجتمع الناس لبيعته على الإسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فبايع الرجال ثم النساء وأهدر دم ستة رجال وأربع نسوة، وأول الرجال عكرمة بن أبي جهل وهبّار بن الأسود وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ومقيس ابن صبابه وعبدالله بن هلال والحويرث بن نفيل^(٤) كان يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويهجوّه، فلقيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقتله^(٥).

١- صبأنا: يقال: صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره، وكانت العرب تسمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٣/ ص ٣.

٢- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٠٩؛ التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٦١. ينظر أيضاً: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ١٠/ ص ٤٤٥؛ البخاري، الصحيح، ج ٥/ ص ١٦٠.

٣- الصفا: لغة: هي الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً، والصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. الحموي، معجم البلدان، ج ٣/ ص ٤١١.

٤- الحويرث بن نفيل - وقيل ابن نفير - بن بجير بن عبد بن قصي أهدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دمه يوم الفتح. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج ١/ ص ١٢٨.

٥- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٥٨-١٥٩.

إلقاء صنم قريش سنة ٦٢٩هـ / ٥٨م

روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: انطلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أتى بي الكعبة، فقال: اجلس، فجلست بجنب الكعبة، فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على منكبي فقال: انهض، فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس، فجلست، ثم قال: يا علي، اصعد على منكبي ففعلت، فلما نهض بي خيّل إليّ لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة، وتنحّى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ألقى صنمهم الأكبر، وكان من نحاس موتّد^(١) بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): عاجله، ويقول لي: إيه إيه ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢) جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً؛ فلم أزل أعاجله حتى استمكنت منه^(٣).

غزوة حنين^(٤) سنة ٦٢٩هـ / ٥٨م

وقعت هذه الغزوة في السنة الثامنة للهجرة^(٥)، وذكر دور الإمام علي (عليه السلام) فيها، فقد ذكر أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ يوم حنين كفاً من حصي أبيض فرمى به وقال: (هزموا ورب الكعبة) وكان علي (عليه السلام)

١- موتد: وهي تعني ثبت ويقال وتد الشخص أي ثبته ودعمه وتد الخيمة ثبتها بالأوتاد. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٣/ ص ٢٣٩٤.

٢- الإسرائاء: ٨١

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ٣٥٦-٣٥٧. وينظر أيضاً: ابن البيع، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/ ص ٣٩٨.

٤- حنين: وهو وادٍ قبل الطائف، وقيل: وادٍ بجنب ذي المجاز، بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً. الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ ص ٣١٣.

٥- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٧.

يومئذ أشدّ الناس قتالاً بين يديه^(١) لما فرّ النَّاس يوم حنين عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل يقول:

أنا النبيُّ لا كَذِبُ أنا ابنُ عبدِ المُطَلِّبِ^(١)

فلم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، وهم الإمام علي (عليه السلام)، والعبّاس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث^(٣) آخذ بالعنان، ورجل من غيرهم وهو ابن مسعود من جانبه الأيسر، قال: فليس يقبل أحد إلا قُتِل، والمشركون حوله صرعى^(٤). وقد أصيب الإمام علي (عليه السلام) يومئذ بضعة عشر ضربة^(٥).

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ٤٧٨. ينظر أيضاً: أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج ٦/ ص ٢٨٩؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٥/ ص ٢٠.

٢- ينظر: الراغب الاصفهاني، محاضرات الادباء، ج ١/ ص ١٢١.

٣- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، واسمه المغيرة، كان أخا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرضاعة أرضعته حليلة أياماً وكان يألف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان له تُرباً، فلما بُعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عاداه وهجاه - وكان شاعراً - فمكث عشرين سنة عدواً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا تحلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أنه أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتح مكة ويوم حُنين والطائف هو وابنه جعفر وثبتا معه يوم انكشف الناس يوم حنين. حج عاماً فحلقة الحلاق بمنى وفي رأسه ثؤول فقطعه الحلاق فمات سنة ٢٠هـ وصلى عليه عمر بن الخطاب. ابن سعد، الطبقات، ج ٤/ ص ٣٦.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ٥/ ص ٤٨٥.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

سرية^(١) الإمام علي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الفلّس سنة ٩ هـ

من السرايا التي بعثها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى الفلّس^(٢) لطيء ليهدمه وهو صنم يعبدونه من دون الله يسمونه الفلّس، سنة تسع للهجرة ليهدمه^(٣).

وعدد أفراد هذه السرية يتراوح ما بين مئة وخمسين رجلاً ومائتين من الأنصار، فأغاروا على أحياء من العرب وشنّوا الغارة على محلّة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلّس وخربوه ومالأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء وكان في السبي سفانة^(٤) أخت عدي بن حاتم^(٥)، وهرب عدي إلى الشام، ووجد في خزانة الفلّس ثلاثة أسياف: رسوب^(٦)

١- السرية: وجمعها سرايا وتتكون من أربعائة رجل، وسميت بذلك لأنهم كانوا يخرجون إلى العدو بالليل لإخفاء خروجهم. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٥/ ص ٣٠٥٣.

٢- الفلّس: وهو صنم لطيء مقلداً بسيفين أهداهما الحارث بن أبي شمر وهما مخدّم ورسوب. الزبيدي، تاج العروس، ج ٢/ ص ٤٩٨.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٣٤.

٤- سفانة: هي سفانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم سببت فُقدّم بها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة مع سبايا من طيء فحبسها أياماً ثم منّ عليها بالسلم وأعطها نفقة وكسوة وردّها إلى مأمنها وأشارت إلى أخيها عدي بن حاتم بالقدوم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أسلمت فحسن أسلامها. أبو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٦/ ص ٣٣١٢.

٥- عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، أبو طريف، صحابي مشهور وكان ممن ثبت على الإسلام في الردة وحروب الإمام علي ومات سنة ٦٨ هـ وهو ابن مائة وعشرين سنة. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٣٨٨.

٦- الرسوب: وهو من السيوف السبعة التي أهدت بلقيس لسليمان (عليه السلام) والأخير هو سيف الحارث بن أبي شمر الغساني ثم صار للنبي (صلى الله عليه وآله). الزبيدي، تاج العروس، ج ٢/ ص ٤٩٧.

والمخزم^(١) - كان الحارث بن أبي شمر^(٢) قلده إياهما - وسيف يقال له اليماي وثلاثة أدرع^(٣).

وقسم الإمام علي (عليه السلام) الغنائم بين المقاتلين، وعزلوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صفياً ورسوباً والمخزم، وعزل الخمس، كما قام (عليه السلام) بعزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة^(٤).

وكأنه (عليه السلام) كان يُدرك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيمنّ عليهم حين يردون عليه، وهذا الإدراك كانت له دوافعه وأسبابه، فالإمام يعلم ويعرف من هو حاتم الطائي، فهو أهل كرم وضيافة، وما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالذي يغض الطرف عن تلك الصفات الحميدة التي جاء القرآن بمدحها في كتابه الكريم، ومن أكرم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المبعوث بأسمى الرسالات السماوية، التي من أهم أهدافها تنمية مكارم الأخلاق، والخصال الحميدة ومنها العفو والكرم.

وهو ما تحقق فعلاً فحين مرّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأخت عدي بن

١- المخزم: القاطع، والمخزم: القطع، وهو سيف كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج ٣/ ص ١٣٢.

٢- الحارث بن أبي شمر: هو الحارث بن هانئ بن أبي شمر بن جبلة بن عدي، وفد إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كانت إقامته بغوطة دمشق وأدرك الإسلام فأرسل إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً مع شجاع بن وهب ومات سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١/ ص ٦٨٨؛ ابن المستوفي، تاريخ اربيل، ج ٢/ ص ٢٣٩.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٣٤.

٤- المصدر نفسه والصفحة.

حاتم، قامت إليه وكلمته أن يمن عليها فمنّ عليها فأسلمت وخرجت إلى أخيها فأشارت عليه بالقدوم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقدم عليه^(١).

غزوة تبوك^(٢) سنة ٦٣٠هـ / م

وهذه الغزوة هي الغزوة الوحيدة التي تخلّف عنها الإمام (عليه السلام) بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣)، إذ طلب منه المقام في المدينة، وقد حدثت هذه الغزوة سنة ٦٣٠هـ / م^(٤)، إذ أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتجهيز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبعث الطريق وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورّى^(٥) بغيرها وكان الحر شديداً والبلاد مجدبة والناس في عسرة، ولذلك سمي هذا الجيش بـ (جيش العسرة) وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كره وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين بالنفقة فأنفق أبو بكر جميع ماله وأنفق عثمان نفقة عظيمة^(٦).

وتخلف عن هذه الغزوة عبدالله بن أبي المنافق ومن تبعه من المنافقين، وتخلف

١- الشامي، سبل الهدى، ج ٦/ ص ٣٣٤.

٢- تبوك: هي موضع بين وادي القرى والشام، وقيل في تسميتها: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء في غزوة تبوك وهم يبكون حسيها بقدر فقال: ما زلت تبكونها بعد؟ فسميت تبوك، ومعنى تبوكون: تدخلون فيه السهم وتحركونه ليخرج ماؤه. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ١/ ص ٣٠٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ ص ١٤.

٣- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٩.

٤- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٧.

٥- ورّى: ستره وأظهر غيره، والتورية: الستر. ينظر: الانباري، الزاهر، ج ١/ ص ٢٣٠.

٦- العليمي، التاريخ المعاصر، ج ١/ ص ١٦٧.

عنها أيضاً ثلاثة من الأنصار وهم: كعب بن مالك^(١) ومُرارة بن الربيع^(٢) وهلال بن أمية^(٣). واستخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أهله علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأرجف^(٤) به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، فلما سمع علي بذلك أخذ سلاحه ولحق بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبره بما قال المنافقون، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كذبوا وإنما خلقتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(٥).

ويبدو أنّ عدم اصطحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام)، قد يعود إلى خشية الرسول مما قد يقدم عليه المنافقون الذين تخلفوا عن الغزوة في المدينة، ولعل وجود الإمام (عليه السلام) سيكون من العوامل الرادعة

١- كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمى المدني، صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا. مات في خلافة الإمام علي (عليه السلام). ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٧٤٦.

٢- مُرارة بن الربيع: هو مُرارة بن الربيع بن ربيعة الأنصاري العمري، وقيل: هو مُرارة بن ربيعي بن عدي الخزرجي، شهد بدرًا، ونزل القرآن بشأن تخلفه مع بعض الصحابة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨]. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥/ ص ١٢٩.

٣- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٦٧-١٦٨. وهلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم ابن عامر بن كعب الأوس البديري، وهو أحد البكائين الثلاثة الذي تاب الله عليهم في سورة براءة ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨]. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج ١/ ص ٣٤٤.

٤- أرجف: أي حرك، وقيل أرجف الأرض بهم أي حركها، والرجفة معناها الحركة. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١١/ ص ٣١؛ الانباري، الزاهر، ج ١/ ص ١٨٩.

٥- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ١٦٨. وينظر أيضاً: ابن عبد الهادي، محض الخلاص، ص ٦٠-٦١. مع اختلاف بالنص.

لذلك، وهو ما يُعدُّ حذراً من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وزيادة في الاطمئنان. فضلاً عما يدل عليه الحديث من فضل بحق الإمام (عليه السلام).

تجهيز الإمام علي (عليه السلام) للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند وفاته

ذكر نقلاً عن زيد بن أرقم قال: ((قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً فينا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أمّا بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب))^(١). وذكر (الشامي) وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي بتغسيله وتكفينه، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((يا علي، أنت تغسل جثتي وتؤدي ديني وتواريني في حفرتي، وتفي بدمّتي، وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة))^(٢).

كما روي أن رسول الله (عليه السلام) قال: ((إن وصيي، وموضع سرّي، وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني علي بن أبي طالب))^(٣).

وهذه الوصايا تدل على أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعتبر الإمام خليفته في نفسه وأهله، حتى أنه عهد إليه بتنفيذ وصيته في كل ما يخصه بعد وفاته.

وتوفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة يوم الاثنين مستهل شهر ربيع

١- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٣-٥٤. وينظر أيضاً: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٣٢/ ص ١١.

٢- سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٩. وينظر أيضاً: الشجري، ترتيب الامالي الخميسية للشجري، ج ١/ ص ١٨٥.

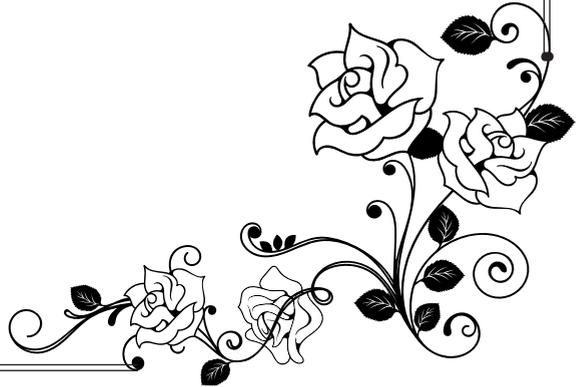
٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٢. الطبراني، المعجم الكبير، ج ٦/ ص ٢٢١.

الأول سنة إحدى عشرة للهجرة، وعمره ثلاثة وستون عاماً، وتنفيذاً لوصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) تولى غسله الإمام علي (عليه السلام) يساعده في ذلك عمّه العباس الذي كان يصبُّ الماء عليه، وثوبه عليه لم يُنزع، وكُفِّن في ثلاثة أثواب، وصلى عليه المسلمون فرادى، ودفن في بيت أم المؤمنين عائشة، وصلى عليه جبريل (عليه السلام) في ملائكة الله عز وجل، وصلى عليه العباس وعلي (عليه السلام) في بني هاشم، ثم دخل المهاجرون والأنصار ثم الناس لا يؤمهم أحد ثم النساء ثم الصبيان^(١).

١ - ينظر: ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦، ص ١٦٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١ / ص ٢١٨.

الفصل الثالث

دور الامام علي (عليه السلام)
في عهد الخلفاء الراشدين
(١١هـ - ٣٥هـ / ٦٣٢م - ٦٥٥م)



المبحث الأول

في عهد الخليفة أبي بكر ١١-١٣هـ/ ٦٣٢م - ٦٣٤م

إسلامه وبيعته للخلافة

اختلف المؤرخون الشاميون في زمن إسلام أبي بكر وترتيبه بين من أسلم، فقد ذكر (العليمي) قائلاً: ((اختلف العلماء في أول من أسلم مع الاتفاق أن خديجة أول خلق الله إسلاماً))^(١).

وذهب (ابن طولون) إلى الرأي نفسه على أنه لا خلاف بين العلماء أن أول من أسلم خديجة (رضي الله عنها)، وإنما الخلاف في الأول بعدها^(٢)، فيما ذكر (ابن عبد الهادي) أن أبا بكر أول من أظهر إسلامه^(٣).

وهذا الخلاف بين المؤرخين يكاد يكون متواتراً ولم يتفق عليه العلماء، وقد نرى بعضهم يميلون إلى تقسيم المسلمين الأوائل وإضفاء صفة أول المسلمين على أشخاص عدّة، تورعاً منهم في الجزم على شخص بعينه، مثلما ذهب إلى ذلك (ابن

١- التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٨٤.

٢- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٨.

٣- محض الخلاص، ص ١٨٨.

طولون) الذي قال: ((والأورع أن يقال: أوّل من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر، ومن الصبيان: علي))^(١).

أمّا خلافته، فقد أشار (العليمي) إلى أن أبا بكر بويع بالخلافة في اليوم الذي قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سقيفة بني ساعدة في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة ١١هـ / ٦٣٢م^(٢).

وقد ذكر (العليمي) كذلك امتناع جماعة عن بيعته وميلهم إلى الإمام علي^(٣)، إلاّ أنّه لم يسمّ هؤلاء الجماعة.

ولم يذكر أيّ من المؤرخين الشاميين بيعة الإمام علي (عليه السلام) له - أي أبي بكر - سوى (العليمي) الذي ذكر: أن عمر بن الخطاب توجه إلى علي بن أبي طالب بأمر من أبي بكر فحضر إليه وبايعه، وقيل إنّ علياً لم يبايع حتى ماتت فاطمة بعد ستة أشهر لموت أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

ويبدو أنّ إحجام المؤرخين عن ذكر ذلك يعود إلى حساسية موضوع الخلافة عندهم، فحين يقرون بأنّ هناك من لم يبايع أبا بكر بالخلافة، وأنّ جماعة من المسلمين انحازت إلى الإمام علي (عليه السلام)؛ فإنّ ذلك يعني عدم إقرار هؤلاء بأحقية أبي بكر بالخلافة وإتّهم يرون الإمام علياً أحقّ بها منه، وهذا الأمر لا بدّ له من تبرير وذكر أسباب ذلك، لذلك أحجم المؤرخون عن ذكره. وجدير بالذكر أن مدة خلافة

١- الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٨.

٢- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٤٢.

٣- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٤٢.

٤- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٤٢.

أبي بكر كانت ستين وثلاثة أشهر وعشرة أيام^(١).

ويبدو أنّ مسألة تفضيل الخلفاء الراشدين الأربعة وبحسب زمن خلافتهم كانت مترسخة في أذهان المؤرخين الشاميين خلال القرن المذكور، فقد كانوا يقرون بفضل هؤلاء الأربعة ويفاضلون بينهم بحسب ترتيبهم بالخلافة، لذلك أشارت المصادر الشامية إلى جملة من الأحاديث التي تتحدث عن فضل الخلفاء الراشدين، ومن بينهم أبو بكر، فقد روى (الشامي) حديثاً نسبته إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((إن الله تعالى أمرني أن أتخذ أبا بكر والداً، وعمر مشيراً، وعثمان سنداً، وأنت يا عليّ ظهراً))^(٢). وذكر أيضاً عن أبي هريرة: ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((هبط جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: يأتي يوم القيامة كل أمتك عطاشى إلا من أحبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً))^(٣).

زيادة على ذلك فقد أوردت المصادر الشامية أحاديث كثيرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تتحدث عن فضل أبي بكر، منها ما نقلوه من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((أرأف - وفي لفظ أرحم - أمتي بأمتي أبو بكر))^(٤)، وكذلك حديث: ((ما من نبي إلا وله نظير في أمتي: أبو بكر نظير إبراهيم))^(٥). وكذلك ما روي عن أبي موسى الأشعري قال: ((كنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم بدر))^(٦).

١- المصدر نفسه والصفحة.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ١٧٤. وينظر أيضاً: أبو نعيم الأصبهاني، فضائل الخلفاء الأربعة، ج ١ / ص ١٨٠.

٣- سبل الهدى، ج ١٢ / ص ١٧٤. وينظر أيضاً: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٢١ / ص ٤٠٦؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٦ / ص ١٣٥.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ١٧١.

٥- المصدر نفسه، ج ١٢ / ص ١٧٥. وينظر أيضاً: ابن الإعرابي، معجم ابن الإعرابي، ج ١ / ص ٣٠١.

وآله وسلم) في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشّرته بما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحمد الله^(١). ونسب (ابن عبد الهادي) إلى الإمام علي قوله: ((بيننا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا معه في المسجد ليس معنا ثالث إذ أقبل أبو بكر وعمر كل واحد منهما أخذ بيد صاحبه فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة ممن قضى من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما بذلك))، قال فما أخبرتهما حتى ماتا ولو كانا حين ما حدثت بهذا الحديث أحداً^(٢).

وهذه الروايات التي أوردتها المصادر الشامية وغيرها الكثير ربّما كان الغرض من إيرادها التأكيد على أفضلية أبي بكر على سائر أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الأحق بالخلافة منهم وعلى وجه الخصوص الإمام علي (عليه السلام)، لاسيما وأن المصادر الشامية مؤهت في بعض الأحيان على رغبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في خلافة الإمام علي، ومن ذلك ما أورده (الشامي) بالقول: ((قالوا: يا رسول الله، ألا تستخلف علينا؟ قال: إنّي إن استخلف عليكم فنعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب، فقالوا: ألا تستخلف أبا بكر، قال: إن استخلفتموه تجدوه ضعيفا في بدنه قويا في أمر الله، فقالوا: ألا تستخلف عليّا قال: إن استخلفتموه ولن تفعلوا يسلك بكم الطريق المستقيم، وتجودوه هاديا مهديا))^(٣). وعلى الرغم من

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ١٧٦. وينظر أيضاً: البخاري، الصحيح، ج ٥/ص ١٣؛ البزاز، مسند البزاز، ج ١٤/ص ٥٥.

٢- محض الصواب، ج ١/ص ٢٢٦. وينظر أيضاً: أبو بكر الشافعي، كتاب الغيلانيات، ج ١/ص ٥٦.

٣- سبل الهدى، ج ١٢/ص ١٨٧. وينظر أيضاً: البزاز، مسند البزاز، ج ٧/ص ٢٩٩؛ الكلاباذي، بحر الفوائد، ج ١/ص ٢٧٩.

أن هذا الحديث يستدل به المؤرخون على أحقية أبي بكر بالخلافة، إلا أنه يحمل بين طياته ما يؤكد أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعلم بأن المسلمين لن يولوا الإمام علياً (عليه السلام) الخلافة، رغم أفضليته على سائر الصحابة.

و حاول بعض المؤرخين جعل أمر تنصيب أبي بكر بالخلافة على أنه أمر من الله سبحانه ورويت في ذلك بعض الأحاديث التي تؤكد، منها ما ذكره (الشامي) بالقول : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((أريت دلوا ذلّيت من السّاء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيبها^(١) فشرّب شرباً ضعيفاً،... ثم جاء علي فأخذ بعراقيبها فانتشطت^(٢) منه، وانتضح عليه منها))^(٣).

موقف الإمام علي (عليه السلام) من خلافة أبي بكر

ركزت المصادر الشامية في حديثها عن الخليفة أبي بكر والإمام علي (عليه السلام) على العلاقات الجيدة بينهما ولم تذكر ما يخالف ذلك إلا في روايات قليلة يفهم منها عدم رضا الإمام علي (عليه السلام) تولى أبي بكر الخلافة دونه، ومن ذلك ما ذكره (ابن طولون) قال : ((إنّ أبا بكر عاد فاطمة فقال لها علي: هذا أبو بكر يستأذن عليك قالت: أحب أن أأذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى

١- عراقبيها : مفردا عرقوب، ومعناها العصب الغليظ المؤثر فوق عقب الإنسان، وهو عرق مؤثر خلف الكعبين. كما إنها تأتي بمعنى المنحنى والمنعطف والطريق الضيق في متن الجبل، وعراقيب الأمور صعبها وعراقيلها. ابن منظور، لسان العرب، ج ١/ ص ٥٩٤ ؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢/ ص ١٤٨٨.

٢- أنتشطت : أي انتزعت. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١١/ ٢١٥.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ١٧٥. ينظر أيضاً: الطبراني، المعجم الكبير، ج ٧/ ص ٢٣١.

رضيت))^(١).

ويفهم من هذا الحديث أنّ فاطمة كانت غاضبة على أبي بكر، ولم تكن ترغب في أن يدخل عليها، ولولا تدخل الإمام علي (عليه السلام) لما أذنت له، مما يؤكد على وجود خلاف بينهما. إلا أنّ المصادر الشامية لم تذكر سبباً لذلك الخلاف وأحجمت عنه.

ويمكن القول إنّ موضوع الخلاف بين آل علي (عليه السلام) وبين أبي بكر كان يخص الخلاف، وأنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) لم يبايعه واعتصم في بيته مع بعض الصحابة.

كما تبنت بعض المصادر الشامية وجهة نظر أخرى تدعيها لموقف أبي بكر مفادها أن معارضة علي (عليه السلام) لم تكن بالنص عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنّما كان موقفاً شخصياً من الإمام (عليه السلام) لأنّه يرى نفسه الأحق بالخلافة، فقد روي عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: ((لما قدم علي رضي الله عنه البصرة قام إليه ابن الكواء^(٢) وقيس بن عباد فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت به تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله، فحدثنا فأنت الموثوق والمأمون على ما سقت، فقال: أمّا أن يكون عندي من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد في ذلك فلا والله، إن كنت أول من صدّق به فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك عهد ما

١- مرشد المحتار، ص ١١٨.

٢- ابن الكواء: هو أبو عمرو عبد الله بن عمرو، وقيل عبد الله بن محمد الإشكري، وهو الذي يقال له ابن الكواء من رؤوس الخوارج، كان قد شهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام). الفالوجي، المعجم الصغير، ج ١/ ص ٣٢٠.

تركت أختا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتها بيدي ولو لم أجد إلا بُردِي هذا، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يُقتل قتلاً، ولم يمِت فجاءةً، مكث في مرضه أياماً وليالي وهو يرى المؤذن فيؤذنه في الصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، وأرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: أنتنَّ صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما قبض الله نبيه نظرنا في أمورنا فاخترنا لدينا من رضىه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لدينا وكان الصلاة أصل الإسلام وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر فكان لذلك أهلاً، لم يختلف عليه منا اثنان... فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي))^(١).

وأكدت إنَّ أغلب الروايات الواردة في المصادر الشامية على رضا الإمام علي (عليه السلام) بخلافة أبي بكر والقبول بها، بل وحتى الدفاع عنها ضد من يحاول الاعتراض عليها، ومن تلك الروايات ما ذكره (ابن عبد الهادي) بالقول: ((بلغ علياً رضي الله عنه أن ابن السوداء^(٢) ينتقص أبا بكر وعمر فدعا به ودعاه بالسيف وهمم بقتله، فكلم فيه، فقال: لا يساكنني ببلدة أنا فيها؛ فسيّره إلى المدائن))^(٣).

وهذه الرواية تناقض ما ورد سابقاً من روايات، ومنها رواية ابن عبد الهادي نفسه، التي تدل على معارضة الإمام علي (عليه السلام) لخلافته.

١- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٣/ ص ٨٦٣-٨٦٥.

٢- ابن السوداء: هو عبدالله بن سبأ رأس الطائفة السبئية، التي كانت تقول بالوهية الإمام علي، أصله من اليمن، وقيل أنه يهودي أظهر الإسلام ورحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق أيام عثمان بن عفان فأخرجه أهلها فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته، ونفاه الإمام علي إلى المدائن. وسبب لقبه بابن السوداء أن أمّه كانت سوداء البشرة. ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٢٩/ ص ٤.

٣- محض الصواب، ج ٣/ ص ٩٤٤.

وحين خرج جيش أسامة من المدينة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طمع الأعراب فيها فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة يبيتون حولها منهم علي والزبير وطلحة وسعد ثم خرج مع أبي بكر إلى الإعراب^(١).

ويفهم من هذه الروايات أن المصادر الشامية لم تتطرق إلى معارضة الإمام علي (عليه السلام) لخلافة أبي بكر، وإنما ركزت فيما ذكرته من روايات على حسن العلاقة بينهما، مؤكدةً على أن الإمام (عليه السلام) كان مؤيداً لخلافته بل ومباركاً لها، وأنه عمل تحت إمرة الخليفة ونفذ كل ما طلبه منه.

ويبدو لنا أن السبب في ذلك كان التأكيد على أن خلافة أبي بكر كانت بمباركة جميع الصحابة، وربما أوحى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الأمر من خلال أمره له بالصلاة بالمسلمين في مرض موته، وواقع الأمر أن قبول الإمام علي (عليه السلام) بما صار إليه أمر الخلافة كان قبولاً بالأمر الواقع الذي فرضته الظروف آنذاك ولم يكن قبولاً عن رضا واقتناع منه.

١ - ابن عبد الهادي، محض الخلاص، ص ٦٥-٦٦.

المبحث الثاني

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣-٢٢هـ/٦٣٤م-٦٤٣م

دور الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخليفة عمر

لم تتطرق المصادر الشامية إلى موقف الإمام (عليه السلام) من خلافة عمر بشكل واضح، فقد رويت معارضة أصحاب الإمام علي (عليه السلام) لبيعة عمر في رواية وردت عند (ابن عبد الهادي) جاء فيها: ((بينا طلحة والزبير وعثمان وسعد وعبد الرحمن - جلوس عند أبي بكر في مرضه عواداً فقال أبو بكر: ابعثوا إلى عمر فأتاه فدخل عليه فلما دخل حسّت نفوسهم أنّه خيرته ففترقوا عنه وخرجوا وتركوهما فجلسوا في المسجد وأرسلوا إلى علي (عليه السلام) ونفر معه فوجدوا علياً في حائط فتوافوا إليه واجتمعوا وقالوا: يا علي يا فلان، إنّ خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخلف عمر وقد علم الناس أنّ إسلامنا كان قبل إسلام عمر وفي عمر من التسلط على الناس ما فيه ولا سلطان له فأدخلوا بنا عليه نسأله فإن استعمل عمر كلمناه فيه وأخبرناه عنه، ففعلوا فقال أبو بكر: اجمعوا لي الناس ففعلوا أخبركم من اخترت لكم فخرجوا فجمعوا الناس إلى المسجد فأمر من يحملهم اليهم حتى وضعه على المنبر فقام فيهم باختيار عمر لهم ثم دخل فاستأذنوا عليه فأذن لهم فقالوا: ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا عمر؟ فقال: أقول: استخلفت عليهم

خير أهلِكَ))^(١).

يبدو من هذا النص بأن أصحاب الإمام علي (عليه السلام) كانوا غير راضين على تولية الخليفة أبي بكر لعمر بن الخطاب، وإن هناك من هو أحق بالخلافة من عمر.

إلا أن ما روته تلك المصادر من أن الخليفة عمر بن الخطاب كان كثيراً ما يطلب النصيحة من الإمام (عليه السلام) وفي الكثير من المواقف والمسائل التي تعترضه، ومن تلك المواقف ما نقلته تلك المصادر عن أبي سعيد الخدري قال: ((حججنا مع عمر بن الخطاب أول حجة حجها من إمارته فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الأسود قبله واستلمه وقال: أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبلك واستلمك ما قبلتك ولا استلمتك، فقال علي (عليه السلام): بلى إنه ليضر وينفع ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ فَمَا أَقْرَبُوا أَنَّهُ الرب عز وجل وأتهم العبيد كتب ميثاقهم في رق ثم ألقمه الحجر وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافاه بالموافاة فهو؛ أمين الله في هذا المكان، فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لست بها يا أبا الحسن))^(٣).

ويفهم من كلام الخليفة عمر أنه غير مقتنع بتقيل الحجر الأسود إلا أنه يعمل

١- محض الصواب، ج ١/ ص ٢٨٨.

٢- الأعراف: ١٧٢. وينظر: ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٢/ ص ٥٢٩؛ الشيخ علوان، مخطوطة نسبات الأسحار، ورقة ٢٨. مع اختلاف في النص.

٣- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٢/ ص ٥٢٩.

على وفق ما رآه من فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنّه يعتقد أنّ الناس قد أنسوا بلمس الحجارة في الجاهلية وعبادتها^(١)، ولهذا قام الإمام (عليه السلام) بتصحيح هذا المفهوم الخاطيء عند الخليفة، ممّا أدى به إلى الاعتراف بجميل ما صنع الإمام معه حتى أنّه تمنى على الله أن لا يبقيه بأرض ليس فيها علي (عليه السلام).

وروى أبو سلامة^(٢) قال: ((انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالاً ونساء في الحرم على حوض يتوضئون منه حتى فرق بينهم، ثم قال: يا فلان، قلت: لييك، قال: لا لييك ولا سعديك، ألم أمرك أن تتخذ حياضاً للرجال وحياضاً للنساء، قال: ثم اندفع فلقية علي (عليه السلام) فقال: أخاف أن أكون هلكت؟ قال: وما أهلكك؟ قال: ضربت رجالاً ونساءً في حرم الله عز وجل، قال: أنت راعٍ من الرعاة فإن كنت على نصح وإصلاح فلن يعاقبك الله، وإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم المجرم))^(٣).

ويتضح من هذه الرواية أنّ الخليفة عمر بعد أن قام بضرب هؤلاء الناس تبادر إلى ذهنه بأنّه ربّما قد يكون ارتكب خطأ بحقهم أو كان ظالماً معهم، خاصة وأنّ حادثة الضرب حصلت في الحرم، لذا التجأ إلى الإمام (عليه السلام) يستفتيه في هذه المسألة.

وكان الخليفة عمر يعتمد على الإمام علي (عليه السلام) في المسائل العسكرية، وفي أمور أخرى ذات علاقة بهذا الجانب وهي عندما يذهب إلى فتح أو تحرير بلد

١- المصدر نفسه والصفحة.

٢- ابو سلامة: وهو عبدالله بن أبي حدر الأسلمي واسم أبي حدر سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن هوازن، له صحبة ويكنى أبا محمد وأول مشاهده الحديبية وخير وما بعدها، وتوفي سنة ٧١هـ. ابن الاثير، أسد الغابة، ج ٣/ ص ١٠٦.

٣- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٢/ ص ٦٢٢.

فإنه يستخلف الإمام مكانه في المدينة، ومن ذلك في سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م، ركب عمر بن الخطاب في أول يوم من المحرم بالجيش من المدينة إلى مكان يقال له صرار^(١)، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب (عليه السلام) واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة، وعقد مجلساً يستشير فيه الصحابة فيما عزم عليه وأرسل إلى علي فقدم من المدينة فاستشارهم وكلهم وافقه على الذهاب إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال له: إني أخشى إن كُسرت أن يضعف المسلمون في سائر البلاد وإني أرى أن تبعث رجلاً إلى المدينة - العراق - فاستصوبوا رأيه^(٢).

وكان الإمام علي (عليه السلام) في بعض الأحيان يستصوب رأي الخليفة عمر ويستحسن ما يقوم به من عمل إذا كان متوافقاً مع الشريعة، ومن ذلك ما روي في كيفية تعامله مع الغنائم التي بعث بها سعد بن أبي وقاص بعد انتصاره وفتح العراق، مانصه: ((فحصل من الفياء أمر عظيم ومن الأموال ما لا يحصى، فشرع سعد في تخميس ما وجد واستوهب سعد أربعة أخماس البساط وبعثه إلى عمر مع الخمس، فلما رأى عمر ذلك بكى وقال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء، فقال له علي: إنك عفتت فعفوا^(٣)، ولو رتعت لرتعوا^(٤)))^(٥).

١- صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. الحموي، معجم البلدان، ج ٣/ ص ٣٩٨.

٢- ابن عبد الهادي، محض الخلاص، ص ٦٧.

٣- عفتت: عفت عفةً وعفافاً، وعفت الشخص: أي تجنب سيء القول والعمل، وكفَّ عما لا يحل ولا يجمل. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٢/ ص ١٥٢١.

٤- رتعوا: الرتع هو الأكل والشرب في الخصب، ورتعوا أيضاً: شبعوا في الأكل. إبراهيم الحري، غريب الحديث، ج ١/ ص ٢١٢؛ ابن سيده، المخصص، ج ٤/ ص ٣٧٠.

٥- ابن عبد الهادي، محض الخلاص، ص ١٠٧.

ومعنى قول الإمام علي (عليه السلام) إن عففت عن أكل مال المسلمين دون وجه حق فاقتدى بك المسلمون، ولو فعلت العكس وأكلت أموال المسلمين بالباطل لاقتدي بك أيضاً لأنك سلطانهم والناس تقتدي بحكامها.

ومن القضايا التي رجع فيها الخليفة عمر إلى رأي الإمام علي (عليه السلام) مسألة المال الذي جاء لعمر بن الخطاب بعد فتح القادسية، فقد ((جمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية، ودمشق، فقال: إني كنت امرءاً تاجراً، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال؟ فأكثر القوم، وعليّ (عليه السلام) ساكت، فقال: يا علي ما تقول؟ قال: ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف، وليس لك من هذا الأمر غيره، فقال: القول ما قال علي بن أبي طالب))^(١).

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً من أن الخليفة عمر كان يدرك مدى علم الإمام (عليه السلام) بالأحكام والمسائل الشرعية والدينية وخاصة مسألة الأموال والحقوق المترتبة عليها، لذا نراه يستشير كثيراً من الصحابة، إلا أنه لا يستوقفه رأي رجل منهم إلا الإمام علي (عليه السلام)، فيقطع هذا النزاع ويحسم الآراء المتقاطعة والمتضاربة برأي واحد هو رأي الإمام علي (عليه السلام).

ومن بين القضايا التي استشار فيها الخليفة عمر الإمام علياً (عليه السلام) مسألة التاريخ الذي اتفق المسلمون على وضعه لما له من أهمية كبيرة، فكتب التاريخ بمشورة الإمام علي (عليه السلام)، إذ روي حول ذلك بالقول: ((جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال له علي بن أبي طالب (عليه السلام): «منذ خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أرض الشرك» يعني

من يوم هاجر. قال: فكتب ذلك عمر بن الخطاب))^(١).

وحين كان الخليفة عمر بن الخطاب يخرج بنفسه لمباشرة الفتوح الإسلامية، كان يستخلف على المدينة، (وهي عاصمة الدولة آنذاك) الإمام علياً (عليه السلام)، مثلما فعل حين أراد الخروج إلى العراق، وكذلك حين خروجه إلى بيت المقدس عندما طلب أهلها من أبي عبيدة أن يصالحهم على صلح أهل الشام بشرط أن يكون عمر بن الخطاب متولياً أمر الصلح، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فتقدم عمر إلى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وذلك سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م^(٢).

وهذا يدل على أن الخليفة عمر بن الخطاب يعتمد على الإمام علي (عليه السلام) في العديد من الأمور، وأن له مكانة كبيرة عند الخليفة، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي ترك في كل مجال من مجالات الحياة وجوانبها المختلفة سجلاً كبيراً حافلاً بالعطاء، وتركة علمية كبيرة نهلها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما استخلافه للإمام علي (عليه السلام) على المدينة عند خروجه منها إلا لأنه كان على معرفة ودراية كاملة بقدرات الإمام الدينية والإدارية والسياسية، فضلاً عن العسكرية.

وليس أدل على ذلك من فعل الخليفة عمر حين جاءه كتاب أبي عبيدة في مسألة صلح أهل إيليا^(٣)، ((فلما قدم الكتاب على عمر دعا برؤساء المسلمين إليه وقرأ عليهم

١- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٣١٦.

٢- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٤٨.

٣- أيليا: بفتح الهمزة، مدينة بالشام وهي بيت المقدس وهي مدينة قديمة جليلة على جبل يصعد إليها من كل جانب وهي طويلة من المغرب إلى المشرق وفي طرفها الغربي باب البحر وهذا الباب عليه قبة داود عليه السلام وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة. وقالوا إنها من عجائب الدنيا. ابن =

كتاب أبي عبيدة واستشارهم في الذي كتب إليه فقال له عثمان: إن الله تعالى قد أذهم وحصرهم وضيّق عليهم وهم في كل يوم يزدادون نقصاً وهزالاً وضعفاً ورعباً فإن أنت أقيمت ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ولشأنهم حاقر غير معظم فلا يلبثون إلا قليلاً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية فقال عمر ما ترون هل عند أحدكم رأي غير هذا الرأي؟^(١)، ويبدو أن الخليفة عمر لم يقتنع بهذا الرأي فطلب رأياً آخر، فقال علي ابن أبي طالب (عليه السلام): ((نعم عندي غير هذا الرأي، قال: ما هو؟ قال: إنهم قد سألوا المنزلة التي لهم فيها الذل والصغار وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عزّ وهم يعطونكها الآن في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم، ولك في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ ومخمصة^(٢)، وفي قطع كل واد وفي كل نفقة حتى تقدم عليهم، فإذا قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح، ولست آمن إن أيسوا من قبلك الصلح منهم أن يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجوع ما يصيبهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب أو يقذفونهم بالمناجيق، فإن أصاب بعض المسلمين تمنيتم إنكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بمشرك إلى منقطع التراب، وكان المسلم لذلك من إخوانه أهلاً فقال عمر قد أحسن عثمان النظر في مكيدة العدو وأحسن علي بن أبي طالب النظر لأهل الإسلام سيروا على اسم الله فيأتي سائر^(٣))).

=عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ج ١/ ص ٦٨.

١- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٥٠.

٢- مخمصة: المخمصة: المجاعة، ويعبر عن الخمص بالجوع، ومنه القول: اصابتنا مخمصة: أي مجاعة شديدة. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١/ ص ٢٤١.

٣- العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٥٠-٢٥١.

ونرى كيف استحسّن الخليفة عمر رأي الإمام علي (عليه السلام) وتبعه دون تردد لأنّه علم أنّه الرأي الأصوب، وقد صدر من شخص خبير بالأمر العسكريّة، فضلاً عن خوفه على مصالح المسلمين وغيرته الكبيرة على الدين، وعلى إعلاء راية الإسلام عالياً.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب كثير الاعتزاز بالإمام (عليه السلام) ولا يقبل فيه قولاً يمس به، وهو يعرف مكانة الإمام في الإسلام، فقد ورد قول الخليفة: ((كفوا عن علي فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في علي ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة نغد والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متكئ على علي حتى ضرب بيده على منكبه، ثم قال: يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً ثم قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى))^(١).

الخليفة عمر وميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

على الرغم ممّا قدمناه من روايات وأحاديث عن علاقة الخليفة عمر بالإمام علي (عليه السلام) واستشارته في معظم الأمور الخلافية التي تعترضه، إلا أنّ هناك مسألة خلافية مهمة وهي ميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام) الذي منعه عمر عنها، فقد ذكر (ابن عبد الهادي) نقلاً عن أم المؤمنين عائشة ((فأمّا صدقته يعني: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، وأما خيبر وفدك^(٢) فأمسكها عمر، وقال: هما صدقة رسول الله (صلى الله

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٣. وينظر أيضاً: ابن أبي عاصم، السنة، ج ٢/ ص ٦٠٢؛ ضياء الدين المقدسي، الأحاديث المختارة أو المستخرج، ج ٣/ ص ٢٠٧.

٢- فدك: قرية بناحية الحجاز ذات عين فوّارة ونخيل كثيرة أفاءها عز وجل على رسوله (صلى الله

عليه وآله وسلم) كانت لحقوقه التي تعرفه^(١) ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر، فهما على ذلك إلى اليوم^(٢).

وجدير بالذكر أن فدك قد أعطاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة بعد نزول الآية المباركة ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٣)، ويشك (ابن طولون) في صحة هذا الأمر وبعده غير صحيح وأن الحديث الذي أشار إلى فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا غير صحيح أيضاً، وقد قال في ذلك: ((وأما حديث أبي سعيد: لما نزلت ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وأعطاها فدك، ولو كان هذا الحديث صحيحاً لما طلبت فاطمة والعباس وعلي ميراثهم من فدك، ولو كان عطية لفاطمة لطلبت الجميع. ولأن ابن عباس وغيره من المفسرين اتفقوا على أن سورة بني إسرائيل مكية وفدك إنما أفاء الله على رسوله بالمدينة في أواخر عهده، ولأنه لو صحَّ ذلك لم يخف على أكابر الصحابة، فإن قيل: إن زال الإشكال من جهة فاطمة (عليها السلام) لم يزل من جهة العباس وعلي^(٤).

ويبدو لنا أن ما ذهب إليه (ابن طولون) بعيد عن الحقيقة، إذ إن فدك هي نحلة النبي لفاطمة (عليها السلام)، أمّا ميراثه فيختلف عن ذلك، فالميراث ما تعلق بالنبي ممّا ترك من أموال وغيرها، وهذا ما طالب به العباس والإمام علي (عليه السلام)، أمّا

=عليه وآله وسلم)، وكان النبي قد وهبها في حياته لفاطمة (عليها السلام). الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٠ / ص ٧٣.

١- تعرفه: تعتريه، وتغشاه وتنتابه، والمعنى حقوقه التي تغشاه وتعرض له. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ٢ / ص ٧٧.

٢- محض الصواب، ج ٢ / ص ٤٧٧-٤٧٨.

٣- الإسراء: ٢٦.

٤- مرشد المختار، ص ١١٨.

قضية فذك فلا تتعلق بالميراث لأنها نحلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته .

ويدافع عن دعواه هذه بالقول: ((إن عمر بن الخطاب قال للعباس وعلي انشدكما بالله الذي تقوم بإذنه السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا نورث ما تركناه صدقة يعني نفسه، قالوا: نعم، فإذا كان علي والعباس سمعا هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أقرا به حين ناشدهما عمر فكيف يطلبانه من أبي بكر، وإن كانا إنما سمعاه من أبي بكر في زمنه بحيث أفاد عندها العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر، فالجواب أن يحمل الأمر في ذلك على ما تقدم في قصة فاطمة وأن كلاً من علي والعباس وفاطمة اعتقدوا أن العموم في آية الميراث مخصوص ولذلك نسب عمر إلى علي والعباس أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك، وأما محاصمة علي والعباس بعد ذلك ثانياً عند عمر))^(١).

ثم يحاول (ابن طولون) الاستدراك على ما ذكره بالقول: ((لم تكن في الميراث وإنما في ولاية الصدقة وفي صرفها كيف تصرف... وإنما اختلفا في قسمتها وسألا عمر أن يقسمها بينهما نصفين ليستبد كل واحد بولايته فلم يرَ عمر أن يوقع القسمة على الصدقة وعلى هذا اتفق أكثر الشراح))^(٢).

ويؤكد ذلك بالقول: ((ومعنى فغلبه عليها علي: أي الولاية واستدل بقول عمر: فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد: فهذا يبين أنهما اختصما إليه في رأي حدث لهما في أسباب الولاية والحفظ، فرام كل منهما التفرد به ولا يجوز عليهما أن

١- المصدر نفسه، ص ١١٨-١١٩. وينظر أيضاً: ابن راهويه، مسند ابن راهويه، ج ٢/ ص ٣٤١؛ احمد ابن حنبل، مسند احمد، ج ٤٣/ ص ٣٠٢.

٢- مرشد المختار، ص ١١٩.

يكونا طلباه بأن يجعله ميراثاً ويرده ملكاً بعد أن كانا سألوه في أيام خلافة أبي بكر وتخلياً عن الدعوى فيه فكيف يجوز ذلك والخليفة عمر يناشدها الله تعالى: هل تعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فيعترفان به والقوم الحضور يشهدون على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثل ذلك وكذلك طلب علي فإنه ليس بوارث مع وجود العباس^(١).

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً على الرغم من أننا لا نتفق معه في هذه الرواية، إذ إنَّ العباس عمَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علياً (عليه السلام) أكبر من أن يختلفا على ذلك، ثم أية ولاية للصدقة يريدها وهم ممنوعون من الصدقة وتم منعهم من حقهم في الخمس؟ فضلاً عن أنَّ الخليفين أبا بكر وعمر قد منعا آل بيت محمد (عليهم السلام) من وراثته النبي بدعوى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنَّ الأنبياء لا يورثون، فما جدوى النزاع على الولاية بأي حال.

زيادة على ذلك لو أنَّ الإمام علياً (عليه السلام) والعباس يعلمون بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا ويقرَّان به، فإنَّ ذلك معناه أنَّ دعوتهما باطلة وحاشاهما أن يكون لهما في الباطل دعوة، فلا سابقة الإمام في الإسلام ولا جهاده بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما قدمه في سبيل إعلاء كلمة (لا اله إلا الله) والتي تتفق مع تلك الدعوى الباطلة.

وذكر ابن طولون: ((إنَّ الأخبار لم تختلف عن علي، أنه لما أفضت إليه الخلافة وخلص الأمر له أجراها على الصدقة ولم يغير شيئاً من سبيلها، قال: ويشبه أن يكون عمر إنَّها منعها القسمة احتياطاً؛ فالصدقة لا تجوز في الأموال المملوكة، ولو سمح له بالقسمة لكان لا يؤمن أن يكون ذلك ذريعة لمن يريد أن يملكها بعد علي والعباس

١ - مرشد المختار، ص ١١٩.

مّن ليس له بصيرتها في العلم ولا يقينها في الدين، فرأى أن يتركها على الجملة التي هي عليها ومنع أن يحول عليها السهام، فيوهم أنّ ذلك إنّما كان لرأي حدث منه فيها أوجب اعادتها إلى الملك بعد اقتطاعها عنه إلى الصدقة))^(١).

زواج عمر من أم كلثوم بنت الإمام علي (عليه السلام)

روى (العلمي) أنّ عمر بن الخطاب تزوج من أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأمها فاطمة (عليها السلام) سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م^(٢)، وكان له من الولد: فاطمة وزيد^(٣).

وأشار (ابن عبد الهادي) إلى قصة هذا الزواج بالقول: ((لما خطب عمر أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، فقال له علي: إنّها صغيرة، فقال له عمر: زوجنيها يا أبا الحسن، فيأتي أرصد من كرامتها ما لا يرصد أحد؛ فقال له علي: أنا أبعثها إليك فإن رضيتها زوجتكها، فبعثها إليه ببرد، وقال لها: قولي له هذا البرد الذي قلت لك، فقالت ذلك له، فقال: قولي له قد رضيت، ووضع يده على ساقها فكشفه، فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرتُ أنفك، ثم خرجت، حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر، وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء، فقال: يا بُنيّة، إنّك زوجك؛ فجاء عمر بن الخطاب إلى مجلس المهاجرين الأوّلين، فقال لهم: زفوني، فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أمّ كلثوم بنت علي، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: كل سب ونسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وصهري، وكان لي به السب والنسب، وأردت أن أجمع إليه الصهر، فزفوه وأصدقها

١- المصدر نفسه، ص ١١٩-١٢٠.

٢- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٤٩.

٣- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٥٣.

عمر أربعين ألف درهم، فولدت له زيدا ورقية))^(١).

وهي رواية مشكوك بصحتها اجمالاً، فمن غير المعقول أن يعمد الإمام علي (عليه السلام) إلى إرسال ابنته إلى بيت عمر، ولا يمكن لعمر أن يكشف عن ساق أم كلثوم، فهذه ليست من شيم العرب ولا من أخلاقهم. فعلي (عليه السلام) رمز المبادئ والقيم والأخلاق، فهو ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو أحرص الناس على عفة وشرف المرأة المسلمة - وغير المسلمة عامة - فضلاً عن أن تكون هذه المرأة ابنته أم كلثوم لأن ذلك بعيدٌ عن الأخلاق العربية المعروفة بعفتها عن أعراض الناس عامة، وأخلاق آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة.

١ - الشجرة النبوية، ص ١٢٠ ؛ محض الصواب، ج ٣/ ص ٨٨٧-٨٨٨. وينظر أيضاً: ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين، ج ١/ ص ١٦٧ ؛ الآجري، الشريعة، ج ٥/ ص ٢٢٠١.

قضاء الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخليفة عمر

١ - قضية المرأة التي ولدت لستة أشهر

حفظت لنا المصادر التاريخية الشامية العديد من قصص الحكم التي عرضت للخليفة عمر بن الخطاب وأصدر فيها أحكاماً وقضى بها على وفق منظور معين، وفهم للنص بحسب وجهة نظره التي كان يعتقد بصحتها، فاجتهد فيها رأيه وقضى بما كان يعتقد به، إلا أن تدخل الإمام علي (عليه السلام) فيها، واستشارة عمر له في بعضها الآخر أدى إلى تراجع الخليفة عن قضائه فيها والركون إلى حكم الإمام (عليه السلام) بعد تفسيره إياه بصورة جلية وواضحة مستنداً في حكمه إلى القرآن الكريم وفهمه الصحيح لحيثيات القضية التي أمامه. ولعل من أبرز تلك القضايا المرأة التي ولدت لستة أشهر، وكان عمر قد همّ برجمها، فقد علّق (الشامي) على تلك الرواية قال: ((رفع إلى عمر بن الخطاب امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال علي: لا رجم عليها ألا ترى أنّه تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١)، وقال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٢)، وكان الحمل ههنا ستة أشهر، فتركها عمر قال: ثم بلغنا أنّها ولدت لستة أشهر))^(٣).

وهذه القضية تعد من القضايا المهمة؛ لأن لها تبعات كثيرة، وهي في نهاية الأمر تتعلق بالفهم الصحيح للقرآن الكريم، وكيفية التعامل مع نصوصه فيما يخص الأحكام والقضايا التي يبني عليها الفقه الإسلامي، ولعل من تبعات هذه القضية، ما يترتب على المرأة لو لم يفهم النص القرآني بالصورة التي وضحها الإمام علي (عليه

١- الأحقاف: ١٥.

٢- لقمان: ١٤.

٣- سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٩.

السلام)، إذ أنها سوف تعتبر زانية وترجم لذلك، والولد المولود سوف يعد ابن زنا وهذا سيحمله الكثير من التبعات النفسية والمادية والأخلاقية والاجتماعية، فهو في المجتمع سيتعرض إلى الكثير من النقص لكونه ابن حرام، كما سيحرمه من أن يرث أباه لو كان قدر له أن يرث، فضلاً عن ازدراء الناس واحتقارهم له، والى غير ذلك من التبعات. فوق كل ذلك إنه ظلم لإنسان بريء، كل ذلك بسبب الفهم الخاطيء والموروثات الخاطئة التي يحملها الناس في أذهانهم، والتي قد يبنون عليها حكماً خاطئاً يضر ببعض الناس، من دون الالتفات إلى ما جاء في القرآن الكريم من قيمة علمية تدحض هذه الأخطاء وتنظم العلاقات بين الناس على وفق منظور شرعي واجتماعي.

٢ - قضية المرأة الزانية

والقصة كما رويت: ((أنَّ عمر أتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها، فلقبهم عليّ (عليه السلام) فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها عليّ من أيديهم وردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردّكم؟ قالوا: ردنا عليّ، فقال: ما فعل هذا إلاّ لشيء قد علمه، فأرسل إلى عليّ فجاء هو شبيه المغضب، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ فقال: أما سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى^(١) حتى يعقل. قال عليّ: هذه مُبتلاة بني فلان، فعلّه أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري، قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها))^(٢).

١ - المبتلى: هو المبتلى ببليّة يعدم معها العافية فحينئذٍ يعرف قدرها. الأزهرى، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ج ١/ ص ٩٤. إلا أن المقصود هنا هو المجنون.

٢ - ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٢/ ص ٦٠٤. وينظر أيضاً: ابن راهويه، مسند ابن راهويه، ج ٣/ ص ٩٨٨؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٢/ ص ٢٦٦؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ١/ ص ٦٥٨.

يتبين من هذه القصة أن بعض الأحكام قد تبنى على مجرد تصور غير كامل عن القضية، فالفعل باطل ويستحق العقوبة، إلا أن ما يكمن خلف هذا التصرف قد يرفع العقوبة عن الشخص المسيء، بمعنى أن فعل السوء يرتبط بالفرد نفسه، فإن كان لا يدرك ما يفعل سقطت عنه العقوبة، وهم المشمولون بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السابق، الذي استشهد به الإمام علي (عليه السلام)، والفهم الصحيح لهذا الحديث هو الذي أسقط به العقوبة عن تلك المرأة المتهمة بالزنا.

٣- حكم طلاق الأمة

((أتى عمر بن الخطاب رجلاً سألناه عن طلاق الأمة، فقام معها يمشي حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل، فقال: ما ترى في طلاق الأمة^(١)؟ فرفع رأسه إليه ثم أومأ إليه بإصبعيه السبابة والوسطى، فقال لهما عمر: تطليقتان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومأ إليك؟ فقال لهما: ما تدريان من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسمعته وهو يقول: إن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعتا في كفة، ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح إيمان علي^(٢))).

وهذه القصة توضح مدى اعتماد الخليفة عمر بن الخطاب على الإمام علي (عليه السلام) في القضاء والبت بالكثير من الأمور التي تتعلق بالفقه الإسلامي، وهذا

١- الأمة: نقيض الحرة، وهي المرأة ذات العبودية، والجمع إماء. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٥ / ص ٤٦٠

٢- ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٢ / ص ٦٠٥. ينظر أيضاً: ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين، ج ١ / ص ٣٥٤.

راجع إلى كون الصحابة يعلمون مدى علم الإمام ويقرون به، وما دلَّ عليه مدح الخليفة عمر له بأن إيمانه يرجح على السموات والأرض ما هو إلا دليل على ذلك.

٤ - حكم الإمام في لبن الناقة

روي أنّه كان لعمر ناقة يجلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبناً، فأنكره، فقال: ويحك من أين هذا اللبن؟ قال: يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت^(١) عليها ولدها فشرب لبنها، فحلبت لك ناقة من مال الله، فقال له عمر ويحك سقيتني ناراً، ادع لي عليّ بن أبي طالب، فدعاه، فقال: إنّ هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقاني لبنها أفتحلّه لي؟ قال: نعم، هو حلال لك ولحمها^(٢).

١ - انفلت: الفلتنة: الأمر الذي يقع من غير إحكام، يقال: كان الأمر فلتنة أي مفاجأة. الفراهيدي، العين، ج ٨/ ص ١٢٢.

٢ - ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٢/ ص ٦١٠.

المبحث الثالث

في عهد الخليفة عثمان بن عفان ٢٣- ٣٥هـ/٦٤٣م- ٦٥٥م

موقف الإمام علي (عليه السلام) من خلافة عثمان

لما مات الخليفة عمر بن الخطاب اجتمع أهل الشورى وهم: علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومضى علي إلى العباس وتكلم معه، فقال له: هذا الرهط لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم له غيرنا، وأيم الله لا نناله إلا بشر لا ينفع معه خير^(١).

ثم جمع عبد الرحمن بن عوف الناس بعد أن خرج نفسه عن الخلافة فدعا علياً فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده؟ فقال: أرجو أن أفعل وأعمل مبلغ علمي وطاقتي، ودعا بعثمان وقال له مثل ما قال لعلي، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: ((اللهم اسمع واشهد أنني جعلت ما في رقبتني من ذلك في رقبة عثمان)) وباعه^(٢). فقال علي: ((ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا فيه، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن))، فقال عبد الرحمن: يا علي، لا تجعل على نفسك حجة وسيلاً، فخرج علي وهو يقول:

١- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٥٥-٢٥٦.

٢- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٥٦.

سيبلغ الكتاب أجله^(١). وكانت بيعته بالخلافة سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م، ومدة خلافته إحدى عشرة سنة^(٢).

ويبدو أن الإمام (عليه السلام) لم يكن راضياً بما آلت إليه نتيجة الشورى، وتنصيب عثمان بن عفان خليفة، لأنه كان يرى نفسه الشريفة أحق بالخلافة ممن سبقوه، وهو ما أكده (عليه السلام) بقوله: ((ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا فيه))، فالأمر كانت له جذور تمتد إلى يوم السقيفة وتنصيب أبي بكر خليفة للمسلمين على الرغم من كونه أحق بها منه لسابقته ونصرته وجهاده في الإسلام، فضلاً عن علمه وتقواه، وهو ما صرح به الخليفة عمر بن الخطاب بقوله: ((إن يولوها الأجلح^(٣) يسلك بهم الطريق))^(٤).

وإنه (عليه السلام) كان يدرك جيداً أن أمر الخلافة لن يؤول إليه، وإنه كان يشك بنوايا عبد الرحمن بن عوف، وأن الأمر لا يعدو اتفاقاً بينه وبين عثمان على تولية عثمان، على أن يقوم عثمان بردها إلى عبد الرحمن، وهو ما يتضح من قوله (عليه السلام): ((والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك))^(٥).

وعلى الرغم من ذلك فقد كان الإمام علي (عليه السلام) أول من حاول الدفاع عن الخليفة عثمان حين حوصر من قبل بعض الناقمين عليه، إذ جاء إليه فاستأذنه في قتال المحاصرين له فقال الخليفة عثمان: ((انشد الله رجلاً رأى الله حقاً وأقرَّ أن

١ - المصدر نفسه والصفحة.

٢ - ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٩.

٣ - الأجلح: الجلع وهو ذهاب الشعر من مقدم الرأس وإذا انحسر الشعر عن جانبي الجبهة فهو أنزع، فإذا زاد قليلاً فهو أجلح، وجمع الاجلح: جُلح وجلحان. الازهري، تهذيب اللغة، ج ٤ / ص ٩٠.

٤ - ابن عبد الهادي، محض الصواب، ج ٣ / ص ٨٣٢.

٥ - العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٢٥٦.

عليه حقاً أن لا يهريق بسببي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه في))، وأعاد علي عليه القول فأجابه بمثل ما أجابه، فقال علي (عليه السلام): ((اللهم إنك تعلم إننا بذلنا المجهود))^(١).

ولم تذكر المصادر الشامية موقف الإمام علي (عليه السلام) من محاصرة عثمان سوى إن الإمام أراد قتال المحاصرين ومساعدة الخليفة عثمان ولكن الخليفة رفض قتال المحاصرين.

قضاء الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخليفة عثمان

على الرغم من فترة الحكم الطويلة نسبياً للخليفة عثمان، إلا أن المصادر الشامية لم تذكر له قضايا كثيرة حكم فيها الخليفة، ولا نعلم سبب ذلك، فضلاً عن أنهم أهملوا الجوانب الأخرى في ذلك العصر، فجاءت المعلومات حول قضاء الخليفة عثمان قليلة ولا تتعدى الحادثة الواحدة التي حصلت للمرأة التي ولدت لسته أشهر، وهي القصة التي تكررت أحداثها تقريباً، في عهد الخليفة عمر، فقد روي أنه ((تزوج رجل امرأة من جهينة، فولدت له تماماً لسته أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان فأمر برجمها، فبلغ ذلك علياً فأتاه فقال: ما تصنع؟ قال: ولدت غلاماً لسته أشهر، وهل يكون ذلك؟ قال عليّ أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢)، وقال ﴿حَوْلِينَ كَامِلِينَ﴾^(٣)، فكم تجده بقي إلا ستة أشهر؟ فقال عثمان: والله ما فطنت لهذا، عليّ بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها^(٤)، وكان من قولها لأختها: يا أختي، لا تحزني فوالله، ما كشف فرجي أحد قطّ غيره^(٥).

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٧٧.

٢- الأحقاف: ١٥.

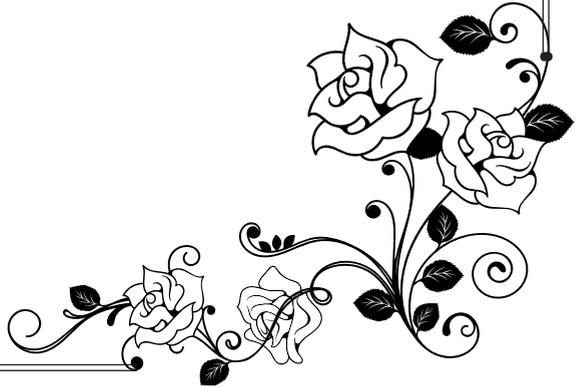
٣- البقرة: ٢٣٣.

٤- فرغ منها: أي قضى وحكم. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ١٧٠.

٥- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٨-٢٤٩.

الفصل الرابع

خلافة الإمام علي (عليه السلام)
وأبرز الأحداث فيها
(٣٥-٤٠ هـ / ٦٥٥-٦٦٠ م)



المبحث الأول

بيعته (عليه السلام) للخلافة

لم تقدم المصادر الشامية معلومات وافية عن بيعة الإمام علي (عليه السلام)، ولم تنقل تفاصيل الأحداث التي تلت مقتل الخليفة عثمان بن عفان، كون هذه الأحداث انعكست على تحول موقف الناس في المدينة إلى أن يُقبلوا بأجمعهم إلى الطلب من الإمام القبول بالخلافة، بعد ما أثرت تلك الأحداث على الموقف السياسي العام في المدينة، وتحول الأنظار إلى الإمام علي (عليه السلام)، ولشعور الناس بأنه المنقذ الحقيقي لهم في هذه المرحلة الصعبة التي تمر بها الدولة بعد مقتل عثمان، ووجود أكثر من شخص كان يمّني نفسه بالخلافة، ولكون الإمام بنظرهم هو الأجدر والأصلح لقيادة الأمة، فقد اتجهت إليه الأنظار. إلا أن المصادر لم تشر إلى كل تلك الأحداث الهامة، واكتفت بالحديث عن البيعة مباشرة دون الدخول بالتفاصيل، ويبدو أن السبب في ذلك هو حساسية تلك الأحداث بالنسبة لبعض الشخصيات الإسلامية ومنها على وجه الخصوص الخليفة عثمان.

بويع الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد قتل عثمان بن عفان يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالوا:

نبايعك فأنت أحق بها، فقال: أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فأبوا عليه؛ فأتى المسجد فبايعوه، وقيل: بايعوه في بيته^(١). وأول من بايعه طلحة بن عبد الله، وكانت يد طلحة مشلولة بعد إصابته في معركة أحد، فقال حبيب بن ذؤيب^(٢): إنا لله، أول من بدأ بالبيعة يدُ شلاء، لا يتم هذا الأمر، وبايعه الزبير والباقون^(٣).

وذكر (العلمي) امتناع جماعة من الصحابة عن البيعة، وقد سُموا بالمعتزلة لاعتزالهم بيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٤). ولم يُسمَّ (العلمي) من امتنع عن البيعة، ولم يعط أية تفاصيل عن هؤلاء كما لم يذكر مواقفهم السياسية تجاه بيعة الإمام، كما لم يتطرق إلى ذكر سبب امتناعهم عن البيعة. ثم ذكر أنه: ((بعد مبايعة الإمام علي (عليه السلام) بأربعة أشهر هرب طلحة والزبير إلى مكة وقالوا: إنما بايعنا خشية على نفوسنا))^(٥). والإمام علي (عليه السلام) هو أول خليفة من بني هاشم^(٦)، ولم يل الخلافة بعده من أمه هاشمية غير الأمين العباسي (١٩٣-١٩٨ هـ / ٨٠٨-٨١٣ م)^(٧). وقد حُدِّدت خلافة الإمام (عليه السلام) بأربعة سنين وتسعة أشهر^(٨).

١- العلمي، التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٢٦٣.

٢- حبيب بن ذؤيب: وقيل إن اسمه حبيب بن ذؤيب الأسلمي، وهو من بني مالك، وهو صاحب هدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كانت له دار في المدينة، وبقي إلى زمن معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد، الطبقات، ج ٤ / ص ٢٤١.

٣- ينظر: العلمي، التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٢٦٣؛ الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٤٧؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٧. مع اختلاف بالنص.

٤- التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٢٦٣.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

٦- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٤٧.

٧- العلمي، التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٣٥٢.

٨- العلمي، الانس الجليل، ج ١ / ص ٢٦٩.

وقد تجنبت المصادر الشامية بصورة عامة الحديث عن الأحداث السياسية التي تلت بيعة الإمام علي (عليه السلام)، ولم تبين الأسباب التي أدت بالبعض إلى رفض بيعة الإمام والخروج عن إجماع الأمة الإسلامية التي بايعته بإجماعها، وقد أشار (العلمي) إلى ما حصل من معاوية ورفضه بيعة الإمام (عليه السلام)، بالقول: ((ووقع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ما هو مشهور مما ليس في ذكره فائدة والسكوت عنه أولى))^(١). ويبدو أنّ العلمي تجنب الخوض في ذلك خشية الدخول في مسألة خلافة معاوية بعد أن صالحه الإمام الحسن واستيلائه عليها كونه خرج على إمام زمانه وهذا معناه أنه على باطل في دعواه، لذلك فضّل السكوت.

وأشار (العلمي) كذلك إلى أن الخلافة في الدولة الإسلامية تنتهي بانتهاء خلافة الإمام الحسن (عليه السلام)، مشيراً إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً عضواً))^(٢)، وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة^(٣). وقد فضّل ذلك بالقول: ((لأنّ أبا بكر تقلدها سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وعمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، وعثمان اثنتي عشر سنة إلا اثني عشر يوماً، وعلي أربع سنوات وتسعة أشهر، والحسن نحو ستة أشهر، فذلك ثلاثون سنة))^(٤).

١- المصدر نفسه والصفحة.

٢- الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٦٩.. والعضوض: يقال ركية عضوض: أي بعيدة القعر، وزمن عضوض أي شديد، والمعنى أنه يشق عليكم ويجهدكم. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٧/ ص ٤٢٩٥. وينظر أيضاً: البزاز، مسند البزاز، ج ٩/ ص ٢٨٠؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١٥/ ص ٣٩٢؛ ابن بطّة، الإبانة الكبرى، ج ٨/ ص ٢٠٥.

٣- العلمي، الأنس الجليل، ج ١/ ص ٢٦٩.

٤- التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٨١.

عدالة الإمام علي (عليه السلام) في خلافته

قامت سيرة الإمام علي (عليه السلام) في أثناء فترة خلافته على العدل والمساواة ونبذ الظلم عن الرعية، واتخذ منهجاً سويّاً طريقه العدل ونهجه المساواة بين أفراد المجتمع المسلم، ومراعاة أوضاع الناس بشتى طوائفهم ودياناتهم. وقد عبر عن تلك السياسة بما روي عنه بالقول: ((العالم حديقة سياجها الشريعة، والشريعة سلطان تجب له الطاعة، والطاعة سياسة يقوم بها الملك، والملك راع يقصده الجيش، والجيش أعوان يتكفلهم المال، والمال رزقٌ تجمععه الرعية، والرعية سواد يستعبدهم العدل، والعدل أساس يقوم به العالم))^(١).

وهذا النهج من العدل كان مسلك الإمام في تعامله مع الناس، كونه المسؤول الأول في الدولة وعليه تقع مسؤولية إدارتها، والحفاظ على حقوق الرعية من أوليات عمل الإمام (عليه السلام)، وهذا ما نلاحظه بشكل واضح من خلال كيفية تعامله مع ما يرد إليه من أموال مختلفة المصادر كانت تشكل إيرادات بيت المال، فكان إذا ورد عليه مال لم يترك منه شيئاً حتى يقسمه، وكان يكنس بيت المال ويصلي فيه، ويقول: يا دنيا غربي غيري^(٢). وكان (عليه السلام) يحرص على أن يكون عماله من الأشخاص أصحاب الدين والأمناء على وظائفهم والسائرين بسيرته في الرعية من حيث إشاعة العدل والمساواة بين الناس، وهو ما عبّر عنه (الشامي) بالقول: ((ولم يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات))^(٣).

وقد أشار (الشامي) أيضاً إلى أنّ الإمام علياً (عليه السلام) سار لما وليّ الخلافة

١- الشيخ علوان، النصائح المهمة، ص ١٥٦-١٥٧.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٨.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

بسيرة أبي بكر وعمر في القسم والتسوية بين الناس^(١). وهذا الكلام صحيح فيما يخص العطاء وتوزيعه في عهد الخليفة أبي بكر، إلا أنه بعيد عن الدقة في عهد الخليفة عمر، فالخليفة الأول سار على النهج نفسه الذي وضعه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يخص العطاء، إذ إن الرسول كان يقوم بتوزيعه بالتساوي بين المسلمين من دون تمييز بينهم، أمّا الخليفة عمر فقد قام بتوزيعه على وفق السبق في الإسلام والهجرة والقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). في حين أعاده الإمام علي (عليه السلام) إلى ما كان عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكان (عليه السلام) يراعي حقوق الناس، ويقدم لهم النصح والإرشاد فيما يخص معاشهم وتنظيم أعمالهم، ومراعاة مصالح الدولة كذلك بما يخدم المجتمع ككل، فقد كان (عليه السلام) يشجع المسلمين على إحياء الأراضي الموات^(٢)، وزراعتها لما فيها من فائدة له وللمسلمين عموماً بما تدره من مواد غذائية مختلفة، وكذلك العائد المادي مقابل ما يفرض عليها من أجرة تجبى إلى بيت المال، تسهم في إعطيات المسلمين، وقد روي قول الإمام الصادق (عليه السلام) في ذلك: ((كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: من أحيأ أرضاً من المؤمنين فهي له وعليه طسقتها))^(٣).

وكان من أولوياته (عليه السلام) المحافظة على المال العام وتنظيم شؤونه، لاسيما ما يتعلق بالأراضي الزراعية الخراجية، وهي التي تكون عند أهل الذمة، لأن

١- المصدر نفسه والصفحة.

٢- الأراضي الموات: هي الأرض التي لا مالك لها، ولا ينتفع بها بوجه من وجوه الانتفاع. قلعي، معجم لغة الفقهاء، ج ١/ ص ٥٥.

٣- الكركي، قاطعة اللجاج، ص ٤٩. وطسقتها: الطسق: لفظ فارسي معرب، يعني: ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الأرض. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠/ ص ٢٢٥. وينظر أيضاً: احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٢٣/ ص ٧؛ ابن زنجويه، الأموال، ج ٢/ ص ٦٥٢.

الإسلام فرض الخراج على تلك الأراضي ما دامت بحوزتهم، وهم على دينهم، وهذا يشكل مورداً هاماً لبيت المال، وأخذ أمير المؤمنين على عاتقه المحافظة عليه وتنظيم جبايته، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((رفع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) رجل مسلم اشترى أرضاً من أراضي الخراج، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): له ما لنا، وعليه ما علينا، مسلماً أو كافراً، له ما لأهل الله وعليه ما عليهم))^(١).

وهذا يدل على حرص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على حقوق المسلمين وحمايتهم أفراداً وجماعات. فمن له حق يأخذه، ومن عليه واجب يؤديه، وهذا مفهوم دولة العدالة الاجتماعية التي أقرها الإمام (عليه السلام)، وعمل على تطبيق قوانينها على كل أبنائها مسلمين أو غير مسلمين.

فضلاً عن ذلك فقد أكد عليه الإمام الباقر (عليه السلام) حين سُئل عن سيرة الإمام علي في الأرض التي فتحت عنوة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ((إن أمير المؤمنين قد سار في أهل العراق بسيرة، فهي إمام لسائر الأرضين))^(٢).

ولم يقف عدل أمير المؤمنين (عليه السلام) عند المسلمين، بل شمل أهل الذمة أيضاً، فقد راعى الإمام وضعهم وكونهم مواطنين لديهم حقوق وعليهم واجبات تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه، ولكون حمايتهم واجبة على المسلمين بسبب عقد الذمة المعقود بين الطرفين، ويتضح ذلك من وصيته لعمال الخراج بالرأفة والرحمة بأهل الذمة، وأن لا يتشددوا في جباية الخراج، وأن يأخذوا حق المسلمين فقط دون ظلمهم، ولعل أبرز ما يذكر في ذلك ما رواه مصعب بن يزيد الأنصاري - أحد

١- الكركي، قاطعة اللجاج، ص ٥١.

٢- المصدر نفسه، ص ٦٧.

عمال الإمام علي (عليه السلام) على الخراج - بقوله: ((استعملني أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) على أربعة رساتيق^(١): المدائن^(٢)، البهقباذات^(٣)، ونهر سير^(٤)، ونهر جوير، ونهر الملك^(٥)، وأمرني أن أضع على كل جريب^(٦) زرع غليظ درهماً ونصفاً، وعلى كل جريب وسط درهماً، وعلى كل جريب زرع رقيق ثلثي درهم، وعلى كل جريب كرم عشرة، وأمرني أن ألقى على كل نخل شاذ عن القرى لمارة الطريق وابن السبيل ولا أخذ منه شيئاً، وأمرني أن أضع الدهاقين^(٧) الذين يركبون البراذين^(٨) ويتختمون بالذهب على كل رجل منهم ثمانية وأربعين درهماً،

١- رساتيق: الرستاق مفرد وهو الصف، ويقال: رزدق، وهو معرب وأصله بالفارسية رُسته، ويقال رزداق ورستاق، والجمع رساتيق وهي السواد. ابن منظور، لسان العرب ج ١٠ / ص ١١٦.

٢- المدائن: تقع جنوب بغداد، وهي المدينة الكبرى التي كان بها إيوان كسرى. العريزي، الكتاب العريزي، ج ١ / ص ١١٩.

٣- البهقباذات: ومفردها بهقباذ، اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات منسوبة الى قباذ ابن فيروز والد أنوشروان بن قباذ العادل، منها بهقباذ الأعلى وهو ستة طساسيج، والبهقباذ الأوسط وهو أربعة طساسيج، والبهقباذ الأسفل وهو خمسة طساسيج. الحموي، معجم البلدان، ج ١ / ص ٥١٦.

٤- نهر سير: ويقال لها نهر شير: وهي المدينة التي تقع في جانب بساباط المدائن. العريزي، الكتاب العريزي، ج ١ / ص ١١٩.

٥- نهر الملك: وهي كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى، يقال أنه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة، قيل أن أول من حفره سليمان بن داود (عليها السلام)، وقيل حفره الاسكندر لما خرب السواد. الحموي، معجم البلدان، ج ٥ / ص ٣٢٤.

٦- جريب: بفتح الأول وكسر الراء المهملة، ثلاث آلاف وستمائة ذراع، وقيل أنه ستون ذراعاً في ستين. وقيل أن قياسه يختلف باختلاف البلدان. الأحمدي، دستور العلماء، ج ١ / ص ٢٦٨.

٧- الدهاقين: الدهقان معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر، وعلى من له مال وعقار ودالة مكسورة. الفيومي، المصباح المنير، ج ١ / ص ٢٠١.

٨- البراذين: مفردها بردون، وهي الدابة، والانشى بردونة، والجمع البراذين، وهي من الخيل ما كان من غير نتاج العراب. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣ / ص ٥١.

وعلى أوساطهم والتجار منهم على كل رجل أربعة وعشرين درهماً، وعلى سفلتهم^(١) وفقرائهم على كل إنسان منهم اثني عشر درهماً قال: وجبيتها ثمانية عشر ألف ألف درهم في سنة^(٢).

ولأنّ الفلاحين هم من أكثر الناس تعرضاً للظلم ومصادرة حقوقهم، فقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام (عليه السلام) بالفلاحين خيراً، وأن لا يظلموا حقوقهم، ولا يزداد على ما فرض عليهم من جزية أو خراج على أرضهم، وأن لا يُستعمل المسلمون في سخرة^(٣)، فقد روي أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً عليه السلام عند موته، فقال: يا علي لا يظلم الفلاحون بحضرتك ولا يزداد على أرض وضعت عليها، ولا سخرة على مسلم))^(٤).

الأثر الفكري للإمام (عليه السلام)

كان الإمام علي (عليه السلام) من العلوم بالمحل العالي^(٥)، وذكرت المصادر التاريخية عن علمه (عليه السلام) بصورة مستفيضة، وأوردت روايات كثيرة تتحدث عن فضل هذا العلم، وهو من الأمور المسلم بها نظراً لتواتر الأحاديث عنه، فقد

١ - سفلتهم: السفلة وهو أراذل الناس ومن العرب من يخفف فيقول: السفلة، ويقال فلان من سفلة القوم إذا كان من أراذلهم. الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٢/ ص ٢٩٨.

٢ - الكركي، قاطعة اللجاج، ص ٦٥.

٣ - سخرة: يسخر في العمل بغير أجر ولا ثمن، ويقال هو خادمه. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٥/ ص ٣١٥.

٤ - المصدر نفسه، ص ٩٠.

٥ - العليمي، التاريخ المعترف، ج ١/ ص ٢٦٢.

ذكرت المصادر الشامية أحاديث عن الرسول (عليه السلام) أكدت على كون الإمام (عليه السلام) أعلم الصحابة وأفقههم، ومن هذه الأحاديث قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب))^(١)، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أعطي علي تسعة أعشار^(٢) العلم، ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي، فإذا ثبت لنا الشيء عن علي لم يعدل عنه إلى غيره))^(٣). وقوله أيضاً: ((علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي))^(٤).

والحديث عن علم الإمام (عليه السلام) يطول بيانه ويتشعب حديثه، فقد روي: أنه ما كان أحد يقول سلوني غير علي^(٥). وكان سؤال الصحابة ورجوعهم إلى فتاواه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل والمعضلات مشهور^(٦). وورد عن بريدة أنه حين نزل قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٧)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام): ((يا علي إن الله تعالى أمرني أن أذنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي وحق لك أن تعي، سألت ربي أن يجعلها أذنك، فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً فنسيته))^(٨).

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٣.

٢- أعشار: من العشر وهو الجزء من أجزاء العشرة. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ٥٧٠.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٨؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥١.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٤.

٥- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥١؛ الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٨.

٦- ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥١.

٧- الحاقة: ١٢.

٨- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٤٩. وينظر أيضاً: البزاز، مسند البزاز، ج ٦/ ص ٢١١؛ الاجري، =

وقد أوردت المصادر الشامية أحاديث كثيرة عن الإمام علي (عليه السلام) تؤكد فيها علم الإمام وبراعته، فاستعرضت لذلك نماذج من أقواله، ومن هذه الأقوال: وصيته لكميل بن زياد، التي تحتوي على وصايا تختلف بمواضيعها وما تنص عليه، فمنها الديني والاجتماعي والعلمي وغير ذلك، ففي الجانب الاجتماعي يؤكد على أصناف الناس إذ قال: ((القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج^(١) رعاع أتباع كل ناعق، مع كل ريح يميلون لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق))^(٢).

وهنا نراه (عليه السلام) يصنف الناس إلى ثلاثة أصناف، ويبين أن لكل صنف منهم نهج يختلف باختلاف رؤيته ومصالحته، لذا فهو يقدم صورة متكاملة عن الإنسان ووضعه داخل المجتمع، وعلى المسلمين التمييز بين هذه الأصناف.

ثم يعقد (عليه السلام) مقارنة بين العلم والمال، ويبين قيمة العلم لحامله، مقارنةً بالمال، فالعلم يخلد الرجل بعد موته ويُحْيِي ذكره، فيما المال لن يقدم للإنسان شيئاً من ذلك، بل يزول المال بزوال صاحبه. ويعرض الإمام المقارنات الكثيرة بين المال والعلم، فيقدم بذلك صورة رائعة على مقدار الفرق بينهما. فيقول (عليه السلام): ((العلم خير لك من المال، العلم يجرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تفنيه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، ومحبة العالم دين يدان بها العلم، يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدثوة بعد موته، وصنيعة

= الشريعة، ج ٤/ص ٢٠٩٤؛ ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين، ج ١/ص ٣٨٤.

١- همج: الهمجة من الناس: الأحمق الذي لا يتأسك، والهمج جمع الهمجة، وأصل الهمج في كلام العرب: البعوض، الواحدة همجة، ويقال للردال من الناس همجٌ هامج. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٦/ص ٤٦.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ص ٢٦٥.

المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه هاه، وأشار بيده إلى صدره، إن ههنا علما لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا^(١) غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، فيستظهر لحجج الله تعالى على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقاداً لأهل الحق، لا بصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك^(٢) في قلبه بأول عارض من شبهة، لا إذا ولا ذاك أو منهوم باللذات، سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار وليس من دعاة الدين، أقرب شبها بهما الأنعام السائمة^(٣)، كذا يموت هذا العلم بموت حامله، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله عز وجل بحجة الله، لئلا تبطل حجج الله وبياناته، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عز وجل عن حججه، حتى يؤديها إلى نظرائهم، ويزرعونها في قلوب أشباههم،

١- لقنا: القنا: هو الذي يرتفع وسطه من طرفيه وتسمو أرنبته وتدقّ، رجل أفتى وأمرأة قنواء. وقد يوصف بالقنا البازي والفرس، وهو عيب في الفرس ومدح في الصقر. ولقد قيل في أفتى قولان: أحدهما أفتى: أرخى، والآخر: جُعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتاً، ومن ذلك قولك: اقتنيت كذا وكذا: أي عملت على أنه يكون عندي لأخرجه من يدي. وقيل: أفتى: أعطاه ما يدخره بعد الكفاية. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩/ ص ٢٣٧؛ ابن سيده، المخصص، ج ١/ ص ١١٩.

٢- اقتدح يقتدح إقتداحاً فهو مقتدح ومقتدح، واقتدح الأمر: تدبره ونظر فيه، واقتدح بالزند: ضرب به حجراً لتخرج النار منه، ويقتدح الشك: أي تدبر الشك في قلبه. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٣/ ص ١٧٧٨

٣- السائمة: سامت الماشية إذا دخل بعضها في بعض في الرعي، وسام الجراد يسوم سوماً إذا دخل بعضه في بعض، والسوام: الإبل السائمة أي الراعية، وسام الرجل ماشيته يسومها سوماً إذا رعاها. فالأنعام السائمة هي الإبل الراعية ودخل بعضها في بعض في الرعي. ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٣/ ص ١١؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢/ ص ٨٦٢.

هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلناوا^(١) ما استوعر^(٢) منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه هاه، شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم))^(٣).

وكان (عليه السلام) يوصي كثيراً بالعلم ولزوم التعلم، وقد ورد عنه قوله: ((تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنما أهله الذين يعملون به، وسيأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره))^(٤). وقوله (عليه السلام): ((المرء محبوب تحت لسانه، تكلموا تعرفوا، ما ضاع أمرؤ عرف قدره))^(٥). وكذلك قوله (عليه السلام): ((العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلم لا يسده إلا خلف منه))^(٦)، وقوله (عليه السلام): ((كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه))^(٧)، وما ينسب إليه (عليه السلام) شعراً في العلم^(٨):

١- فاستلناوا: من استلان - يلين - اللين ضد الخشونة، وقد لان الشيء يلين ليناً وألينه صيره ليناً، ويقال: ألانه على النقصان والتهام مثل أطاله وأطولته. وأستلناه أي عدّه ليناً، وتلّين له تملّق. فاستلناوا: أي عدّوه لينا وصيروه لينا. الرازي، مختار الصحاح، ج ١/ ص ٢٨٨.

٢- استوعر من يستوعر استيعاراً فهو مستوعر. واستوعر المكان: عدّه أو وجدته وعراً يصعب السير فيه، وقد استوعر طريق الجبل فاختر طريقاً سهلاً. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٣/ ص ٢٤٦٧.

٣- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٥؛ الغزي، الدر النضيد، ص ٤٠. باختلاف في النص.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧١.

٥- المصدر نفسه، ج ١٢/ ص ٢٦٧.

٦- الغزي، الدر النضيد، ص ٣٩.

٧- المصدر نفسه، ص ٤٠.

٨- المصدر نفسه، ص ٤٤. وينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ج ١/ ص ٢٦٥.

ما الفخرُ إلا لأهل العلم إثمٌ
وقدر كلِّ امرئٍ ما كان يُحسُّنه
فَفُزْ بعلمٍ ولا تجهل به أبداً
على الهدى لمن استهدى أدلاءً
والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

وينسب له (عليه السلام) أيضاً^(١):

فلا تصحب أبا الجهل
فكم من جاهلٍ أردى^(٢)
يُقاس المرءُ بالمرءِ
وللشيء من الشيء
وإيّاك وإيّاها
حليماً حين أخاهُ
إذا ما هو ماشاهُ
مقاييسُ وأشباهُ

وقد جاء عن الإمام علي (عليه السلام) جملة من الآداب أوصى بها الإمام علي (عليه السلام) حملة العلم والمتعلمين، منها قوله (عليه السلام): ((إنَّ من حقِّ العالم أن لا تُكثِر عليه السؤال ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلحَّ عليه إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كسل))^(٣). وكذلك قال (عليه السلام): ((ولا تغمز بعينك غيره، وأن لا تسار في مجلسه، وأن لا تطلب زلته، وإن زلَّ قبلت معذرتَه، وأن لا تقول: قال فلان خلاف قولك، وأن لا تُفش له سراً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تحفظه شاهداً وغائباً، وأن تعم القوم بالسلام، وأن تخصه بالتحية، وأن تجلس بين يديه، وعليك أن توقِّره

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٦٩. وينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٢/ ص ١٨٠.

٢- أردى: يردى إرداءً والمفعول مُردى، أردى فلاناً أي أهلكه، وأرداه الدهر. وأرداه قتيلاً: أي صرعه، وأردى: أسقطه. عمر، معجم اللغة العربية، ج ٢/ ص ٨٨١.

٣- الغزي، الدر النضيد، ص ١٤٧.

الله تعالى، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، وأن لا تمل من طول صحبته، إنما هو كالنخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة))^(١). فضلاً عن ذلك كله، كان الإمام علي (عليه السلام) لا ينسى أن يذكر الناس ويعظهم ويرشدهم إلى الطريق السليم في دينهم ودنياهم، وكان للوعظ نصيب في فكر الإمام (عليه السلام)، فهو الموجه والواعظ للناس والمذكر لهم بيوم القيامة والحساب، وأن لا ينسى الإنسان في غمرة انشغاله بأمر دنياه، أمور آخرته، فكان (عليه السلام) كثير النصح لهم، وينقل (الشامي) إحدى تلك المواعظ، إذ يقول (عليه السلام) صعد المنبر بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((عباد الله، الموت ليس فيه فوت، ثم قال: النجاء النجاء^(٢)، والرّجاء الرّجاء، وراءكم طالب حثيث، القبر فاحذروا ضغطته ووحشته، ألا وإنّ القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا أنّه يتكلّم في ذلك اليوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الظّلمة، أنا بيت الدّود، أنا بيت الوحشة، ألا وإنّ وراء ذلك يوم يشيب فيه الصّغير، ويسكر فيه الكبير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنّ عذاب الله شديد، ألا وإنّ وراء ذلك ما هو أشدّ منه، نار حرّها شديد، وقعرها بعيد، وخازنها مالك، ثمّ بكى وبكى المسلمون حوله، ثم قال: ألا وإنّ وراء ذلك جنّة عرضها السّموات والأرض أعدت للمتقين، أحلّنا الله وإياكم دار النّعيم، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم))^(٣).

١- الغزي، الدر النضيد، ص ١٤٧.

٢- النجاء: هو الخلاص من الشيء. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٧/ ص ٥٥٦.

٣- سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧١.

المبحث الثاني

جهاد الإمام في خلافته

على الرغم من أنّ بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت بإجماع من حضر من المسلمين في المدينة، ولم يكن هناك اعتراض على ذلك من قبلهم، إلا أنّ الإمام (عليه السلام) تعرض فيما بعد إلى حملة معارضة قوية بدأها طلحة والزبير، ثم تبعهما معاوية الذي رفض بيعة الإمام وأقنع أهل الشام برفض بيعته ونادى بالثأر من قتلة الخليفة عثمان بن عفان.

ولم تتطرق المصادر الشامية إلى ذكر أسباب رفض هؤلاء للبيعة ومناقشتها، إلا أنها - كما تبدو - لم تكن وليدة لحظتها، وإنّما كانت لها أسباب وجذور متأصلة أهمها الطمع بالخلافة. وهذا ما يدل عليه قول الإمام علي (عليه السلام): ((عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(١))).^(٢) ويفهم

١- الناكثين والقاسطين والمارقين: الناكثين من النكث: نقض العهد، والاسم النكث بالكسر، وقد نكث ينكث، وأراد بهم أهل وقعة الجمل لأنّهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته وقتلوه. وأراد بالقاسطين: المائلين عن الحق، وهم أهل الشام، وبالمارقين، الخارجين عن الدين، وهم الخوارج. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٥/ ص ١١٤.

٢- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٥٠. ينظر أيضاً: أبي يعلى، مسند أبو يعلى، ج ١/ ص ٣٩٧؛

من ذلك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر الإمام بأنّه ستكون هناك معارضة شديدة لحكمه بينّها له، فبعضهم سينكث بيعته، وبعضهم سيميل عن الحق وآخرون يمرقون من الدين. وهذه الفئات الثلاث هي التي شكلت المعارضة السياسية لحكم الإمام علي (عليه السلام) فيما بعد، واحتاجت إلى جهد كبير من أجل القضاء عليها وإخمادها، وعلى الرغم من نجاح ذلك مع الناكثين والخوارج، وتمكن الإمام (عليه السلام) من القضاء عليهم، إلا أنّ الأمر لم ينجح كلياً مع معاوية وأهل الشام، على الرغم من تحقق النصر العسكري عليهم. وسنستعرض في هذا المبحث أهم المعارك التي خاضها الإمام (عليه السلام) مع معارضيه في فترة خلافته.

حربه مع الناكثين (واقعة الجمل) ٣٦هـ/٦٥٦م

بعد مبايعة الناس في المدينة للإمام علي (عليه السلام)، ثم مبايعة الأمصار الإسلامية الباقية له، قام بعض الصحابة بالخروج عن هذا الإجماع لأسباب لم توضحها المصادر الشامية، واكتفت بالتلميح ببعضها الآخر. ومن بين الذين خرجوا عليه أم المؤمنين عائشة ومعها طلحة والزبير، وقد سبق تحذير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها من هذا الخروج، فقد روي إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر خروج أحد أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة فقال: ((انظري يا حميراء ألا تكوني أنت، ثم ألتفت إلى علي (عليه السلام) فقال: إن وليت من أمرها شيئاً فافرق بها))^(١).

=المهشمي، المقصد العلي، ج ٢/ ص ٣٨٠.

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٠/ ص ٥٥٢. وينظر أيضاً: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٢/ ص ٨٢٦؛ ابن البيع، المستدرک على الصحيحين، ج ٣/ ص ١٢٩.

كما روي قوله أيضاً: ((أيتكنّ صاحبة الجمل الأحمر الأدب^(١) تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب^(٢)، يقتل حولها قتلى كثيرة ثم تنجو بعدما كادت))^(٣).

ولما استقر علي (عليه السلام) في الخلافة، فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة، وانفقا مع عائشة وكانت قد مضت إلى الحج وعثمان محاصر، ولما بلغ عائشة قتل الخليفة عثمان اعتظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه، وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبدالله بن عامر وجماعة من بني أمية، وجمعوا لذلك جمعاً عظيماً، واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها وقالوا: معاوية بالشام قد كفانا أمرها، وكان عبدالله ابن عمر قد قدم من المدينة فدعوه إلى المسير معهم فامتنع، وساروا وأعطى يعلى ابن منية^(٤) أم المؤمنين عائشة الجمل المسمى بعسكر^(٥).

وفي طريقهم مرّوا على مكان يسمى الحوآب فنبحتهم كلابه، فسألت عائشة عنه، فقيل لها: هذا ماء الحوآب، ويذكر (العليمي) أنّ عائشة صرخت بأعلى صوتها وقالت: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول وعنده

١- الأدب: أي كثير الشعر. نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٣/ ص ١٦٥٩.

٢- الحوآب: ماء معروف، وهو قريب من البصرة منسوب إلى الحوآب بنت كلب بن وبرة. ابن دريد، جوهرة اللغة، ج ٢/ ص ١٠١٨.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٠/ ص ٥٥٢. وينظر أيضاً: البزاز، مسند البزاز، ج ١١/ ص ٧٣؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ١٤/ ص ٢٦٥.

٤- يعلى بن منية: هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي الخنظلي، يكنى أبا صفوان، ينسب حيناً إلى أبيه وحيناً إلى أمه، أسلم يوم الفتح وشهد حيناً والطائف وتبوك، ولاه أبو بكر على حلوان، وولاه عمر على بعض بلاد اليمن. قتل سنة ٣٨هـ بصنفيين وكان مع الإمام علي (عليه السلام) بعد أن شهد الجمل مع عائشة. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤/ ص ١٥٨٥.

٥- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٣-٢٦٤.

بعض نساءؤه: ليت شعري أيتكنّ تنبجها كلاب الحوآب؟ ثم ضربت عضد بعيرها وقالت: ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوآب فأناخوها يوماً وليلة، فقال لها عبدالله بن الزبير^(٦): إنّه كذب - يعني ليس هذا ماء الحوآب^(٧). وهذا يدل على أنّ عملهم هذا كان مدبراً ومتفقاً عليه، حتى لو اقتضى الأمر أن يعمدوا إلى الكذب.

ولم يزل بها وهي تمتنع، فقال لها: النجاء النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب، فارتحلوا نحو البصرة واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف^(٨) وقُتل من أصحابه أربعون رجلاً، وأمسك عثمان ففُتنت لحيته وحواجبه وسُجن ثم أُطلق^(٩).

ولما بلغ علياً (عليه السلام) مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة منهم أربعمئة ممن بايع تحت الشجرة، وثمانمئة من الأنصار، وكان مسيره في ربيع الآخر سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، ولما وصل ذي قار أتاه عثمان بن حنيف، وقال: يا أمير المؤمنين بعثني ذا الحية وجئتك أمرد^(١٠)،

٦- عبدالله بن الزبير بن العوام الاسدي، ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً وهو أول مولود ولد بعد الهجرة، ادعى الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية وغلب على اليمن والحجاز والعراق وخراسان. قتل بمكة سنة ٧٣هـ. ابن أبي الخير، خلاصة تهذيب الكمال، ج ١/ ص ١٩٧.

٧- التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٤. وينظر أيضاً: معمر بن راشد، الجامع، ج ١١/ ص ٣٦٥؛ ضياء الدين المقدسي، الأحاديث المختارة، ج ١٢/ ص ١٦٠.

٨- عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، استعمله عمر على مساحة أرض الكوفة، كما استعمله الإمام علي (عليه السلام) على البصرة قبل الجمل. مات في ملك معاوية بن أبي سفيان. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ٣٨٣.

٩- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٤.

١٠- أمرد: الأمرد هو الذي خداه أملسان لا شعر فيهما. الانباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ١/

فقال: أصبت أجراً وخيراً^(١).

والتقى الجمعان عند مكان يقال له الخريبة^(٢)، وكانت عائشة راكبة الجمل المسمى عسكر في هودج، وقد صار مثل القنفذ من النشاب، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير^(٣).

وذكر أن عدد القتلى يوم الجمل من الفريقين بلغ عشرة آلاف^(٤). وقد أسفرت الحرب عن مقتل طلحة بعدما رماه مروان بن الحكم بسهم فقتله، وكلاهما كان مع عائشة، وذكر (العليمي) السبب بقوله: ((إنه طلب بذلك أخذ ثأر عثمان منه لأنه نسبه إلى أنه أعان على قتل عثمان))^(٥).

وهذا يدل على أن معسكر عائشة كان غير متوافق في الآراء ومختلفاً بالأهواء، غير متفقين على شيء إلا على حرب الإمام علي (عليه السلام)، أما رغباتهم فتختلف باختلاف مصالحهم، فلم يكن الهدف من خروجهم الطلب بدم عثمان كما كانوا يقولون، وإنما كان لكل منهم رغبة في الخلافة من دون صاحبه، ولما لم تتحقق رغباتهم وانهمزوا في الحرب التجأوا إلى تصفية حساباتهم مع بعضهم.

وذكر (ابن عبد الهادي) أن الإمام علياً (عليه السلام) دعا طلحة يوم الجمل فذكره أشياء من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله واعتزل في بعض الصفوف،

١- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٤-٢٦٥.

٢- الخريبة: بضم أوله على لفظ تصغير: من أعمال البصرة، سميت بذلك لأن المرزبان ابتناها قصرًا ثم حُرب فبناها المسلمون وسموها الخريبة. ابن الفقيه، البلدان، ج ١/ ص ٢٣٧.

٣- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٥.

٤- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٦.

٥- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٥.

فرماه مروان بن الحكم بسهم في لبتة^(١)، فلم يزل ينزف حتى مات^(٢). وقد روي أن الإمام علياً (عليه السلام) حين طاف على القتلى من أصحاب الجمل رأى طلحة قتيلاً فقال: ((إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعياً))^(٣).

أمّا الزبير بن العوام، فقد ترك أرض المعركة قبل بدايتها، وذلك لأن الإمام علياً (عليه السلام) ناداه وانفرد به وذكره أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لهما وقد وجدهما معاً - وكان يوجه كلامه للزبير - : ((أما إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم))^(٤)، فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال، فأتبعه ابن جرموز^(٥) فقتله بموضع يعرف بوادي السباع^(٦) وجاء بسيفه إلى علي (عليه السلام)، فقال علي: ((بشرّ قاتل ابن صافية بالنار))^(٧).

وتؤكد هذه الروايات التي نقلتها المصادر الشامية في معرض حديثها عن معركة الجمل على أن من خرج على الإمام علي في فترة خلافته كان على باطل بدليل حديث

١- لبتة: هو موضع القلادة من الصدر. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١/ ص ٧٩١.

٢- الشجرة النبوية، ص ٨٧.

٣- التاريخ المعبر، ج ١/ ص ٢٦٥-٢٦٦.

٤- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٣٥. وينظر أيضاً: ابن البيع، المستدرک على الصحيحين، ج ٣/ ص ٤١٣؛ الكلاباذي، بحر الفوائد، ج ١/ ص ١٤٧.

٥- ابن جرموز: وهو ابن جرموز بن عبدالله ويقال عمير ويقال عمرو وقيل عميرة بن جرموز السعدي وهو الذي قتل الزبير بن العوام في وادي السباع. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢/ ص ٥١٥.

٦- وادي السباع: هو وادي بين البصرة ومكة، بينهما خمسة أميال، وهو من نواحي الكوفة، وسمي بذلك نسبةً إلى أساء بنت دريم بن القين لأن أولادها كان يقال لهم السباع وهم كلب وأسد والذئب والفهد وثعلب وسرحان وبرك وهو الكركدن. الحموي، معجم البلدان، ج ٥/ ص ٣٤٣.

٧- ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٣٥.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للزبير. وقطعت على خطام^(١) الجمل أيدٍ كثيرة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ولما كثر القتل على خطام الجمل، قال الإمام علي (عليه السلام): اعقروا الناقة، فضربه رجل فسقط فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل، فأدخلها محمد بن أبي بكر^(٢) أخوها إلى البصرة. وقد أنزلها في دار عبد الله ابن خلف^(٣). ثم أمر علي (عليه السلام) عائشة بالرجوع إلى المدينة، وأن تقرّ في بيتها؛ فسارت في مستهل رجب وشيعها الناس وجهزها الإمام علي (عليه السلام) بما احتاجت إليه وسيّر معها أولاده مسيرة يوم، وتوجهت إلى مكة وأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة^(٤).

أمّا الإمام علي (عليه السلام) فإنّه بعد انقضاء المعركة توجه إلى الكوفة ونزلها وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وخراسان، ولم يبقَ خارجاً عنه إلا الشام وفيه معاوية، وأهل الشام مطيعون له^(٥).

١- خطام: خطام البعير أنفه، والمراد به أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقاد البعير ثم يثنى على مخطمه. مجد الدين بن الأثير، النهاية، ج ٢/ ص ٥٠.

٢- محمد بن أبي بكر التيمي، ولد في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع، وهو أحد من ألّب على عثمان واقتحم الدار، صاحب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وشهد معه الجمل و صفين، ثم قتل بمصر سنة ٣٨هـ. ابن أبي الخير، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ج ١/ ص ٣٢٩.

٣- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٥. عبد الله بن خلف: بن أسعد بن عامر بن بضاعة بن سبيع بن جثيمة بن سعد بن ملبح بن عمرو بن ربيعة الخزاعي وهو والد طلحة الطلحات كان كاتباً لعمر بن الخطاب على ديوان البصرة وأمه جنيبة بنت أبي طلحة العبدي وقتل مع عائشة يوم الجمل وشهد أخوه عثمان بن خلف وقعة الجمل مع علي. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣/ ص ١٢٠.

٤- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٦.

٥- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٦.

حربه مع القاسطين (معركة صفين)^(١)

بعد انقضاء حرب الجمل، واستقرار الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة، بعث جرير بن عبدالله البجلي^(٢) ليأخذ البيعة على معاوية ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، وسار جرير إلى معاوية فهاطله، وكان معه عمرو بن العاص بفلسطين واتفقا على قتال علي (عليه السلام)^(٣).

ولما قدم عمرو على معاوية واتفقا على حرب الإمام (عليه السلام)، قدم جرير بن عبدالله البجلي إلى الإمام علي فأعلمه بذلك، فسار علي من الكوفة إلى جهة معاوية، وسار عمرو ومعاوية من دمشق بأهل الشام إلى جهة الإمام (عليه السلام)، وتأنى معاوية في مسيره حتى اجتمعت الجموع بصفين وخرجت سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م والأمر على ذلك، ودخلت سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م والجيشان بصفين ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال بل مراسلات فقط، ووقعت المعركة في شهر صفر، وكانت بينهم وقعات كثيرة قدرت بتسعين وقعة، وكانت مدة مقامهم في صفين مئة وعشرة أيام^(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام علياً (عليه السلام) تقدم إلى أصحابه - قبل القتال - وأوصاهم: ((أن لا تقتلوهم حتى يبدؤواهم بالقتال وأن لا تقتلوا مدبراً وأن لا تأخذوا شيئاً من أموالهم، وأن لا تكشفوا عورة))^(٥). وذكر (العلمي) أن

١- صفين: وهي قرية قديمة بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١/ ص ٢١٤.

٢- جرير بن عبدالله بن جابر البجلي، صحابي مشهور، كان يلقب بيوسف هذه الأمة. مات سنة ٥١هـ، وقيل بعدها. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج ١/ ص ١٣٩.

٣- العلمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٦.

٤- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٧.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

عدد القتلى بصفين من أهل الشام بلغ خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر^(١).

ومن أبرز من قتل في المعركة عمار بن ياسر الصحابي الجليل وكان مع الإمام علي (عليه السلام)، وقاتل قتلاً عظيماً وكان قد نيف على التسعين، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قال ((تقتل عمار الفئة الباغية))^(٢).

ويحمل هذا الحديث دلالة على أن أهل الشام ومعاوية هم أهل البغي بدلالة هذا الحديث، ولكونه كان يقاتل مع الإمام علي (عليه السلام)، وأن دعوى معاوية بالمطالبة بدم عثمان كانت دعوى باطلة، وخروجه لقتال الإمام كان طمعاً بالخلافة وليس غير ذلك، وما فعله من تأليب أهل الشام وحشدهم لهذا الغرض كان يخفي بين جنابه طمع معاوية بالخلافة، واتخذ من حادثة قتل الخليفة عثمان ذريعة لمطالبه المبطنة تلك بحجة أنه ولي دم الخليفة المقتول.

ويبدو أن مقتل عمار بن ياسر كان قد أخذ مأخذه في عسكر الإمام علي (عليه السلام) وأيقن أصحابه بأنهم على الحق وأن أهل الشام على باطل، لما سمعوه من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار، زيادة على ذلك أن مقتل هذا الصحابي الجليل قد شحذ الهمم ووطن النفوس على الشجاعة، فانتدب إثنا عشر ألفاً وحمل بهم الإمام علي (عليه السلام) على معسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، ثم تقاتلوا وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال إلى الصبح^(٣). ويروى أن علياً (عليه السلام) كبر تلك الليلة أربع مئة تكبيرة، وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً

١- المصدر نفسه والصفحة.

٢- المصدر نفسه والصفحة. وينظر أيضاً: ابن الجعد، مسند ابن الجعد، ج ١/ ص ١٨٣؛ ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٧/ ص ٥٥٢.

٣- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٧٦-٢٦٨.

كَبَّرَ، ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة، ولما رأى عمرو ذلك قال لمعاوية: ((هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم))، ففعلوا ذلك^(١).

وهذه حيلة من عمرو ومعاوية أرادوا بها التخلص من ضربات جيش الإمام علي (عليه السلام) وأن يحولوا موازين القوى لصالحهم بعد أن أنهكتهم بسالة أهل الكوفة وشجاعتهم، وقد نجحت هذه الحيلة، لأن أهل العراق لما رأوا ذلك قصدوا الإجابة، فقال الإمام علي (عليه السلام): ((امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم))، ثم حاول تنبيههم إلى أن هذا الأمر لا يعدو كونه مكرراً وخديعة من قبل معاوية وأهل الشام ليقعوا الخلاف بين صفوفهم، فقال: ((ويحكم، والله ما رفعوها إلا خديعة ومكيدة))^(٢).

ولما كُفُوا عن القتال فسألوا معاوية لأي شيء رفعت المصاحف؟ فقال: تبعثوا حكماً منكم وحكماً منّا ونأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه، فوَقَّعت الإجابة من الفريقين إلى ذلك^(٣).

إلى أن الاختلاف بين أصحاب الإمام علي (عليه السلام) لم ينته عند هذا الحد، ووقع اختلاف فيمن يكون حكماً فاستقر الحال على أن يكون أبو موسى الأشعري من جهة الإمام علي (عليه السلام)، وأخرج معاوية عمرو بن العاص^(٤).

وتوضح شقة الخلاف بين الطرفين بما رواه (العليمي) حول مسألة الاتفاق بين الحكمين، فقال: ((والتقى الحكمان عند الإمام علي (عليه السلام) وكتبوا بحضوره

١- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٨.

٢- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٨.

٣- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٦٨.

٤- المصدر نفسه والصفحة.

كتاباً جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى أمير المؤمنين علي، فقال: عمرو، هو أميركم، وأمّا أميرنا فلا، فقال الأحنف: لا تمسح اسم أمير المؤمنين، فقال الأشعث بن قيس: أمح هذا الاسم، فأجاب علي ومحاه، وقال علي: الله أكبر مشبه بنبيه، وإني والله لكاتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية فكتب محمد رسول الله، فقالوا: لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمحوه، فقلت: لا أستطيع، فقال: فأرني، فأريته فمحاها بيده، فقال لي: إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب، فقال عمرو: سبحان الله أشبهنا بالكفار ونحن مؤمنون))^(١).

ومن خلال هذا النص يتضح مدى عناد هؤلاء وضلالهم، وأنهم تشبهوا بالكفار يوم الحديبية وعاملوا الإمام (عليه السلام)، كما عامله الكفار من قبل، وأصرّوا على محو اسم الإمارة كما أصر الكفار على محو النبوة من اسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى ذلك في محاولة لتذكير هؤلاء العصاة بما فعل الكفار من قبل، إلا أن تشبّثهم بالدنيا وطمعهم فيها جعلهم لا يفكرون في آخرتهم ولا في دينهم.

وأما الكتاب الذي كتبه بينهم فكان ممّا تضمنه: ((هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي على أهل الكوفة ومن معهم، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن معهم، إننا نزل عند حكم الله وكتابه ونحیی ما أحيا ونمیت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله فبالسنة العادلة، وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين الموثيق أنّهما أمينان على أنفسهما وأهلها والأمة، فهما أنصار الأمة على الذي يتقاضيان عليه، وأجلا القضاء إلى رمضان من

١- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٦٨-٢٦٩.

هذه السنة، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه. وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشر ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام المقبل بأذرج^(١).

ثم سار الإمام علي (عليه السلام) إلى الكوفة ودخلها، ولم يدخل الخوارج معه واعتزلوا عنه، وفي الموعد المحدد لإقرار نتيجة التحكيم، بعث الإمام علي أربعمئة رجل فيهم أبو موسى الأشعري وعبدالله بن عباس ليصلي بالناس ولم يحضر الإمام (عليه السلام)، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة رجل، ثم جاء معاوية واجتمعوا بأذرج وشهد معهم عبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير والمغيرة بن شعبة، والتقى الحكمان فدعا عمرو وأبا موسى الأشعري أن يجعل الأمر إلى معاوية فأبى وقال: ((لم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين))^(٢). ودعا أبو موسى عمراً إلى أن يجعل الأمر إلى عبدالله بن عمرو بن الخطاب فأبى عمرو، ثم قال عمرو: ما ترى أنت؟ فقال: أرى أن نخلع علياً ومعاوية ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فأظهر له عمرو أن هذا هو الرأي ووافق عليه^(٣). ثم أقبلوا إلى الناس وقد اجتمعوا فقال أبو موسى: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجوه صلاح هذه الأمة، فقال عمرو: صدق، تقدم فتكلم يا أبا موسى، فلما تقدم لحقه عبدالله بن عباس وقال له: ويحك والله إني أظن أنه خدعك، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فأنا لا آمن أن يخالفك، فقال أبو موسى: إنا قد اتفقنا، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ((يا أيها الناس إنا لم نرأ صلح لأمر هذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه

١- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٦٩. وأذرج: بفتح الهمزة وسكون الدال المعجمة وراء مضمومة وحاء مهملة، مدينة من أداني الشام تلقاء السراة، وقيل هي فلسطين، وبينها وبين جربا ثلاثة أيام. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١/ ص ٥٨.

٢- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٧٠.

٣- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٧٠.

الأمة الأمر فيولوا منهم من أحبوا وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحى))^(١).

ثم قام عمرو فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ((إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي فإنه وليّ عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه))^(٢)، فقال له أبو موسى: ((مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت))^(٣).

ثم ركب أبو موسى ولحق بمكة حياً من الناس وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة، وكان هذا الأمر عاملاً في تقوية موقف معاوية بين أهل الشام بخصوص موقفه المطالب بالخلافة^(٤).

ومن خلال الروايات التي ذكرناها يتضح أن معاوية وعمرو بن العاص بعد أن أعتبهم المواجهة العسكرية مع أهل العراق بقيادة الإمام علي (عليه السلام)، لجأوا إلى الحيلة في تحقيق الانتصار وإشاعة الخلاف بين جند العراق، وهو ما نجحوا فيه بامتياز، لأن أفراد جيش الإمام كانت أهواؤهم مختلفة، ومواقفهم متذبذبة، وطاعتهم للإمام علي (عليه السلام) لم تكن كطاعة أهل الشام لمعاوية، لذلك استطاع معاوية فرض إرادته على أهل العراق، ساعده في تحقيق هذا الأمر تسارع بعض أصحاب الإمام إلى تنفيذ مطالب معاوية وتمرير خدعته برفع المصاحف، بفعل عدم فهمهم لأهداف معاوية وقصده منها، حتى أنهم اختاروا حكماً على شاكلتهم ممن يجهل

١- العليمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٧٠-٢٧١.

٢- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٧١.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

٤- المصدر نفسه والصفحة.

مرامي معاوية وعمرو بن العاص وأهدافه، لذلك نراه يخدع بسهولة، ويمر مخطط معاوية بنجاح من خلالهم. بعد ذلك يستثمر معاوية هذا الأمر ليحاول تقوية أمره عن طريق إرسال جيوش من المقاتلين لمهاجمة بعض المدن المهمة الواقعة تحت حكم الإمام علي (عليه السلام)، فقد جهز سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر لقتال محمد بن أبي بكر، فقاتله وهزمه، وتمكن من قتل محمد بن أبي بكر وأحرق جثته بالنار، ودخل عمرو إلى مصر وبايع أهلها لمعاوية، ولما بلغ عائشة قتل أخيها جزعت عليه وبقيت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو بن العاص، وضمت عيال أخيها إليها، ولما بلغ الإمام علي (عليه السلام) مقتله جزع عليه وقال: عند الله نحتسبه^(١).

وفي سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م، سیر معاوية بسر بن أرطأة^(٢) في عسكر إلى الحجاز فأنتى المدينة وبها أبو أيوب الأنصاري عاملاً للإمام علي (عليه السلام) عليها، فهرب ولحق بالإمام إلى الكوفة، ودخل بسر المدينة وسفك فيها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية^(٣). سار بعدها إلى اليمن فقتل ألوفاً من الناس، فهرب منه عبيدالله بن العباس عامل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) باليمن، فوجد بسر ابنين لعبيدالله فذبجهما^(٤).

وتعد مثل هذه الأعمال من الأعمال الوحشية التي يرتكبها إنسان يدعي أنه مسلم

١- العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ٢٧١-٢٧٢.

٢- بسر بن أرطأة: بضم الباء وسكون السين ويقال ابن أبي أرطأة، واسمه عمرو بن عويمر بن عمران القرشي العامري، نزيل الشام، شهد صفين مع معاوية وكان شديداً على علي وأصحابه، كما قيل بأنه توفي في المدينة أيام معاوية، وقيل توفي في الشام أيام عبد الملك بن مروان. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١/ ص ٢١٣.

٣- العليمي، التاريخ المعبر، ج ١/ ص ٢٧٢-٢٧٣.

٤- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٧٣.

يقوم بقتل الناس من أجل السلطة، فضلاً عن قيامه بذبح الأطفال ويعد هذا العمل من الجرائم الإنسانية الكبيرة التي لا ترضى بها أي شريعة أودين، إلا أن معاوية وقواده كبسرٍ وعمرو بن العاص فعلوا ما هو أكثر من ذلك طلباً للسلطة، ومخالفة للحق الذي يمثله الإمام علي (عليه السلام).

وبعث معاوية سراياه بالغارات على بعض أعمال علي، فتقوم بنهب الأموال وترجع إليه، وتهزم الناس، وتتابع الغارات على بلاد علي (عليه السلام)^(١)، كل ذلك لأجل إثارة الفرع والخوف بين صفوف الناس في ظل خلافة الإمام علي (عليه السلام). وحين يطلب الإمام علي من الناس أن تخرج لحرب معاوية يتقاعسون عنه ولا يخرجون^(٢). وحين كان الإمام علي (عليه السلام) يحاول حرض الناس على المسير إلى قتال معاوية يتقاعدون ويقولون: نستريح ونصلح عدتنا^(٣).

ولم يكن أمام الإمام علي (عليه السلام) حل لهذا التقاعس من قبل جنوده، ولم يجد له وسيلة وكأنّ الناس قد جزعت من الحرب أو سرى بينهم الخوف، أو انعدمت منهم الطاعة لإمامهم، فكان الإمام (عليه السلام) يقنت بالصلاة ويدعو على معاوية وعلى عمرو بن العاص وغيرهم^(٤). وهذا يدل على أنّه لا حيلة للإمام علي (عليه السلام) أمام جزع أصحابه وعدم طاعتهم له، على الرغم من أنّهم يعلمون أنّه الأحق بالخلافة والإمام المفترض الطاعة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى إن حرب الإمام (عليه السلام) في معركة صفين لم

١- العليمي، التاريخ المعترف، ج ١/ ص ٢٧٢.

٢- المصدر نفسه والصفحة.

٣- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٧١.

٤- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٧٢.

تذكرها المصادر الشامية المعتمدة في البحث إلا (التاريخ المعتمد) وكذلك الحال في معركة الجمل، فقد أشارت إليها المصادر الشامية بإشارات بسيطة وقليلة دون ذكر أحداثها بشكل مفصل لأن المدرسة الشامية مدرسة أموية ولا تجبذ ذكر انتصارات الإمام علي (عليه السلام).

حربه مع المارقين (الخوارج) سنة ٣٧هـ/٦٥٧م

لم تتطرق المصادر الشامية إلى ذكر حرب الإمام مع الخوارج إلا بإشارات قليلة وعند مؤرخ واحد، فيما عدا ذلك لم نجد لهذه الحرب ذكراً ولا حتى إشارة عابرة، ولا نعلم السبب في ذلك، فقد أشار (العليمي) إلى أنه لما اعتزلت الخوارج علياً (عليه السلام) دعاهم إلى الحق فامتنعوا وقتلوا كل من أرسله إليهم وكانوا أربعة آلاف ووعظهم ونهاهم عن القتال ففرقت منهم جماعة وبقي مع عبدالله بن وهب^(١) جماعة على ضلالتهم وقاتلوا فقتلوا عن آخرهم، ولم يقتل من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) سوى سبعة أنفس أولهم يزيد بن نويرة^(٢) وهو ممن شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غزوة أحد^(٣).

١- عبدالله بن وهب: وهو من بني راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر بن الأزدي، شهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، ثم كان مع الامام علي في حروبه، فلما وقع التحكيم أنكره الخوارج واجتمعوا بالنهروان وقد أمر عليهم عبدالله بن وهب، وكان عجباً في كثرة العبادة حتى لُقّب ذا الثنات وذلك لكثرة سجوده. وقد قتل في معركة النهروان. ابن حجر، الاصابة، ج ٥/ ص ٧٨.

٢- يزيد بن نويرة: هو أول قتيل قتل من أصحاب علي يوم النهروان وهو من الأنصار، شهد له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجنة مرتين. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١/ ص ٢١٨.

٣- العليمي، التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٧١.

المبحث الثالث

استشهاده (عليه السلام) ودفنه وموضع قبره

استشهاد الإمام (عليه السلام)

وردت روايات عدة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تؤكد على استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وعظيم جرم قاتله، وهذا يدل على المكانة العظيمة للإمام ومنزلته عند الله سبحانه ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن هذه الروايات قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((يا علي ستقتلك الفئة الباغية، وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني))^(١).

وكذلك ورد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): ((من أشقى الناس من الأولين؟ قال: عاقر الناقة^(٢))، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله

١ - الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٦٠. وينظر أيضاً: المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ٥ / ص ٦٣٥.
٢ - عاقر الناقة: هو عاقر ناقة النبي صالح (عليه السلام) وأسمه قُدار بن سالف الذي يُقال له أحمر ثمود، ولهذا سمّت العرب الجزار قُدار تشبيهاً لقُدار عاقر ناقة صالح، وقوم صالح هم ثمود. الجوهري، الصحاح، ج ٢ / ص ٧٨٧.

أعلم، قال: قاتلك))^(١).

ويؤكد (ابن طولون) أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر الإمام علياً (عليه السلام) ((بأنه سيقتل، ونقلوا عنه آثاراً كثيرة تدل على أنه علم السنة والشهر والليلة التي يُقتل فيها))^(٢).

وكان الإمام علي (عليه السلام) كثيراً ما يقول: ((ما يحسب أشقاها، أو ما ينتظر، ثم يقول: لتخضبني هذه، ويشير إلى لحيته الكريمة، من هذه، ويشير إلى هامته))^(٣). كما روي عن جابر بن عبد الله أنّه قال: ((إنك امرؤ مستخلف وإنك مقتول، وإنّ هذه مخضوبة من هذه))^(٤).

وهذا كله يشير إلى أنّ الإمام (عليه السلام) كان مطلعاً على وقت وفاته وكيفيتها، وذلك بإخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المتكرر له، وإنّ أهم الأسباب التي تدفع إلى قتله هي مواقفه تجاه الباطل بأشكاله كلها، فكان (عليه السلام) موطناً نفسه على تقبل ذلك وانتظاره بصبر وشوق إلى لقاء ربه، بعد أن أضنته مواقف أغلب المسلمين المعاندة له والتي كانت تفضل مصالحها الشخصية على مصلحة الإسلام. ويؤكد ذلك ما روي عن الإمام الحسن (عليه السلام) في الليلة التي استشهد فيها الإمام علي (عليه السلام) إذ قال: دخلت على أبي ليلة قتل صباحها فوجدته يصلي، فلمّا انصرف، قال: يا بني، إنّني بتّ البارحة أوقظ أهلي لأنّها ليلة الجمعة، صبيحة

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٢. وينظر أيضاً: ابو يعلى، مسند ابي يعلى، ج ١/ ص ٣٧٧؛

الهيثمي، المقصد العلي، ج ٣/ ص ١٩١.

٢- الائمة الاثنا عشر، ص ٥٧.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٢.

٤- المصدر نفسه، ج ١٠/ ص ٥٥٨.

قدر لسبع عشرة من رمضان فملكنتني عينا، فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أمتك من اللأواء^(١) واللدد^(٢)؟ فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم من هو شر مني، قال الحسن: فبينما هو يحدثني إذا جاء مؤذنه ابن التياح^(٣) فأذنه بالصلاة، فلما خرج المؤذن بين يديه، ونادى بالصلاة اعترضه ابن ملجم))^(٤).

وذكر أنه كان مع ابن ملجم شخص يدعى شبيب^(٥)، ضرب الإمام هو الآخر ولم يصبه لأن ضربته كانت في الطاق^(٦)، وكان سيف ابن ملجم مسموماً، ونادى علي: لا يفوتنكم الرجل، فشد الناس عليهما في كل ناحية فهرب شبيب، وقبض علي ابن ملجم، فقال علي (عليه السلام): ((أطعموه واسقوه، فإن عشت فأنا وليّ دمي فإن

١- اللأواء: هي الشدة والبلية. الفراهيدي، العين، ج ٨/ ص ٣٥٤.

٢- اللدد: هو شدة الخصومة. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥/ ص ٢٠٣.

٣- ابن التياح: وقيل هو عامر بن النباح، مؤذن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد دخل على الامام (عليه السلام) فجر يوم ضرب وقال له الصلاة، وروى عن علي (عليه السلام) في المكتبة حديثاً قال: كاتب فأتيت علياً فقلت إني قد كاتبت فقال هل عندك شيء، فقلت: لا، فقال: اجمعوا لأخيكم، قال: فجمعوا لي مكاتبتي وفضلت فضلة فأتيت بها علياً فقال اجعلها في المكاتبين. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦/ ص ٢٣٣.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٣. ينظر أيضاً: الأجرى، الشريعة، ج ٤/ ص ٢١٠٥؛ اللالكائي، كرامات الاولياء، ج ٩/ ص ١٣٣.

٥- هو شبيب بن بجرة الاشجعي الخارجي، اشترك مع ابن ملجم في قتل الإمام علي (عليه السلام). الدار قطني، المؤلف والمختلف، ج ١/ ص ٢٥١.

٦- الطاق: هو عقد البناء حيثما كان، والجمع أطواق. ابن سيده، المخصص، ج ١/ ص ٥٠٦هـ.

شئت أن أعفو أو أقتص، قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(١). وإن متّ فاقتلوه كما قتلني ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢)^(٣). ولنا أن ننظر إلى مدى تسامح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وعدله حتى مع قاتله، فهو في حاله هذه ويوصي بقاتله خيراً، وأن لا يعتدوا عليه أو يمثلوا به. وواقع الأمر أن ذلك ليس بغريب عمن ربّته الرسالة المحمدية، وغدّته يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن نذر نفسه للإسلام فداءً منذ أن شب في بيت الوحي.

وقد روي إنه انتدب ثلاثة من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبدالله التميمي^(٤)، وعمرو بن بكر التميمي^(٥)؛ فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا على قتل الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، فقال ابن ملجم: أنا لعلي، وقال البرك: أنا لمعاوية، وقال الآخر: أنا لعمرو، وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا ليلة عشرة من رمضان سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م، فتوجّه كلّ واحد إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله، فضرب ابن ملجم عليّاً بسيف مسموم في جبهته، فأوصله إلى دماغه في الليلة المذكورة

١- المائة: ٤٥.

٢- البقرة: ١٩٠.

٣- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٧٣.

٤- البرك: هو الحجاج بن عبدالله من بني سعد بن زيد بن مناة والمعروف بالبرك، وهو أول من عارض في التحكيم لما سمع بذكر الحكمين في صفين، وخرج عن الفريقين. الزركلي، الاعلام، ج ٢ / ص ١٦٨

٥- عمر بن بكر التميمي: وهو ابو الجعد الضمري من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، اختلف في اسمه فقبيل اسمه دارع وقيل جنادة وقيل عمرو بن بكر، قتله عمرو بن العاص سنة ٤٠ هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤ / ص ١٦٢٠.

ليلة الجمعة، ولما ضربه ابن ملجم قال: فزت، وربّ الكعبة^(١).

أما البرك فإنه ذهب لمعاوية فطعنه بخنجر في إيته وهو قائم يصلي فأخذ وأوقف بين يديه، فقال له: ويلك من أنت؟ وما خبرك؟ فقال له: لا تقتلني فإننا ثلاثة تبايعنا على قتلك وقتل علي وعمرو فاحبسني عندك فإن كانا قتلا فخلي سبيلي فأمر معاوية بقتله فقتل في ذلك اليوم^(٢).

في حين انطلق عمرو بن بكر التميمي إلى عمرو بن العاص ليقتله، فوجد خارجه ابن حبيبة^(٣) صاحب شرطته يصلي بالناس، لتخلف عمرو عن الصلاة لعارض عرض له، فظنّ أنّه عمرو فضربه بالسيف فقتله، فأخذ وأوقف بين يدي عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره أنّ علياً ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة، فأمر به أن يقتل، ولما قُدم للقتل جزع، فقيل له: أتجزع من الموت وقد قدمت على هذا الفعل؟ فقال: لا والله ولكن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز بقتل عمرو، فأمر عمرو بضرب عنقه وصلبه^(٤).

وهذه الرواية تشير إلى إصرار هؤلاء الخوارج وتصميمهم على قتل أمير المؤمنين

١- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٣-٢٧٤؛ العلمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٧٣-٢٧٥؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٧-٥٨؛ ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ٨٦. مع اختلاف في النص.

٢- العلمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٧٦.

٣- خارجه بن حبيبة: هو خارجه بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله، أسلم قديماً وصحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم خرج فنزل مصر وكان قاضياً لعمرو بن العاص وظل حتى قتله عمرو بن بكر سنة ٤٠ هـ. ابن سعد، الطبقات، ج ٧/ ص ٤٩٦.

٤- العلمي، التاريخ المعتبر، ج ١/ ص ٢٧٦.

علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص لأنهم اعتقدوا أنهم السبب في شق عصا الطاعة للمسلمين، بينما كان السبب الحقيقي هو أطماع معاوية بالخلافة ومساندة عمرو بن العاص له في مساعيه هذه على حساب المصلحة العامة للإسلام ووحدة الصف المسلم، فالإمام بويح بإجماع من حضر من المسلمين في المدينة آنذاك باستثناء نفر قليل، ثم بدأت أطماع الطامعين في الخلافة تشكل حجر عثرة أمام الإمام في مسعاه لإقامة دولة الحق والعدالة، فبدأ أصحاب الجمل بنكث البيعة، ثم قام معاوية بعدما كان السبب الرئيس في شق صفوف المسلمين برفعه للمصاحف، وانطلاء الحيلة على جمع من أصحاب الإمام ممن لا يفهمون من الإسلام شيئاً، فأغراهم رفع المصاحف بأن معاوية يريد حكم القرآن بينه وبين الإمام علي (عليه السلام)، بينما هو يريد أن يشق صفوفهم، وحين امتنع الإمام عن القبول أجبره هؤلاء - ومن ضمنهم الثلاثة عبد الرحمن والبرك وعمرو - على قبول التحكيم، فلما جاءت النتيجة غير متوافقة مع فكرهم، انتفضوا على الإمام وحملوه مسؤولية هذه النتيجة، وتناسوا أنهم السبب الرئيس في المشكلة، وهذا هو ديدن الجهلاء، فهم دائماً يلقون بالمسؤولية على عاتق غيرهم على الرغم من كونهم المسببين لها.

وتذكر المصادر إن رجلاً من القوم قال: ((ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(١).

وهذا النص غير دقيق لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل الإمام علياً (عليه السلام) ولياً من بعده في بيعة الغدير، ولم يترك المسلمين هكذا دون أن يعين لهم من يتولى أمرهم، أما الإمام فلم يجعل من بعده على المسلمين.

وصيته للإمام الحسن (عليه السلام)

أوصى الإمام علي (عليه السلام) حين حضرته الوفاة الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ((بتقوى الله عز وجل وبالصلاة والزكاة والصيام، وغفر الذنوب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجاهل،، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، وتلاوة القرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش، ووصاهما بأخيها محمد بن الحنفية، ووصاه بما وصاهما به، وأن يعظهما ولا يقطع أمرأ دونهما، وكتب ذلك كله في كتاب وصيته))^(١).

وقد نقل (الشامي) نص وصية الإمام (عليه السلام) بقوله: ((بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣)، أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم، وطاعته، وحسن عبادته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤)، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٥)، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام وانظروا إلى

١- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٤.

٢- التوبة: ٣٣.

٣- الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

٤- آل عمران: ١٠٢.

٥- آل عمران: ١٠٣.

ذوي رحمكم فصلوهم ولا تبغوا الدنيا، ولا تبكوا على ما زوى^(١) عنكم منها، وقولوا الحق وارحموا اليتيم، وكونوا للظالم خصماً، وللمظلوم نصراً، واعملوا بما في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ولا يأخذكم في الله لومة لائم، ثم ليهون عليكم الحساب، والله في الصلاة، فإنها عمود دينكم، والله في الجهاد في سبيل الله تعالى بأموالكم وأنفسكم، الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله في ذرية نبيكم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بأهل بيته وأصحابه، والله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله في ما ملكت أيانكم ولا تخافن في الله لومة لائم، يكفكم الله - عز وجل - من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، كما أمركم الله - عز وجل -، ولا تتركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيولي الأمر لشاركم، ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم، وعليكم بالتواصل والتبادل، وإيّاكم والتدابير والتقاطع والتفرق ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم بيتكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، ولما احتضر جعل يكثر من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا إله إلا الله لا يقول غيرها حتى قبض، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل إن آخر كلامه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣) ((٤)).

١- زوى: هو أصل يدل على إنضمام وتجمع، يقال: زويت الشيء: جمعته، ومعنى ما زوى عنكم: أي ما جمع وقبض. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣/ ص ٣٤.

٢- المائدة: ٢.

٣- الزلزلة: ٧-٨.

٤- سبل الهدى، ج ١/ ص ٢٧٤-٢٧٥.

أمّا مصير ابن ملجم فقد أشار (العليمي) إلى أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) صلى الفجر - بعد وفاة الإمام علي (عليه السلام) - وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم انطلق فحمد الله وأثنى عليه واحتسب عند الله مصابه ووعظ ثم أطرق فبكى الناس بكاءً شديداً ثم نزل (عليه السلام) فجرد سيفه ودعا بابن ملجم ثم قام إليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع فيه السيف فقتله^(١).

وقد أشار (العليمي) أيضاً إلى روايات أخرى بخصوص مقتل ابن ملجم، منها إنّ عبدالله بن جعفر قال: ((دعوني حتى أشفي نفسي منه، فقطع يديه ورجليه وأحمى مسماراً حتى صار كالجمرة ثم أكحله به ثم إن الناس أخذوه فدرجوه في بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوها بالنار))^(٢).

ويبدو لنا أنّ هذه الرواية بعيدة عن الواقع، كون أهل البيت (عليهم السلام) لا يمكن أن يقدموا على التمثيل بأسير في أيديهم لأنّ هذا العمل ينافي تعاليم الدين الحنيف ووصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن أنّها ضد وصية الإمام علي (عليه السلام)، وقد كان أوصاهم بالرفق فيه وإطعامه، وإذا قتل فضربة بضربة، فكيف يُقدم عبدالله بن جعفر على مخالفة وصية عمه (عليه السلام).

تاريخ وفاة الإمام (عليه السلام)

اختلفت المصادر الشامية فيما بينها بخصوص الليلة التي توفي بها ومقدار عمره الشريف، فقد ذكر (الشامي) ثلاثة تواريخ ولم يرجح بينها، فقال بأنّ الإمام (عليه السلام) توفي ليلة الأحد السابع والعشرين، وقيل التاسع والعشرين، وقيل التاسع

١- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٧٥-٢٧٦.

٢- المصدر نفسه، ج ١/ ص ٢٧٦.

عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة^(١). فيما ذهب (العليمي) إلى القول بأنه (عليه السلام) توفي ليلة الأحد تاسع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة^(٢).

وذهب (ابن طولون) إلى القول بوفاته (عليه السلام) في ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان^(٣).

وذكر (ابن زهرة) أنّ ابن ملجم ضربه ليلة التاسع عشر من رمضان، وقُبض (عليه السلام) في الليلة الحادية والعشرين منه ودفن ليلاً في الغري^(٤).

والملاحظ من هذه الروايات أنّ أكثر المصادر ذهبت إلى أن وفاته كانت ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان من سنة أربعين للهجرة.

ويبدو أنّ الرأي الراجح إنّ ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان هي ليلة وفاته لأنّ أغلب المصادر الشامية ذكرت ذلك وأكدته.

أمّا تقدير عمره الشريف فقد كان محل اختلاف بين المؤرخين الشاميين، فقد ذكر (ابن طولون) عدة تواريخ منها أنّ عمره الشريف سبع وخمسون سنة، وثمان وخمسون، وثلاث وستون، وخمس وستون، وتسع وستون، إلّا أنّه رجح أن يكون ثلاثة وستين

١- سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٧٥.

٢- الأنس الجليل، ج ١ / ص ٢٦٩.

٣- الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨.

٤- غاية الاختصار، ص ١٥٩-١٦٠.

عاماً، قائلاً: إنّه الأصح^(١). وإلى ذلك ذهب (الشامي)^(٢) و(العليمي)^(٣)، فيما ذكر (ابن عبد الهادي)، أن عمره الشريف كان ثماناً وخمسين سنة^(٤).

ويبدو لنا أنّ الرأي الراجح هو أنّ عمره الشريف هو ثلاث وستون سنة، لأنّ أغلب المصادر ذكرت ذلك ومالت إليه.

تغسيل الإمام (عليه السلام) ودفنه وموضع قبره

أشارت أغلب المصادر الشامية إلى أنّ من تولى غسل الإمام علي (عليه السلام) هما ابنه الحسن والحسين (عليهما السلام)، وعبد الله بن جعفر ((وكفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، وكان عنده شيء من حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى أن يحنّط به فحنّطوه به - وصلى عليه الحسن، ودفن في الكوفة عند قصر الإمارة، وغمّي قبره))^(٥).

واختلفت الروايات في موضع قبره الشريف، فذكر (العليمي) روايات عدة منها: أنّ الإمام دفن مماليق قبلة المسجد بالكوفة، أو عند قصر الإمارة، وذكر أيضاً أنّ الحسن (عليه السلام) حوّلته إلى المدينة ودفنه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة (عليها

١- الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨.

٢- سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٧٥.

٣- التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٢٧٥.

٤- الشجرة النبوية، ص ١٦٩.

٥- ينظر: الشامي، سبل الهدى، ج ١٢ / ص ٢٧٥؛ ابن طولون، الأئمة الاثنا عشر، ص ٥٨. وينظر أيضاً: ابن عبد الهادي، الشجرة النبوية، ص ١٦٩؛ العلّيمي، التاريخ المعتمد، ج ١ / ص ٢٧٥. مع اختلاف بالنص.

السلام)، كما ذكر أن موضع قبره هو المشهور بالنجف وهو الذي يزار اليوم^(١).

كما أشار ابن زهرة إلى الاختلاف في موضع قبره (عليه السلام)، إلا أنه رجح أن يكون في الموضع المشهور الذي يزار فيه اليوم^(٢)، وأكد ذلك في رواية عن عبدالله بن جعفر أنه سُئِل: ((أين دفنتم أمير المؤمنين، قال: خرجنا حتى إذا كنا بظهر النجف دفناه هناك))^(٣).

كما ذكر (الشامي) رواية مفادها: ((إن عليًا صبر في صندوق وكثروا عليه من الكافور، وحمل على بعير يريدون به المدينة، فلمّا كان ببلاد طيء أضلّوا البعير ليلاً، فأخذته طيء ودفنوه، ونحروا البعير، ثم حولوا قبره بعد ذلك، وقيل: وأول من حوّل من قبر إلى قبر علي بن أبي طالب))^(٤). وهذه الرواية يصعب تصديقها كونها تدل على تغافل وعدم اهتمام آل البيت (عليهم السلام) بالجنّازة وأمير المؤمنين وبقية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ما لا يمكن تصوّره منهم.

إلا أنّ الراجح من هذه الروايات أن موضع القبر الشريف حيث محله اليوم وهو قبلة الزائرين ومحط رحالهم، لتواتر الأخبار الكثيرة عنه في المصادر الشامية والتي ذكرنا بعضها.

١- التاريخ المعتمد، ج ١/ ص ٢٧٥.

٢- غاية الاختصار، ص ١٦٠.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

٤- سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٥.

إخفاء موضع القبر الشريف وإظهاره

لقد عُنِّي قبر الإمام علي (عليه السلام) إلى أن ظهر حيث مشهده الآن^(١)، وقد ثبت أن الأئمة زين العابدين علي بن الحسين وجعفر الصادق وابنه موسى (عليهم السلام) زاروه في هذا المكان، ولم يزل القبر مستوراً لا يعرفه إلا خواص أولاده ومَن يثقون به بوصية كانت منه لما علمه من دولة بني أمية من قبح اعتقادهم بعداوتة وما ينتهون إليه من قبح الفعال والمقال بما تمكنوا من ذلك، فلم يزل قبره مخفياً حتى كان زمان الخليفة هارون العباسي (١٧٠-١٩٣ هـ/ ٧٨٦-٨٠٨ م) فإنه خرج ذات يوم إلى ظهر الكوفة يتصيد هناك حمراً وحشية وغزلان فكان كلما ألقى الصقور والكلاب عليها لجأت إلى كتيب رمل هناك فترجع عنها الصقور والكلاب، فتعجب هارون من ذلك ورجع إلى الكوفة وطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ الكوفة أنه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فيحكى أنه خرج ليلاً إلى هناك ومعه علي بن عيسى الهاشمي وأبعد أصحابه عنه وقام يصلي ويبكي ويقول: يا ابن عمي والله إنِّي لأعرف فضلك ولا أنكر حقك، ولكن ولدك يخرجون عليّ ويقصدون قتلي وسلب ملكي إلى أن قرب الفجر وعلي بن عيسى نائم، فما أن قرب الفجر أيقظه هارون وقال له: قم فصل عند قبر ابن عمك، قال وأي ابن عمي هو؟ قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقام علي بن عيسى فتوضأ وصلى وزار القبر، ثم إن هارون أمر فبنى عليه قبة وأخذ الناس في زيارته والدفن لموتاهم حوله، إلى أن كان زمن عضد الدولة ابن بويه الديلمي (٣٣٨-٣٧٢ هـ/ ٩٤٩-٩٨٢ م) فعمره عمارة عظيمة وأخرج على ذلك أموالاً جزيلة، وعيّن له أوقافاً^(٢).

١- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص ١٦٠.

٢- المصدر نفسه، ص ١٦٠-١٦١.

ووصف ابن زهرة شكل عمارته وأسلوب بنائه فقال: ((ولم تزل عمارته إلى سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م، وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة، وجددت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن، وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل وقبور آل بويه هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق))^(١).

فيما أشار (العلمي) أنّ عضد الدولة البويهبي هو الذي أظهر قبر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالكوفة، وبنى عليه المشهد وأوصى بدفنه فيه، ويذكر أنّه حين مات دفن ببغداد ثم نقل إلى الكوفة ودفن بالمشهد الشريف^(٢).

رثاؤه (عليه السلام)

إنّ فقدان شخص كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لا بد وأن يترك في نفوس الكثيرين ألماً وحسرة كبيرة، فقد روي أنّ أبا الأسود الدؤلي^(٣) ارثى الإمام عليّاً (عليه السلام) بقصيدة قال فيها^(٤):-

١- ابن زهرة، غاية الاختصار، ص ١٦١.

٢- التاريخ المعتبر، ج ٣/ ص ١١٢.

٣- هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن جلس الدؤلي، من سادات التابعين وأعيانهم، صحب الإمام عليّاً (عليه السلام) وشهد معه وقعة صفين، وهو أول من وضع قواعد علو النحو، وقيل إنّ عليّاً (عليه السلام) وضع له الكلام على ثلاثة أضرب اسم وفعل وحرف، ثم دفعه إليه وقال: تم على هذا. توفي بالبصرة سنة ٦٩هـ بالطاعون الجارف وعمره ٨٥ سنة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧/ ص ٦٩.

٤- الشامي، سبل الهدى، ج ١٢/ ص ٢٧٦. وينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠/ ص ٢١٦.

ألا يا عينُ ويحكِ أسعدينا
وتبكي أمُّ كلثومٍ عليه
ألا قُلْ للخوارجِ حيث كانوا
أفي شهر الصَّيامِ فجعمونا؟
قتلتهم خيرَ من ركبِ المطايا^(١)
ومن لبس النعالِ ومن حذاها
وكلَّ مناقب الخيرات فيه
لقد علمتُ قريشٌ حيث كانت
إذا استقبلت وجهَ أبي حسينِ
وكنَّا قبلَ مقتلهِ بخيرِ
يقيمُ الحقَّ لا يرتاب فيه
وليس بكاتمِ علما لديه
كانَّ النَّاسُ إذ فقدوا عليا
فلا تشمت معاوية بن صخر
وقل للشامتينَ بنا أفيقوا

ألا تبكي أمير المؤمنين
بعبرتها وقد رأت اليقينا
فلا قُرت عيون الحاسدينا
بخير النَّاس طرًّا أجمعينا
وذللها، ومن ركب السفينا
ومن قرأ المثاني والمبينا^(٢)
وحبَّ رسول ربِّ العالمينا
بأنك خيرهم حسباً ودينا
رأيتَ البدرَ فوق الناظرينا
نرى مولى رسول الله فينا
ويعدل في العدى والأقربينا
ولم يخلق من المتكبرينا
نعام^(٣) حار في بلدِ سنينا
فإن بقيّة الخلفاء فينا
سيلقى الشامتون كما لقينا

١- المطايا: هو البعير الذي يمتطى ظهره وجمعه المطايا. الازهري، تهذيب اللغة، ج ١٤ / ص ٣٢.

٢- المثاني: هي آيات فاتحة الكتاب، وقيل هي سور أولها البقرة وآخرها براءة، وقيل أن القرآن كله مثاني لأن القصص والأنبياء تنثى فيه، والثني ضم واحد إلى واحد. الفراهيدي، العين، ج ٨ / ص ٢٤٣.

٣- النعام: أسم يلزم الإبل خاصة، يذكر ويؤنث. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢ / ص ٩٥٣.

الخاتمة وأهم الاستنتاجات

من المنصف القول إنّه على قدر المشقة التي واجهتنا في كتابة هذه الرسالة فقد وجدتُ سروراً خاصاً بالكتابة عن الإمام علي (عليه السلام) وهو شرف كبير، والبحث عن شخصيته بجدية وحرص، ومحاولة تقديم شيء جديد وإن كان بسيطاً فهو لذة علمية لا أجد ما يماثلها شيء، فقد كرست هذه الرسالة لدراسة حياة الإمام علي (عليه السلام) في المصادر الشامية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وما يتصف به من خلق رفيع ينم عن هذه الشخصية العظيمة التي جسدت أروع ملاحم البطولة والتضحية في سبيل الإسلام، وهي الأكثر تميزاً ونتاجاً بعد عقلية وشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

١. نشأ الإمام (عليه السلام) في ظل أسرة عظيمة اتسمت بآداب سامية، وتربى في بيت النبوة، ونشأ قوي البنيان صبوراً وشجاعاً، وذا عقيدة ثابتة، وفكر إسلامي متنوّراً مما جعله يرتقي نحو مكارم الأخلاق؛ فاتصف بالفضائل والخصائص التي جاءت في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة وكلام الماضين.

٢. بينت المصادر الشامية أنّ شخصية الإمام (عليه السلام) أدت دوراً كبيراً في مسيرة الإسلام ولاسيماً في المراحل الأولى؛ فهو من المؤمنين الأوائل الذين وقفوا بجانب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وساندوه في بناء دولة الإسلام الجديدة، فضلاً عن ورود كثير من النصوص التي تشير إلى أنّه أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واعتنق الإسلام منذ صباه ونعومة أظفاره.

٣. أشارت أغلب المصادر إلى إنَّ الإمام علياً (عليه السلام) هو الحد الفاصل بين الإيمان والنفاق، وهذا واضح في أنه لا يحب الإمام (عليه السلام) إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، كما نصَّ على ذلك حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكَّدت المصادر الشامية أنَّ الإمام (عليه السلام) كان على قدر كبير من قوة العلم، وسعة الاطلاع إذ كان له إلمام بالقرآن وعلومه، وكان من أحد كتاب الوحي وحفاظه، وله اهتمام بالسنة، وهذا ما ورد في أحاديث للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كون الإمام علي (عليه السلام) من أعلم الصحابة وأفقههم من ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فيأت الباب).

٥. أكَّدت مصادر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي على أن زواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء إلهي، وجاء بأمر من السماء وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الزواج عن طريق جبرائيل، وذلك بقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): إنَّ الله عقد فاطمة لعلي في السماء.

٦. أشارت مصادر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بأنَّ الإمام علياً (عليه السلام) هو الامتداد الطبيعي والشرعي للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أظنَّت على ذلك آية المباهلة وأمر رسول الله بسدِّ الأبواب المشرعة في المسجد، وترك باب علي (عليه السلام).

٧. الإمام (عليه السلام) لم يكن رجلاً سياسياً وإدارياً فحسب؛ بل هو رجل عسكري لا مثيل له، وذلك بوضعه خططاً استراتيجية عسكرية ناجحة، فقد شارك في كل المعارك مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا غزوة تبوك، وإنَّ راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قبل بدء المعركة يرفع يده بالدعاء له ويشايعه، ويعممه، ويعطيه السيف، ولم يذكر المؤرخون الشاميون أنَّ أمير المؤمنين قد فر من إحدى المعارك،

فقد كان كراراً غير فرار، ويدافع عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الوقت الذي يفرّ فيه قسم من الصحابة كما في معركة أحد. إذ حقق الإمام (عليه السلام) الانتصارات في كل المعارك التي خاضها ضد أعداء الإسلام.

٨. لم تلتزم الأمة الإسلامية بوصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا سيما فيما يخص من يخلفه، فحدث الانقلاب الخطير الذي ما زالت تبعاته تلقى على الأمة الإسلامية بضالها؛ فكان موقف الإمام (عليه السلام) الصبر على ما حصل، ولم يعمل على شق عصا المسلمين، ونراه صابراً يقدم النصح والمشورة، وكان هذا واضحاً من خلال وقوفه إلى جانب الخلفاء في كل صغيرة وكبيرة، وهم - أي الخلفاء - لم يستغنوا عن علمه لأنّه باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب إذا وقعت تحت يديه قضية من معضلات القضايا قال: ادعوا لي علياً وقال: لا أبقاني الله بأرض ليس فيها أبو الحسن، وكذلك الخليفة عثمان كان يأخذ أحكام الإمام (عليه السلام) الإلهية - لأنها مستمدة من القرآن والسنة.

٩. إنّ الإمام علياً (عليه السلام) لم يطلب الخلافة يوماً، ولم تغره أبداً، وكان هدفه الحفاظ على وحدة الصف الإسلامي، علماً بأنّ المصادر الشامية لم تذكر الأحداث التي سبقت بيعة الإمام (عليه السلام)، والظروف التي المّت بالأمة الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، سوى البيعة للإمام (عليه السلام) في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويمكن القول بأنّ الحقبة التي حكم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت من أصعب الحقب التاريخية التي مرّت بها الدولة الإسلامية، فهي صعبة وغير مستقرة، وفيها كثير من الاضطرابات المتمثلة بحرب الجمل، وصفين، وقتال الخوارج في النهروان، وقد أدّت إلى إعاقة الإمام (عليه السلام) عن تطبيق مشروع الإصلاح للبلاد، لكنه بالرغم من ذلك استطاع أن يخلق النموذج المثالي لإدارة الدولة من

خلال تشريعاته، وقوانينه المستمدة من حكم القرآن والسنة النبوية الشريفة. ولهذا كان الإمام (عليه السلام) النموذج الأمثل في إدارة الدولة، وحقق الحكم الإلهي في مقاومة الظلم، وكان يوصي أمراء جيشه أن لا يجهزوا ولا يبدءوا القتال حتى يبدأه الخصم، ولا يأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا يكشفوا عورة، ولا يجهزوا على جريح، ولا يتعرضوا لطفل أو امرأة أو شيخ.

١٠. قامت سيرة الإمام علي (عليه السلام) خلال فترة خلافته على العدل والمساواة، فاتخذ منهجاً سوياً بين أفراد المجتمع المسلم، ومراعاة الناس بشتى طوائفهم ودياناتهم، وكانت سياسة الإمام (عليه السلام) المالية تمثل سياسة الرجل الاقتصادي البارح بوضع خطط لاستثمار موارد الدولة، وتنميتها، وإدارة عطائها، وهي سياسة مالية رصينة أحيت الوضع الاقتصادي في الدولة في عهده، وكان ذلك واضحاً من خلال تعامله مع ما يرد إليه من أموال مختلفة المصادر تشكل إيرادات بيت المال، إذ لم يترك منها شيئاً حتى يقسمه ويكنس بيت المال، وكان يشجع المسلمين على إحياء الأراضي الموات، وزراعتها، وبادر (عليه السلام) إلى المحافظة على المال العام وتنظيم شؤونه ولاسيما ما يتعلق بالأراضي الزراعية الخراجية.

١١. اعتمدت المصادر الشامية في سرد سيرة الإمام علي (عليه السلام) على أسلوب الاختصار والإيجاز في ذكر الحوادث والأحوال لتصل المعلومات إلى القارئ بسهولة ويسر، ظناً من المؤرخين إنها ذكرت في المصادر المتقدمة فلا حاجة إلى ذكرها بسرد مطول وشرح تفصيلي.

١٢. لقد استهوت الباحثة على وجه الخصوص كتابات المؤرخ محمد بن يوسف الشامي لأنه كتب عن الإمام (عليه السلام) بشكل يختلف عن أقرانه الآخرين، وذلك برواية أحاديث كثيرة للرسول تشيد بفضائل وبطولات ومناقب الإمام التي أحجمت عنها المصادر الأخرى، وأعطاه المنزلة والمكانة التي يستحقها،

وعلى الرغم من أنّ هؤلاء المؤرخين الشاميين قد تحدثوا عن جوانب مختلفة تخص الإمام (عليه السلام) وفضائله، وأثره العلمي، وحروبه، وغزواته، ودوره في الإسلام ومساندته للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووقوفه إلى جانبه في محن كثيرة تعرضت لها الدولة الإسلامية إلا أنّهم أشاروا بإشارات بسيطة إلى جوانب أخرى كانت تشكل الأهم في حياة الإمام (عليه السلام)، وهي حروب الجمل وصفين، علماً بأن المؤرخ الوحيد الذي ذكر هذه المعارك (الجمل وصفين والخوارج) وتعرض لها بشكل تفصيلي هو مجير الدين العليمي في مصنفه التاريخي (المعتبر في أبناء من غير). وقد اضطر الإمام (عليه السلام) إلى خوض مثل هذه المعارك في حال لم يكن يرغب فيه بحرب أو قتال ضد الذين خرجوا عليه.

١٣. ولا بد من الإشارة إلى أن الجوانب الكثيرة من المعارك والأحداث التي خاضها الإمام في الدورين المكي والمدني قد غيّبتها مصادر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وذلك لأن مذاهب مؤرخي القرن العاشر ومدرستهم الأموية هي التي حددت ووجهت كتاباتهم بهذا النمط. ولم يوجد مصدر واحد من بين هذه المصادر خاص بالإمام عن حياته، سيرته، معاركه... الخ، فهي كتب تتحدث عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن سيرة شخصيات أخرى من الصحابة والتابعين وتم اقتضاب نصوص تخص الإمام من تلك المصادر.

١٤. وبالرغم من ذلك وشحّة وتقصير المصادر الشامية في سردها حياة الإمام (عليه السلام) بكل جوانبها ومناحيها فقد أنتجت صورة لامعة ومشرقة للإمام بصفاته وفضائله الأخلاقية ونبوغه الفكري والاقتصادي والقضائي والعسكري وأدواره الاستثنائية في رفع راية الحق في دولة وضع حجرها الأساس وأقام بنيانها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا نصر يضاف إلى انتصارات الإمام ويسجل بأروع وأبهى حلة في صفحات التاريخ الإسلامي.

الملحق

مؤرخو بلاد الشام وأهم المصادر التي ترجمت لهم

الاسم	سنة الوفاة	أشهر مؤلفاته	موطنه	مصادر ترجمته
ابن عبد الهادي، جمال الدين يوسف بن حسن الصالحي الحنبلي	٩٠٩هـ / ١٥٠٣م	- الدررة المضية - العقد التمام - محض الصوراب	دمشق	البغدادي، إيضاح الكونون آليان سر كيس، معجم الطبوعات العربية
ابن زهرة، تاج الدين محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني الرافعي الحلبي	٩٢١هـ / ١٥١٥م	- غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية	حلب	آليان سر كيس، معجم الطبوعات البغدادي، إيضاح الكونون
العلمي، مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن المقدسي	٩٢٨هـ / ١٥٢٣م	- الإنس الجليل - التاريخ المعتبر - المنهج الأحمد	القدس	حاجي خليفة، كشف الظنون الزركلي، الاعلام

حاجي خليفة، كشف الظنون الغزي، الكواكب السائرة	حياة	- مجلي الخزن عن الحزون - النصائح المهمة - نسات الأسحار	/هـ ٩٣٦ ١٥٢٩ م	الشيخ علوان، علي بن عطية بن الحسن الفيتي الحموي
البغدادي، هدية المعارفين الزركلي، الأعلام	لبنان	- الرسالة الجعفرية - شرح الإرشاد - الرسالة النجمية	/هـ ٩٤٠ ١٥٣٣ م	الكركي، علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي العاملي
الطناحي، الموجز في مراجع التراجم والبلدان عبد العزيز بن إبراهيم، الدليل إلى المتون المفهية	دمشق	- سبل الهدى والرشاد - عقود الجان - مطلع النور	/هـ ٩٤٢ ١٥٣٥ م	الشمس الدين محمد بن يوسف الصالحي
حاجي خليفة، كشف الظنون الخيمي، فهارس علوم القرآن لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	دمشق	- الزهر البسام - مرشد المختار - وبل الغمام	/هـ ٩٥٣ ١٥٤٦ م	ابن طولون، شمس الدين أبو عبد الله الصالحي الدمشقي

الزركلي، الأعلام البغدادي، هدية العارفين	دمشق	-السفينة العراقية -نشر اللطائف -هداية الثقلين	/هـ ٩٦٣م	ابن عراق الكناني، شمس الدين أبو علي الكناني الدمشقي
البغدادي، هدية العارفين حاجي خليفة، كشف الظنون	حلب	- حدائق أحداق الأزهار - در الحبيب في تاريخ حلب - ربط الشوارد	/هـ ٩٧١م ١٥٦٣م	ابن الحنيلي، رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي
حاجي خليفة، كشف الظنون الزركلي، الأعلام	دمشق	- الدر النفيد - تختصر السير - المطالع البدرية	/هـ ٩٨٤م ١٥٧٦م	الغزي (الأب)، بدر الدين أبو البركات محمد بن عبدالله العامري الدمشقي

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

أولاً : المخطوطات

- الشيخ علوان، علي بن عطية بن الحسن الهيتي الحموي (ت ٩٣٦هـ)،
١ . نسمات الأسحار، د.ت.

ثانياً : المصادر الأولية

- إبراهيم الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)،
٢ . غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، ط ١، جامعة أم القرى،
مكة المكرمة ١٤٠٥هـ).
- الأبري، محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم أبو الحسن الأبري السجستاني
(ت ٣٦٣هـ)،
٣ . مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: جمال عزون، ط ١، الدار الأثرية، ٢٠٠٩.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)،
٤ . أسد الغابة، دار الفكر العربي، (بيروت ١٩٨٩).
- ابن الأجدابي، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد اللواتي (ت نحو ٤٧٠هـ)،
٥ . كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، تحقيق: السائح علي حسين، دار إقرأ
للطباعة والنشر والترجمة، الجماهيرية الليبية (طرابلس د.ت).

- الأجرى، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت ٣٦٠هـ)،
٦. الشريعة، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عمر سليمان الدميحي، ط ٢، دار الوطن،
(الرياض ١٩٩٩).
- أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت
٢٤١هـ)،
٧. فضائل الصحابة، تحقيق: الدكتور: وصي الله محمد عباس، ط ١، مؤسسة الرسالة،
(بيروت ١٩٨٣).
- ٨. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الارناؤوط - عادل مرشد وآخرون، ط ١،
مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠١).
- الأحمدي نكري، القاضي عبد النبي بن عبد السول (ت ق ١٢هـ)،
٩. دستور العلماء، عربيه من الفارسية: حسن هاني فحص، ط ١، دار الكتب العلمية،
(بيروت ٢٠٠٠).
- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد الغساني (ت ٢٥٠هـ)،
١٠. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس
للنشر، (بيروت د.ت).
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ)،
١١. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث، (بيروت
٢٠٠١).
- ١٢. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الرحمن السعدني، دار
الطلائع، د. ت.
- ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهير التميمي (ت ٢٨٢هـ)،
١٣. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين أحمد صالح البكري،
ط ١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، (المدينة المنورة ١٩٩٢).

- ابن الإعرابي، أبو سعيد بن الإعرابي أحمد بن محمد بن زياد البصري الصوفي (ت ٣٤٠هـ)،
- ١٤. معجم ابن الإعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط ١، دار ابن الجوزي، (السعودية ١٩٩٧).
- الأمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)،
- ١٥. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: د. ف. كرنكو، ط ١، دار الجليل، (بيروت ١٩٩١).
- الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ)،
- ١٦. الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٩٢).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)،
- ١٧. التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن د.ت).
- ١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، دار طوق النجاة (مصورة عن نسخة السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.
- البزاز، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد العتكي (ت ٢٩٢هـ)،
- ١٩. مسند البزاز المشهور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، ط ١ (بدأت ١٩٨٨ وانتهت ٢٠٠٩)، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة).
- ابن بطة العكبري، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن حمدان (ت ٣٨٧هـ)،
- ٢٠. الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وعثمان الأثيوبي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، (الرياض د.ت).

- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت ١٠٩٤هـ)،
٢١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- أبو بكر الخوارزمي، محمد بن العباس الخوارزمي أبو بكر (ت ٣٨٣هـ)،
٢٢. الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، (أبو ظبي ١٤٢٤هـ).
- أبو بكر الشافعي، أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي البزاز (ت ٣٥٤هـ)،
٢٣. كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، ط ١، دار ابن الجوزي، (الرياض ١٩٩٧).
- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)،
٢٤. المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د.ت.
- ٢٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط ٣، عالم الكتب، (بيروت ١٤٠٣هـ).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ)،
٢٦. انساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط ١، دار الفكر، (بيروت ١٩٩٦).
- ابن البيع، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)،
٢٧. المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٠).
- البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي (ت ٤٥٨هـ)،
٢٨. السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ٣، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٣).

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك (ت ٢٧٩هـ)،
٢٩. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب
الإسلامي، (بيروت ١٩٩٨).
- ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)،
٣٠. منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ.
- الجراوي، ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي التادلي (ت ٦٠٩هـ)،
٣١. (الحماسة المغربية)، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق:
محمد رضوان الداية، ط ١، دار الفكر، (بيروت ١٩٩١).
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو العباس القاهر بن عبد الرحمن
الجرجاني (ت ٤٧١هـ)،
٣٢. أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني
بجدة، د.ت.
- ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)،
٣٣. مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر احمد حيدر، ط ١، مؤسسة نادر، (بيروت ١٩٩٠).
- الجمحي، محمد بن سلام بن عبدالله الجمحي (ت ٢٣٢هـ)،
٣٤. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، (جدة د.ت).
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)،
٣٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط ٤، دار
العلم للملايين، (بيروت ١٩٨٧).
- الجياني، أبو علي الحسين بن محمد الغساني (ت ٤٩٨هـ)،
٣٦. ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين، تحقيق: الدكتور محمد زينهم
محمد عرب ومحمود نصار، دار الفضيلة، (القاهرة د.ت).
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤هـ)،

٣٧. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارناؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٨٨).
٣٨. الثقات، ط ١، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، (الهند ١٩٧٣).
٣٩. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط ١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (المنصورة ١٩٩١).
- ابن حبيب النيسابوري، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت ٥٤٠٦هـ)،
٤٠. عقلاء المجانين، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٨٥).
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (ت ٨٣٧هـ)،
٤١. ثمرات الأوراق، مطبوع بهامش كتاب المستطرف في كل مستظرف للشهاب الابشيهي، دار مكتبة الجمهورية، (مصر د.ت)
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،
٤٢. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العالمية، (بيروت ١٤١٥هـ).
٤٣. تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط ١، دار الرشيد، (حلب ١٤٠٦).
- ابن حديدة، محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري (ت ٧٨٣هـ)،
٤٤. المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورساله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، (بيروت د.ت).
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)،
٤٥. جمهرة انساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤٠٣هـ).
- الحصري، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري أبو اسحق القيرواني (ت ٤٣٥هـ)،

٤٦. زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجليل، (بيروت د.ت).
- ابن الحمصي، احمد بن محمد بن عمر الأنصاري (ت ٩٣٤هـ)،
٤٧. حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، ط ١، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ٢٠٠٠).
- الحميدي، أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى بن عبيدالله القرشي (ت ٢١٩هـ)،
٤٨. مسند الحميدي، تحقيق: حسن سليم أسد الداراني، ط ١، دار السقا، (دمشق ١٩٩٦).
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ)،
٤٩. معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، (بيروت ١٩٩٥).
- ابن الحنبلي، رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي (ت ٩٧١هـ)،
٥٠. در الحبيب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق: محمود حمد الفاخوري ويحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق ١٩٧٢).
- ابن خردذابة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت ٢٨٠هـ)،
٥١. المسالك والممالك، دار صادر، (بيروت ١٩٨٩).
- الخزرجي، أحمد بن عبدالله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي (ت بعد ٩٢٣هـ)،
٥٢. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٥، مكتب المطبوعات الإسلامية - دار البشائر، (حلب - بيروت ١٤١٦هـ).
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت ٣٨٨هـ)،
٥٣. غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ١٩٨٢.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)،
٥٤. تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت

١٤١٧هـ).

٥٥. المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق إيدن الحامدي، ط ١، دار القاري للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق ١٩٩٧).

• ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت ٦٨١هـ)،

٥٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت).

• الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف البلخي (ت ٣٨٧هـ)،

٥٧. مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب العربي، د.ت.

• الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي (ت ٣٨٥هـ)،

٥٨. المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبدالله عبد القادر، ط ١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٩٨٦).

• ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)،

٥٩. الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجليل، (بيروت ١٩٩١).

٦٠. جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين، (بيروت ١٩٨٧).

• أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي (ت ٢٧٥هـ)،

٦١. سؤالات أبي عبيد الآجري، تحقيق: محمد علي قاسم العمري، ط ١، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، (السعودية ١٩٨٣).

٦٢. سنن أبو داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (بيروت د.ت).

• أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ)،

٦٣. مسند أبو داود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر

- (مصر ١٩٩٩).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)،
٦٤. سير أعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة ٢٠٠٦).
 - الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت ٦٦٦هـ)،
٦٥. مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، المكتبة العصرية، (بيروت -
صيدا ١٩٩٩).
 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)،
٦٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط ١، شركة دار الأرقم بن أبي
الأرقم، (بيروت ١٤٢٠هـ).
 - ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)،
٦٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٥، دار
الجيل، (بيروت ١٩٨١).
 - ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (ت
٢٣٨هـ)،
٦٨. مسند ابن راهويه، تحقيق: الدكتور عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط ١،
مكتبة الإيمان، (المدينة المنورة ١٩٩١).
 - الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)،
٦٩. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،
د.ت.
 - ٧٠. حكمة الإشراف إلى كتاب الآفاق، ط ١، مطبعة المدني، (القاهرة ١٩٩٠).
 - الزبيري، مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ)،
٧١. نسب قریش، تحقيق: ليفي بروفتسال، ط ٣، دار المعارف، (القاهرة د.ت).
 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)،

٧٢. أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٨).
٧٣. الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، (لبنان د.ت).
- ابن زنجويه، أبو احمد حميد بن مخلد بن قتيبة الخراساني (ت ٢٥١هـ)،
٧٤. الأموال، تحقيق: الدكتور شاكر ذيب فياض، ط ١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (السعودية ١٩٨٦).
- ابن زهرة، المنسوب إلى السيد تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني (ت ٩٢١هـ)،
٧٥. غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تحقيق: العلامة محمد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف ١٩٦٣).
- سراج الدين ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن الوردي البكري القرشي المعري ثم الحلبي (ت ٨٥٢هـ)،
٧٦. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناقي، ط ١، مكتبة الثقافة الإسلامية، (القاهرة ٢٠٠٨).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ)،
٧٧. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد الطبقة الخامسة، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، ط ١، مكتبة الصديق، (الطائف ١٩٩٣).
٧٨. الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار صادر، (بيروت ١٩٦٨).
٧٩. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد الطبقة الرابعة، تحقيق: الدكتور عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، (الطائف ١٤١٦هـ).
- سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت ٢٢٧هـ)،
٨٠. سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط ١، الدار السلفية،

- (الهند ١٩٨٢).
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)،
٨١. إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت
٢٠٠٢).
 - ٨٢. الكنز اللغوي في اللسن اللغوي، تحقيق: أوغست هفنز، مكتبة المتنبى، (القاهرة
د.ت).
 - ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)،
٨٣. غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط ١، مطبعة دار المعارف العثمانية،
حيدر آباد الدكن، ١٩٦٤.
 - السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد الحسن الشافعي (ت ٩١١هـ)،
٨٤. وفاء الوفا بأخبار المصطفى، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤١٩هـ).
 - السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد (ت ٥٨١هـ)،
٨٥. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت
١٤١٢هـ).
 - ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ)،
٨٦. المحكم والمحيط الأعظم، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٠).
 - ٨٧. المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط ١، دار إحياء التراث العربي،
(بيروت ١٩٩٦).
 - الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢هـ)،
٨٨. سبل الهدى والرشاد، تحقيق: ج ١ وج ٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة
١٩٩٧).
 - ٨٩. سبل الهدى والرشاد، ج ٣، تحقيق: عبد العزيز عبد الحق حلمي، وزارة
الأوقاف، (القاهرة ١٩٩٧).

٩٠. سبل الهدى والرشاد، ج ٤ و ج ٦، تحقيق: إبراهيم التريزي وعبد الكريم الغرباوي، وزارة الأوقاف، (القاهرة ١٩٩٧).
٩١. سبل الهدى والرشاد، ج ٥، تحقيق: فهم محمد شلتوت والدكتور جودة عبد الرحمن هلال، (القاهرة ١٩٩٢).
٩٢. سبل الهدى والرشاد، ج ٧، تحقيق: الدكتور علي حسن محمود حبيبة، (القاهرة ١٩٩٧).
٩٣. سبل الهدى والرشاد، ج ٨، تحقيق: محمود زايد، (القاهرة ١٩٩٧).
٩٤. سبل الهدى والرشاد، ج ٩، تحقيق: حامد عبد المجيد وجودة أحمد سليمان، (القاهرة ١٩٩٧).
٩٥. سبل الهدى والرشاد، ج ١٠ و ج ١١، تحقيق: عبد المعز عبد الحميد الجزائر، (القاهرة ١٩٩٥).
٩٦. سبل الهدى والرشاد، ج ١٢، تحقيق: عبد المعز عبد الحميد الجزائر، (القاهرة ١٩٩٧).
- الشجري، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني (ت ٤٩٩هـ)،
٩٧. ترتيب الأمالي الخميسية، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠١).
- أبو الشيخ الاصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الانصاري (ت ٣٦٩هـ)،
٩٨. الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: عبد العلي عبد الحلیم حامد، ط ٢، الدار السلفية، (بومباي ١٩٨٧).
٩٩. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٩٢).
- الشيخ علوان، علي بن عطية بن الحسن الهيتي (ت ٩٣٦هـ)،

١٠٠. النصائح المهمة للملوك والأئمة، تحقيق: موفق بن عبدالله العوض، جامعة الإمام محمد بن سعود، (السعودية ١٤١٩هـ).
- ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبدالله بن محمد العبسي (ت ٢٣٥هـ)،
 - ١٠١. مسند بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزاوي واحمد بن فريد المزيدي، ط ١، دار الوطن، (الرياض ١٩٩٧).
 - ١٠٢. المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مكتبة الرشد، (الرياض ١٤٠٩هـ).
 - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)،
 - ١٠٣. تصحيح التصحيح، تحقيق: السيد الشرقاوي، ط ١، مكتبة الخانجي، (القاهرة ١٩٨٧).
 - ١٠٤. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت ٢٠٠٠).
 - ضياء الدين المقدسي، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ)،
 - ١٠٥. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ط ٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ٢٠٠٠).
 - الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)،
 - ١٠٦. المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، (القاهرة د.ت).
 - ١٠٧. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، د.ت.
 - الطحاوي، أبو جعفر احمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الازدي (ت

(٣٢١هـ)،

١٠٨. شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الارناؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.

• الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (ت ٤٦٠هـ)،
١٠٩. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط ١، دار الثقافة
للطباعة والنشر والتوزيع، (قم ١٤١٤هـ).

• ابن طولون، محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ)،
١١٠. الأئمة الاثنا عشر، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، د.ت.
١١١. الأحاديث المائة، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع للنشر
والتوزيع، د. ت.

١١٢. إعلام السائلين، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط ٢، ١٩٨٧.

١١٣. مرشد المحتار، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت
٢٠٠٧).

١١٤. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة ١٩٦٤).

١١٥. وبل الغمام، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع للنشر والتوزيع،
د.ت.

• ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم احمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٨٧هـ)،
١١٦. كتاب السنة، ط ١، المكتب الإسلامي، ١٩٨٠.

• ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي (ت ٤٦٣هـ)،
١١٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،
(بيروت د.ت).

• العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح (ت ٢٦١هـ)،
١١٨. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم

- البستوي، ط ١، مكتبة الدار، (المدينة المنورة ١٩٨٥).
- ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي (ت ٧٣٩هـ)،
 - ١١٩. مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، دار الجليل (بيروت ١٤١٢هـ).
 - ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت ٦٦٠هـ)،
 - ١٢٠. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت د.ت).
 - ابن عراق الكناني، علا بن محمد بن علا بن عبد الرحمن (ت ٩٦٣هـ)،
 - ١٢١. نشر اللطائف في تاريخ وج والطائف، تحقيق: الدكتور محمد علي فهم، ط ١، زهراء الشرق، (مصر ٢٠٠٩).
 - ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)،
 - ١٢٢. العقد الفريد، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤٠٤هـ).
 - العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت ٣٨٠هـ)،
 - ١٢٣. العزيزي أو المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه: تيسير خلف.
 - ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)،
 - ١٢٤. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
 - العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ)،
 - ١٢٥. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٨).
 - عبد القادر البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)،
 - ١٢٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، مكتبة الخانجي، (القاهرة ١٩٩٧).

- العكبري، ابو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي (ت ٦١٦هـ)،
- ١٢٧. شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم الايباري و عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، (بيروت د.ت).
- أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى (ت ٣٥٦هـ)،
- ١٢٨. الإتياع، تحقيق: كمال المصطفى، مكتبة الخانجي، (القاهرة د.ت).
- العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي (ت ٩٢٨هـ)،
- ١٢٩. الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط ١، انتشارات الشريف الرضي ومطبعة أمير خم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٩٦٦.
- ١٣٠. التاريخ المعتبر في أنباء من غير، تحقيق: لجنة من المحققين، ط ١، مؤسسة دار النوادر، (سوريا ٢٠١١).
- ابن عبد المنعم الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ)،
- ١٣١. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مؤسسة ناصر للثقافة، (بيروت ١٩٨٠).
- ابن عبد الهادي، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد الدمشقي (ت ٩٠٩هـ)،
- ١٣٢. إرشاد السالك إلى مناقب مالك، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ٢٠٠٩).
- ٣٣١. بدء العلقة بلبس الخرقة، د.ت.
- ٤٣١. الشجرة النبوية في نسب خير البرية، شرح وتعليق: أحمد صلاح الدين، ط ١، مكتب الجمع آرمس للكمبيوتر، (القاهرة ١٩٧٧).
- ٥٣١. العقد التمام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام، تحقيق: أبو إسماعيل

- هشام بن إسماعيل السقا، دار عالم الكتب للنشر وتوزيع، ١٩٨٥.
١٣٦. الفهرس الوصفي للنسخ الخطية، إعداد: أبو المنذر الأزهرى، ط ١، لطائف
لنشر الكتب والرسائل العلمية، ٢٠١٢.
١٣٧. محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي،
ط ١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٨٣).
١٣٨. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: الدكتور عبد
العزیز ابن محمد بن عبد المحسن الفريح، ط ١، أضواء السلف، (السعودية ٢٠٠٠).
١٣٩. النهاية في اتصال الرواية، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين، ط ١، دار النوادر،
(لبنان ٢٠٠٦).
- الغزى، بدر الدين محمد بن محمد (٩٨٤هـ)،
 - ١٤٠. الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، اعتنى به: عبدالله محمد الكندري، ط ١،
شركة البشائر الإسلامية لطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٨٣).
 - الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسن (ت ٣٥٠هـ)،
 - ١٤١. معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار، دار الشعب للطباعة والطباعة
والنشر، (القاهرة ٢٠٠٣).
 - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ)،
 - ١٤٢. مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت
١٩٨٦).
 - ١٤٣. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (القاهرة
١٩٧٩).
 - الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)،
 - ١٤٤. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،
د.ت.

- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)،
١٤٥. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط ٨،
(بيروت ٢٠٠٥).
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)،
١٤٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، (بيروت د.ت).
- قاسم السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (ت ٣٠٢هـ)،
١٤٧. الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبدالله القناص، ط ١، مكتبة
العبيكان، (الرياض ٢٠٠١).
- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)،
١٤٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، د.ت.
- ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)،
١٤٩. الجرائم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، (دمشق د.ت).
- ١٥٠. غريب الحديث، تحقيق: عبدالله الجبوري، ط ١، مطبعة العاني، (بغداد ١٣٩٧هـ).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)،
١٥١. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت د.ت).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)،
١٥٢. نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار
الكتاب اللبنانيين، (بيروت ١٩٨٠).
- الكركي، علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي (ت ٩٤٠هـ)،
١٥٣. قاطعة اللجاج في حل الخراج، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، مؤسسة
النشر التابعة لجماعة المدرسين، (قم ١٤١٣هـ).
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي (ت
٣٨٠هـ)،

١٥٤. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل واحمد فريد المزيدي، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٩).
- الكوفي، محمد بن سليمان (ت ٣٠٠هـ)،
١٥٥. ١٥٦- مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مطبعة النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم ١٤١٢هـ).
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت ٤١٨هـ)،
١٥٦. كرامات الأولياء، تحقيق: احمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط ٨، دار طيبة، (السعودية ٢٠٠٣).
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)،
١٥٧. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- المازندراني، مولى محمد صالح (ت ١٠٨١هـ)،
١٥٨. شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا ابو الحسن الشعرائي، ط ١، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ٢٠٠٠).
- ابن ماكولا، سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ)،
١٥٩. الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٠).
- مجد الدين بن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)،
١٦٠. النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (بيروت ١٩٧٩).
- مجهول المؤلف، (ت بعد ٣٧٢هـ)،
١٦١. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة: يوسف الهادي، الدار

- الثقافية للنشر، (القاهرة ١٤٢٣هـ).
- المحاملي، أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضبي (ت ٣٣٠هـ)،
 - ١٦٢. أمالي المحاملي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ١، دار النوادر، ٢٠٠٦.
 - المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢هـ)،
 - ١٦٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٨٠).
 - ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الأربلي (ت ٦٣٧هـ)،
 - ١٦٤. تاريخ اربل، سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، (العراق ١٩٨٠).
 - مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت ٢٦١هـ)،
 - ١٦٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د.ت).
 - المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي الخوارزمي (ت ٦١٠هـ)،
 - ١٦٦. المغرب، دار الكتاب العربي، د.ت.
 - معمر بن راشد، معمر بن أبي عمرو راشد الازدي (ت ١٥٣هـ)،
 - ١٦٧. الجامع، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الاعظمي، ط ٢، المجلس العلمي بباكستان وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٣هـ.
 - ابن المغازلي، علي بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي الواسطي (ت ٤٨٣هـ)،
 - ١٦٨. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: تركي بن عبدالله الوادعي، ط ١، دار الآثار، (صنعا ٢٠٠٣).
 - المفيد، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي المذحجي العكبري (ت

- ٤١٣هـ)،
١٦٩. الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٩٣).
- ابن منده، ابن منده بن محمد بن يحيى العبدى (ت ٣٩٥هـ)،
١٧٠. معرفة الصحابة، تحقيق: عامر حسن صبري، ط ١، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت ٧١١هـ)،
١٧١. لسان العرب، ط ٣، دار صادر، (بيروت ١٤١٤هـ).
١٧٢. مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر، تحقيق: روحية النحاس ورياض عبد الحميد ومحمد مطيع، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر، (دمشق ١٩٨٤).
- النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ)،
١٧٣. السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠١).
- نشوان الحميري، نشوان بن سعيد اليميني (ت ٥٧٣هـ)،
١٧٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري ومطهر بن علي الارياني ود. يوسف محمد عبدالله، ط ١، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، (بيروت ودمشق ١٩٩٩).
- أبو نصر الكلاباذي، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن البخاري (ت ٣٩٨هـ)،
١٧٥. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق: عبدالله الليثي، ط ١، دار المعرفة، (بيروت ١٤٠٧هـ).
- أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ)،
١٧٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، (مصر ١٩٧٤).
١٧٧. فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، ط ١، دار

- البخاري للنشر والتوزيع، (المدينة المنورة ١٩٩٧).
١٧٨. معرفة الصحابة، تحقيق: عادل يوسف العزاوي، ط ١، دار الوطن للنشر، (الرياض ١٩٩٨).
- نور الدين الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)،
 - ١٧٩. مجمع الزوائد، دار الريان للتراث ودار الكتاب، (بيروت، القاهرة ١٤٠٧هـ).
 - ١٨٠. المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلية، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت).
 - النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي (ت ٧٣٣هـ)،
 - ١٨١. نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة ١٤٢٣هـ).
 - النوي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)،
 - ١٨٢. تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط ١، دار القلم، (دمشق ١٤٠٨هـ).
 - ١٨٣. تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت).
 - الهروي، علي بن أبي بكر بن علي (ت ٦١١هـ)،
 - ١٨٤. الإشارات إلى معرفة الزيارات، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة ١٤٢٣هـ).
 - ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ)،
 - ١٨٥. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، (مصر ١٩٥٥).
 - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥هـ)،
 - ١٨٦. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، ط ٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق ١٩٩٦).
 - ١٨٧. الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة والنشر

- والتوزيع، (القاهرة د.ت).
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت ٢٠٧هـ)،
- ١٨٨. المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، ط ٣، دار الاعلمي، (بيروت ١٩٨٩).
- أبو يعلى الموصلي، أبو يعلى احمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ)،
- ١٨٩. مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط ١، دار المأمون للتراث، (دمشق ١٩٨٤).

ثالثاً: المراجع

- دوزي، رينهارت آن بيتر (ت ١٣٠٠)،
- ١٩٠. تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمد سليم النعيمي، ط ١، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٧٩-٢٠٠٠.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)،
- ١٩١. الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، (بيروت ٢٠٠٢).
- الصلابي، علي محمد محمد الصلابي
- ١٩٢. الدولة العثمانية-عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (مصر ٢٠٠١).
- عاتق البلادي، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير (ت ١٤٣١هـ)،
- ١٩٣. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط ١، دار مكة المكرمة للنشر والتوزيع، (مكة المكرمة ١٩٨٢).
- العسيري، أحمد معمور العسيري،
- ١٩٤. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦-١٩٩٧م)، ط ١، (الرياض ١٩٩٦).
- عمر، أحمد مختار (ت ١٤٢٤هـ)،
- ١٩٥. الغريب والمعاجم ولغة الفقه، عالم الكتب، (القاهرة ٢٠٠٨).

١٩٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، عالم الكتب، ٢٠٠٨.
- العمري، أكرم بن ضياء
١٩٧. عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان، (الكويت د.ت).
- الفالوجي، أكرم بن محمد زيادة الأثري
١٩٨. المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، الدار الأثرية، دار ابن عفان، (الأردن - القاهرة د.ت).
- قلعي، محمد رواسي
١٩٩. معجم لغة الفقهاء، ط ٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.
- المرعشي، السيد شهاب الدين بن السيد شمس الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ)،
٢٠٠. شرح إحقاق الحق، تحقيق وتعليق: السيد شهاب المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم د.ت.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون
٢٠١. المعجم الوسيط، دار الدعوة، د.ت.
- النجار، محمد الطيب النجار (ت ١٤١١هـ)،
٢٠٢. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دار الندوة الجديدة، (بيروت - لبنان د.ت).

رابعاً: البحوث

- صعيدي، ندى زاهد صعيدي
٢٠٣. العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري على ضوء كتاب الغزي الكواكب السائرة، بحث منشور على الموقع الإلكتروني www.alkottob.com

المحتويات

٧	مقدمة المؤسسة.....
٩	المقدمة.....
١٢	أولاً: كتب السيرة النبوية.....
١٤	ثانياً: التاريخ العام:.....
١٥	ثالثاً: كتب الحديث:.....
١٧	رابعاً: كتب الطبقات والتراجم:.....
٢١	خامساً: كتب الأنساب.....
٢٢	سادساً: كتب اللغة:.....
٢٣	سابعاً: كتب الجغرافية التاريخية.....
٢٤	ثامناً: المراجع.....

تمهيد

بلاد الشام في القرن العاشر الهجري

٩٢	التمهيد.....
٢٩	١ - الأحوال العامة لبلاد الشام في القرن العاشر الهجري:.....
٢٩	الحالة السياسية.....
٣٥	الحالة الاجتماعية.....

٣٧ الحالة الاقتصادية
٣٨ الحالة العلمية
٤١	٢- مؤرخو الشام في القرن العاشر الهجري ومنهجهم في الكتابة والتأليف
الفصل الأول	
حياة الإمام علي (عليه السلام) ودوره في المصنفات الشامية	

٤٩	المبحث الأول: الإمام علي (عليه السلام) حياته ونشأته في العهد المكي في المصنفات الشامية ..
٤٩ ولادته
٥٠ اسمه ونسبه
٥٤ كناه (عليه السلام)
٥٤ نشأته (عليه السلام)
٥٥ إسلامه
٧٦ صفاته
٧٤ فضائله

المبحث الثاني: دور الإمام علي (عليه السلام) في العهد المدني حتى وفاة الرسول (صلى الله	
٨٣ عليه وآله وسلم) ١هـ - ١١هـ / ٦٢٢-٦٣٢ م
٨٣ الهجرة إلى المدينة
٨٧ وصول الإمام (عليه السلام) إلى المدينة
٨٩ المؤاخاة
٩١ زواجه (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام)
١٠٠ مرض فاطمة (عليها السلام) ووفاتها
١٠٢ زوجات الإمام (عليه السلام) بعد الصديقة الطاهرة وأولاده

الفصل الثاني: الحياة الجهادية للإمام علي (عليه السلام)

حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

- المبحث الأول: الوظائف والسرايا والبعوث ١٠٧
- الوظائف التي تقلدها الإمام علي (عليه السلام) في عهد الرسول (ص) ١٠٧
- الكتابة ١٠٨
- القضاء ١١٠
- تأثيره على بعض السرايا ١١٢
- بعثه (عليه السلام) لليمن ١١٣
- بعثه (عليه السلام) للحج سنة ٩هـ / ٦٣٠ م ١١٩
- المبحث الثاني: الغزوات والحروب ١٢١
- الغزوات التي شارك بها الإمام علي (عليه السلام) ١٢٣
- معركة بدر سنة ٢هـ / ٦٢٣ م ١٢٣
- غزوة أحد سنة ٣هـ / ٦٢٤ م ١٢٩
- غزوة بني النضير سنة ٤هـ ١٣٧
- غزوة الخندق سنة ٥هـ / ٦٢٦ م ١٣٩
- غزوة بني قريظة سنة ٥هـ / ٦٢٦ م ١٤٤
- صلح الحديبية سنة ٦هـ / ٦٢٧ م ١٤٨
- غزوة خيبر سنة ٧هـ / ٦٢٨ م ١٥١
- عمرة القضاء سنة ٧هـ / ٦٢٨ م ١٥٩
- نقض الصلح وفتح مكة سنة ٨هـ / ٦٢٩ م ١٦١
- إلقاء صنم قريش سنة ٨هـ / ٦٢٩ م ١٦٥
- غزوة حنين سنة ٨هـ / ٦٢٩ م ١٦٥
- سرية الإمام علي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الفُلس سنة ٩هـ ١٦٧
- غزوة تبوك سنة ٩هـ / ٦٣٠ م ١٦٩
- تجهيز الإمام علي (عليه السلام) للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند وفاته ١٧١

الفصل الثالث: دور الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخلفاء الراشدين

(١١ هـ - ٣٥ هـ / ٦٣٢ م - ٦٥٥ م)

- المبحث الأول: في عهد الخليفة أبي بكر ١١-١٣ هـ / ٦٣٢ م - ٦٣٤ م ١٧٥
- إسلامه وبيعته للخلافة ١٧٥
- موقف الإمام علي (عليه السلام) من خلافة أبي بكر ١٧٩
- المبحث الثاني: في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤ م - ٦٤٣ م ١٨٣
- دور الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخليفة عمر ١٨٣
- الخليفة عمر وميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٩٠
- زواج عمر من أم كلثوم بنت الإمام علي (عليه السلام) ١٩٤
- قضاء الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخليفة عمر ١٩٦
- ١- قضية المرأة التي ولدت لستة أشهر ١٩٦
- ٢- قضية المرأة الزانية ١٩٧
- ٣- حكم طلاق الأمة ١٩٨
- ٤- حكم الإمام في لبن الناقة ١٩٩
- المبحث الثالث: في عهد الخليفة عثمان بن عفان ٢٣-٣٥ هـ / ٦٤٣ م - ٦٥٥ م ٢٠٠
- موقف الإمام علي (عليه السلام) من خلافة عثمان ٢٠٠
- قضاء الإمام علي (عليه السلام) في عهد الخليفة عثمان ٢٠٢

الفصل الرابع: خلافة الإمام علي (عليه السلام)

وأبرز الأحداث فيها (٣٥-٤٠ هـ / ٦٥٥-٦٦٠ م)

- المبحث الأول: بيعته (عليه السلام) للخلافة ٢٠٥
- عدالة الإمام علي (عليه السلام) في خلافته ٢٠٨
- الأثر الفكري للإمام (عليه السلام) ٢١٢
- المبحث الثاني: جهاد الإمام في خلافته ٢١٩
- حربه مع الناكثين (واقعة الجمل) ٣٦ هـ / ٦٥٦ م ٢٢٠

٢٢٦	حربه مع القاسطين (معركة صفين)
٢٣٤	حربه مع المارقين (الخوارج) سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م
٢٣٥	المبحث الثالث: استشهاده (عليه السلام) ودفنه وموضع قبره
٢٣٥	استشهاد الإمام (عليه السلام)
٢٤١	وصيته للإمام الحسن (عليه السلام)
٢٤٣	تاريخ وفاة الإمام (عليه السلام)
٢٤٥	تغسيل الإمام (عليه السلام) ودفنه وموضع قبره
٢٤٧	إخفاء موضع القبر الشريف وإظهاره
٢٥١	الخاتمة وأهم الاستنتاجات
٢٥٧	الملحق: مؤرخو بلاد الشام وأهم المصادر التي ترجمت لهم

قائمة المصادر والمراجع

٢٥٩	أولاً: المخطوطات
٢٥٩	ثانياً: المصادر الأولية
٢٨١	ثالثاً: المراجع
٢٨٢	رابعاً: البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ